

التراث الأثري السوري



الدكتور عفيف بهنسي



Le Héritage Archéologique Syrien
The Syrian Archaeological Heritage

Le Héritage Archéologique Syrien

The Syrian Archaeological Heritage



Dr. AFIF BAHNASSI



www.syrbook.gov.sy

E-mail: syrbook.dg@gmail.com

هاتف: ٣٣٢٩٨١٦ - ٣٣٢٩٨١٥
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ٧٤٠ ل.س أو ما يعادلها

التراث الأثري السوري

صورة الغلاف من الوجهين :

رصيلة ذهبية من عصر البرونز اكتشفت في «قطنه» وتمثل الشمس المعبودة عبر التاريخ «شماش»، محاطة بتزيينات نباتية وحيوانية أسطورية، متقابلة نحو رمز الحياة، كتعبير عن السلام والعقيدة التوحيدية في التراث السوري عبر التاريخ.

الدكتور عفيف بهنسي

التراث الأثري السوري



منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٤ م

تاريخ سورية (دراسات ونصوص)

« ١١ »

المقدمة

الاستراتيجية الجغرافية

وحدة الهوية

اللغة بوصفها عامل الوحدة

اسم سورية وحدودها

سكان سورية

الواقع الجغرافي

التراث الأثري السوري / عفيف بهنسي . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١٤ . - ٢٤٧ ص: صور ؛ ٢٤ سم . - (تاريخ سورية . دراسات ونصوص ؛ ١١)

١-١، ٩٣٠ ب ه ن ت آل ا ٢- ٩٣٣ ب ه ن ت
٣- العنوان ٤- بهنسي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

المقدمة

الاستراتيجية الجغرافية

أثبتت الكشف الأثرية التي تحققت خلال العقود الأخيرة، أمرين هامين: الأول أن هذه المنطقة التي تسمى عند العرب (بلاد الشام) تعتبر من أقدم مناطق العالم حضارة، وأن هذه الحضارة مترابطة عضوياً على الامتداد الجغرافي ومتكاملة. والأمر الثاني أن هذه البلاد تحمل بعداً سياسياً دولياً واسعاً لا يقاس بحجمها، إذ إن موقعها بين قارات ثلاث مازال ذو أهمية استراتيجية وتجارية عالمية، ولقد برزت هذه الأهمية تاريخياً منذ نشاط طريق الحرير الذي يبدأ من الصين مروراً بسواحلنا على البحر الأبيض المتوسط باتجاه الغرب أو باتجاه جنوب سورية، عبر تدمر وحلب، وكانت من المراكز الهامة في هذا الطريق. وكان (الهلال الخصيب) الذي يمتد رأسه الشرقي من الخليج العربي، وينتهي رأسه الغربي في سيناء، منطقة ازدهار اقتصادي واشعاع عبر جميع العصور، يضاف إلى ذلك أهمية إشراف سورية على صدر البحر الأبيض المتوسط الذي أفصح لها في العبور إلى جميع مرافئ البحر وإلى أنحاء أخرى من العالم، وأصبحت قادرة، من خلال تبادلاتها التجارية وتحركاتها العسكرية أن تصنع تاريخها وأن تشارك في صنع تاريخ هذا الجزء من العالم.^(١)

إن الأهمية الاستراتيجية لموقع سورية جعلها مليئة بالمدن العامرة والحوضر التي لعبت دوراً حضارياً كبيراً منذ العصور التاريخية القديمة. وما زالت الحفريات الأثرية في أحواض الفرات والخابور والعاصي وحول المدن الكبرى وفي الساحل والجنوب، تكشف عن حواضر قديمة حددت بدايات التاريخ والحضارة الإنسانية على هذه الأرض. ولقد كانت شبكات الطرق بين هذه الحواضر والمدن متشعبة، مما جعل الوحدة الثقافية والعقائدية والاقتصادية أكثر رسوخاً واستمراراً. بل

كانت هذه الوحدة سبباً في التطلع المستمر لتحقيق وحدة سياسية، لولا صعوبة وسائل الانتقال والاتصال. ومع ذلك فإن المكتشفات الأثرية أبانت بوضوح محاولات الملك الأكادي «صارغون» لتحقيق وحدة سياسية من البحر الصغير (الخليج العربي) إلى البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط).

وحدة الهوية

مع أننا لا نستطيع تحديد تسمية سياسية شاملة لهذه المنطقة، يبقى من الممكن إطلاق تسميات حضارية وسمت المنطقة الجغرافية بسمة مشتركة، دون أن تكون ثمة قيادة سياسية ونظام حكم متماسك كما يفهم اليوم عند تحديد أسماء الممالك والدول. وإن كان ولاء بعض المدن الأخرى لبعضها يعتبر مظهراً من مظاهر الوحدة السياسية. وأن وحدة هوية الإنسان الذي شكل حضارة هذه المنطقة هي التي تدفعنا إلى تحديد خرائط جغرافية تضم الحواضر التي احتوت فعاليات هذا الإنسان وحفظت آثاره وتراثه.

لابد أن نوضح أولاً أن الرأي القائل من أن جميع الأقوام التي شكلت حضارات فيما بين الرافدين والبحر الأبيض المتوسط، قد هاجرت تباعاً وبصورة مباشرة من الجزيرة العربية لم يعد أساسياً في تحديد هوية هذه الأقوام. فإذا كان الأكاديون الأوائل منذ الألف الثالث قبل الميلاد قد هاجروا من مكان ما في الخليج العربي حاملين معهم لغتهم وعقائدهم. فإن الآشوريين والعموريين والكنعانيين والآراميين والكلدان هم العرب الذين انتقلوا من الرافدين باتجاه الشمال والغرب ليشكلوا حواضر وحضارات أصبحت أكثر أبعادها واضحة بعد الحفريات الأثرية المتتالية.

لا يعني هذا أن الهجرات في منطقة الهلال الخصيب إنما ابتدأت بعد ازدهار الأكاديين والبابليين، بل إن وجود السكان الأصليين في بلاد الرافدين قد يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد، وإن تلك الهجرات تتابعت منذ ذلك التاريخ، لتشكل وحدة قومية. بل إن ما اكتشف في بقرص على الفرات، وفي تل الرماد قرب دمشق إنما يعود حضارياً إلى العصر الحجري الحديث ٦٢٥٠ ق.م.

اللغة بوصفها عامل الوحدة

ويكفي باعتقادنا أن تكون اللغة والعقائد هي مقياس هذه الوحدة وهذا الانتشار الأكادي العربي المتتالي، فلقد تبين أن الفروق بين اللهجات تتفق جداً مع الفروق بين المسافات المتباعدة عن المصدر الأساسي للوجود العربي. وكما سنرى فإن الشعوب التي تعاقبت على المنطقة المحصورة فيما بين النهرين والبحر كانت تنسب إلى قومية واحدة لا تختلف عن بعضها إلا بالمطامح السياسية والاقتصادية وبالنفوذ الجغرافي، بل إن العالم الأثري «مورتفات» يسمي الحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة منذ العموريين باسم «الحضارة الكنعانية» كتعبير عن وحدة قومية شاملة.^(٢)

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن تكون دولة بالمعنى الذي نفهمه اليوم لم يتم بوضوح، بل ثمة دولة ذات عاصمة واحدة أو أكثر كانت واسعة السلطان تفرض نفوذها على مدن كبيرة أو صغيرة أخرى قريبة، فتقوم بإلحاقها أو بتعيين ملوكها لتأكيد نفوذها عليها.

اسم سورية وحدودها

لعل أقدم تسمية أطلقت على هذه المنطقة العربية هي بلاد عمورو. أي الغرب من الرافدين ، ثم ظهرت تسمية أسورا عربايا في العهد الفارسي. وتحرف اسم (أسورا) إلى اسم (سورية) وكان الإغريق أول من استعمل هذه التسمية التي وردت على لسان هيرودوت المؤرخ. ولكن في نصوص أوغاريت (ق ١٤ ق م) ورد اسم سورين Shryn، وفي المصادر العبرية ورد اسم سريون عند الإشارة لإقليم لبنان الداخلي (سفر التثنية ٩١٢ - المزامير) ، أما اسم لبنان فهو تحريف لكلمة (لابن) وتعني البياض وذلك لأن جبال لبنان مكسوة بالثلج في أكثر أشهر السنة. وكان الإسكندر المكدوني قد قضى على دارا الثالث في موقعة إيسوس عام ٣٣٣ ق.م واستطاع الإسكندر أن يضع حداً للمحاولات الفارسية المستمرة للسيطرة على بلاد الإغريق بل استطاع أن يقضي نهائياً على الفرس الساسانيين

وأن يجعل سورية تحت حكم الإغريق والسلوقيين حتى عام ٦٤ ق.م. ثم أصبحت تحت حكم الرومان والبيزنطيين حتى الفتح الإسلامي وكانت المنطقة تعرف باسم سورية. وكانت اللغة الآرامية هي اللغة السائدة في الداخل حتى الجزيرة في الشمال. وكانت اللهجة الكنعانية هي السائدة في الساحل. أما اللهجة الكلدانية فلقد كانت اللهجة الشرقية. وهذه اللهجات الثلاثة هي لهجات شقيقة. ولم تكن حدود سورية واضحة، ذلك أن السلطة السلوقية امتدت إلى أطراف تشمل آسيا الوسطى والعراق وقسماً من إيران. أي أن القسم الآسيوي من إمبراطورية الاسكندر أصبح يحمل اسم المملكة السورية، إذ اعتبر الملوك السلوقيون ملوكاً لسورية. وعندما فتح بومبي البلاد عام ٦٤ ق.م أعاد لسورية حدودها التقليدية ولكن أطلق عليها اسم ولاية سورية.

كانت حدود الدولة في العهود الرومانية والبيزنطية واسعة أيضاً، وفي كلا العهدين كانت سورية جزءاً متداخلاً في كيان الدولة الكبرى لا تميزه إلا لغة أهل البلاد وهويتهم القومية. ومع ذلك نستطيع أن نحدد تسميات لهذه المنطقة ، سورية أو الشام التي تضم اليوم سورية ولبنان وفلسطين والأردن، وذلك بالاعتماد على الخصائص الحضارية والسياسية لكل مرحلة من مراحل تاريخ هذه المنطقة. ولقد أطلق اسم Syrian على السكان الذين يرجعون إلى أصل سوري (شرقي المتوسط) والذين استعمروا بلاد البحر المتوسط في القرنين الثاني والثالث م. كما أطلق اسم الأسرة الرومانية السورية بين (١٨٣-٢٣٥ م) على أعقاب سبتيموس سيفروس وزوجته جوليا دومنا وهي من حمص ومن جاء بعدهما كاراكالا، إغابال، أسكندر. أما الإمبراطور فيليب (من شهباء) (٢٤٤-٢٤٩) فلقد حمل اسمه صفة العربي.

وفي العهد البيزنطي وفي نهاية القرن الرابع اقتصر اسم سورية على الشمال وقسم إلى قسمين: سورية الأولى Syria Prima وعاصمتها إنطاكية وتشمل سلوقية ولاوديسة (اللاذقية) وغابالا (جبله) وبيرويا (حلب) وخاليسيس (قنسرين). وسورية الثانية Syria Secunda وعاصمتها أقاميا وتشمل أيفانيا

(حماة) واريثوزا (الرستن) ولاريسا (شيزر). وقسمت الأجزاء الأخرى إلى قسمين؛ فينيقية الأولى Phoenicia Prima وعاصمتها صور ومدنها عكا . صيدا . بيروت . جبيل . طرابلس . عرقة . أرواد . وفينيقية الثانية Phoenicia Secunda ومركزها حمص (ايميزا) وتضم دمشق ومنبج (هليوبوليس) وتدمر .

وقسمت فلسطين إلى ثلاثة أقسام، الأولى عاصمتها قيصرية وضمت القدس (أورشليم) ونابلس وجوبا (يافا) وغزة وعسقلان، والثانية عاصمتها بيسان ومدنها جورة وطبريا . والثالثة مركزها البتراء . وكانت حدود الدولة في العهود الرومانية والبيزنطية واسعة أيضاً، وفي كلا العهدين كانت سورية جزء متداخلاً في كيان الدولة الكبرى لا تميزه إلا لغة أهل البلاد وهويتهم القومية .

تطبيقاً لاتفاقية (سان ريمو) ١٩٢٠ وما جاء بعدها من تعديلات فرضها الانتداب الفرنسي، فإن حدود سورية منذ عام ١٩٢٠ هي التالية: يحدها من الشرق العراق ومن الشمال تركيا ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ولبنان ومن الجنوب الأردن وفلسطين وتبلغ مساحة سورية ١٨٥١٨٠ كم^٢ . وهكذا تقلصت حدود سورية التي عرفت ببلاد الشام .

أطلق الجغرافيون العرب على هذه المنطقة إسم « الشام » . وكان الهمداني في كتابه الإكليل قد ذكر لأول مرة اسم الشام ، ولقد استعمله العرب للدلالة على الشمال . كما أن عرب الشمال كانوا يطلقون اسم اليمن (يمينات) أو يمون على مناطق الجنوب . وما زال اسم الشام يتردد على ألسنتنا ، على الرغم من الأسماء البديلة الرسمية ، فالناس في جميع أنحاء البلاد العربية، عرفوا (الشام) من خلال التاريخ، وتضطروهم ظروفهم لكي يعرفوا الشام من خلال الحدود السياسية، فيتبادلون تسميات أخرى، ولكن اسم الشام ما زال أكثر تداولاً، على الرغم من أن حجم هذا الاسم تكثف في مدينة واحدة هي دمشق .

ولم يكن لبلاد الشام حدود سياسية ثابتة، ولكن الاصطخري كان أقدم من أوضح حدود الشام فهو يقول: (وأما الشام فإن غربها بحر الروم وشرقها البادية من أيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم وشمالها بلاد الروم، وجنوبها

حد مصر وتيه سيناء، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور). ويضيف الاصطخري وهو يتحدث عن الحدود الشمالية لبلاد الشام أنها (مما يلي الروم وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونية وعين زربة والمصيصة واذنه وطرسوس) وهي ثغور شامية، وتقع اليوم في تركيا. ويتفق الاصطخري مع ابن حوقل والمقدسي في تحديد أقسام أو أحياء بلاد الشام، فيرون أنها فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين ويضيفون إليها الجبال والشرارة.

ويرى المقدسي أن دمشق هي المكان الوحيد في إقليم الشام الذي يصح أن يسمى مصراً. والمصر عنده (كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال وأضيفت إليه مدن الإقليم، مثل دمشق). وأما حلب وحمص وطبرية والرملة وصفد فهي قصبات وما تبقى فهي مدن عادية، ولم تكن هذه القصبات وحدات إدارية ثابتة.

حدود بلاد الشام إذاً، وبحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل هي تقريباً سورية الحالية مع جنوب الأناضول ولبنان وفلسطين والأردن وسيناء.

سكان سورية

اعتاد الجغرافيون تقسيم السكان بحسب أصولهم وبحسب عقائدهم الدينية أو بحسب طبقتهم الاجتماعية. ولم يعد هذا التقسيم مقبولاً في سورية اليوم، فالدستور السوري نص على وحدة السكان وعدم التفريق بينهم لأي سبب. وبعد أن كان سكان القرى والجبال منعزلين عن سكان المدن فلقد تم التحام سريع بينهم عن طريق الهجرات الداخلية. وما زالت نتائج هذا النزوح خطيرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا نرى أن التوزيع السكاني في سورية غير متساو إذ أن ٦/٥ من سكان سورية يعيشون في المدن. وما زالت البادية السورية ضعيفة الإسكان إلا من بعض البدو الذين نزح أكثرهم إلى الجزيرة العربية.

ليس من إحصاء جديد لعدد سكان سورية اليوم، ولكن معدل النمو مرتفع نسبياً، ونستطيع استقراءه من خلال إحصاء السكان العددي الذي تم في

الأعوام الأخيرة حيث بلغ عدد السكان أربعة وعشرين مليون نسمة، ويتساوى عدد الإناث مع عدد الرجال تقريباً في سورية.

الواقع الجغرافي

تتمتع سورية بموقع جغرافي متميز وبمناخ معتدل مع خصب بالأرض وإنتاج وافر عزز حياتها الاقتصادية والاجتماعية، وكانت مركز تبادل تجاري وموئل هجرات ومطامع شعوب أخرى ساعدت في تنوع الانتاج الزراعي والثقافي.

تمتاز سورية بإطلالها على البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ طول الساحل السوري ١٧٣ كم، وهو منفصل عن الجبال الموازية له بشريط ساحلي منبسطة قليل التعاريج والجزر، فيما عدا جزيرة إرواد، وعلى الساحل السوري أنشئ في الماضي ميناءان كبيران للسفن التجارية السورية والأجنبية، هما ميناء مينة البيضاء في اللاذقية وميناء جبيل. المتاخمان لغابات الجبال وقراها الجميلة.

وكانت الأنهار وبخاصة نهر الفرات سبب ازدهار الزراعة، وعلى شواطئ وادي الفرات تكونت حواضر هامة تم الكشف عن معالمها المعمارية وكنوزها التي تتصدر متاحف السورية.

الفصل الأول

التراث السوري وعلم الآثار

مراحل الأبحاث الأثرية في سورية

تقنيات البحث الأثري

الاكتشافات الأولى

آثار الجزيرة الفراتية

اكتشافات المنطقة الوسطى

توسع نطاق مواقع التنقيب

المتاحف حاضنة الآثار المكتشفة

الفصل الاول

التراث السوري وعلم الآثار

مراحل الأبحاث الأثرية في سورية

كان اهتمام الباحثين في الشرق القديم منصّباً على المدن البابلية والآشورية المعروفة لديهم تحت علم أطلق عليه (Assyriology). ولم تكن سورية موجودة بعد في حدودها السياسية الراهنة في القرن الماضي. وكانت كلمة «سورية» تعني آنذاك البلاد الواقعة بين نهر الفرات وساحل البحر الأبيض المتوسط والتي تتضمن جنوباً فلسطين. وقد كان الاهتمام بدراسة المواقع الفلسطينية المذكورة في الكتاب المقدس قد استيقظ، وأخذ أولئك الباحثون الذين يعملون في فلسطين يمرون عبر سورية. ويمكن تقسيم أبحاث سورية القديمة إلى ثلاث مراحل حسبما جاء في دراسة «هرتموت كونه».

المرحلة الممتدة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى والتي قام خلالها الرحالة العديدون بزيارة سورية منذ نهاية القرن السابع عشر، نذكر منهم كارستن نيبور، وف.س.وا.بلونت، وإدوار زاخا وغرتروده بيل. هم نقلوا أخباراً عن خرائب ظاهرة على سطح الأرض ومدن حديثة وقرى وعادات العرب. وباستثناء القليل منهم، لم يقوموا بأبحاث ميدانية أثرية بالمعنى الحديث للكلمة.

والمرحلة الثانية هي حفريات كركميش الواقعة على خط الحدود مباشرة والتي قام الباحثون الإنكليز بالتنقيب فيها بين عام ١٩١١ و١٩١٤ ومرة أخرى في عام ١٩٢٠ وقد قدمت لنا هاتان الحفريتان المعارف الأولى عن نظام الدولة الآرامي

في الألف الأول ق.م. قام المنقب في تل حلف «غوزانا» ماكس فون أوبنهايم بالتجول في كل المنطقة السورية الشمالية الشرقية وباكتشاف تلال مستوطنات عديدة جداً

وقامت الحفريات الألمانية في الفترة الواقعة بين ١٩١١ ز ١٩١٥ ومرة ثانية من ١٩٢٧ حتى عام ١٩٢٩ بكشف طبقات تعود إلى نفس الفترة الزمنية المكتشف عنها في سنجرلي وكركميش في تل حلف. وقد تمت هنا إزاحة الطبقات عن أبنية قصر هام من ناحية تاريخ العمارة وعن تماثيل لمخلوقات أكبر من حجمها العادي الطبيعي نرى مثالها في مقدمة متحف حلب. وبفضل هذه الأبحاث أمكن لأول مرة تحديد هوية دولة -مدينة آرامية اسمها غوزانا على الأرض السورية. وفي نقطة أخرى من تل حلف اكتشفت طبقات حضارة سابقة على التاريخ سميت باسم الموقع. وهذه الحضارة الراجعة إلى الألف الخامس ق.م تتميز بفخار مرسوم ذي نوعية راقية جداً. حدد تسمية العصر «عصر تل حلف».

وفي عامي ١٩٠٧ و ١٩٠٨ قام ساره وهيرتزفيلد بالتنقيب المنهجي في حوض الفرات السوري وروافده وهو العمل الذي لا يزال إلى اليوم يثبت جدارته في مناطق جزئية كثيرة.

وفي عامي ١٩١٢ و ١٩١٥ تبعهم الباحث التشيكوسلوفاكي لويس موزيل الذي قام برحلات كثيفة في القسم الشرقي من سورية. (الخارطة الأثرية)

تقنيات البحث الأثري

لأول مرة مسحت مناطق عديدة مسحاً أثرياً. وهذا العمل يرجع الفضل فيه بخاصة إلى البحاثة الفرنسيين، وكذلك ساهم علماء الآثار الإنكليز مساهمة كبيرة فيها. وقد طبقت طرائق جديدة في الملاحظة الأثرية للمواقع ، فقد أدخل أ. بوادوبار علم آثار الصور الجوية إلى سورية. ووضع نصب عينيّه بحث مسار مواقع الحدود الرومانية. فلقد طار فوق المواقع وذهب يبحث عن مواقع معينة حسب معطيات الصور الجوية.

وعبر هذه الأعمال في المواقع تلقت الطبوغرافيا التاريخية (وهي دراسة مواقع المستوطنات القديمة) زخماً متعاضداً. وفي عام ١٩٢٧ نشر ر. دوسو عمله

النموذجي الذي لا يزال حتى الآن يتمتع بالقيمة والجدارة العلمية بالنسبة إلى الطبوغرافيا التاريخية لسورية في العصور الإغريقية الرومانية وفي القرون الوسطى. وقد سبق لـ أي. هونيغمان أن اصدر عام ١٩٢٣ دراسته عن الطبوغرافيا التاريخية لشمالى سورية.

وشرع البحاثة الفرنسيون في هذا الوقت بإجراء حفريات عديدة أيضاً. فعالم الآثار الفرنسي كلود ف. ا. شيفر بدأ عام ١٩٢٩ حفرياته في رأس الشمرة عند الساحل السوري للبحر المتوسط. وقد وجدت فيه قصور عديدة وبيوت خاصة غنية تعود للقرن ١٤/١٣ ق.م وفيها عثر على وثائق بكتابة مسمارية ولغة لم تكن معروفة حتى ذلك الحين. وقد أتاحت دراستها تحديد اسم موقع المدينة الشرقية القديمة، أعني أوغاريت، ثم تبين بعد ذلك أن الأمر يدور هنا على أقدم كتابة أبجدية معروفة. وقد نجم عن هذا الاكتشاف فرع علمي جديد يهتم بالكتابة الأوغاريتية.

وثمة اكتشافات أولقى غنية بينت فوق ذلك أن أوغاريت بوصفها مركزاً تجارياً كانت قطب الرchy الذي كانت تدور حوله القوى السياسية والحضارية آنذاك. فالمستوردات المصرية والإيجية والأناضولية والمصدرة من بلاد الرافدين تشهد على تعدد وكثرة العلاقات.

الاكتشافات الأولى

تصدى العالم شيفر لآثار أوغاريت على الساحل السوري في العام ١٩٢٩. وفي عام ١٩٢٣ تولى العالم أندره بارو اكتشاف آثار حاضرة ماري على الفرات. ومكّن أرشيف ماري في موقع صالحية الفرات من رؤية ارتباطات تاريخية عديدة، وأعطى سورية لأول مرة، موقعاً أثرياً على الأرض السورية، ثابتاً في تاريخ النصف الأول من الألف الثاني ق.م.

والحفريات الفرنسية في تل أحمر « تل بارسيب » الشرقي القديم ، وفي أرسلان طاش « حداتو » الشرقية القديمة لم تكن أقل نجاحاً وتوفيقاً، لكنها كانت أقصر مدة. يقع تل أحمر على الفرات جنوب شرقي كركميش « جرابلس »

ومقابلها. وتقع أرسلان طاش على بعد حوالي ٤٠ كم مباشرة شرقي كركميش. وفي الموقعين تعرفنا مجدداً على إمارات آرامية صغيرة من الألف الأول ق.م. والحفريات التي أشرف عليها دانفان بين عام ١٩٢٨ و ١٩٣١ اكتشفت في كل موقع قصراً زين أحدها برسوم جدارية والآخر بنقوش نافرة آشورية.

آثار الجزيرة الفراتية

إن الأبحاث الأثرية الميدانية عن القسم الشمالي الشرقي الواقع ما بين النهرين من سورية قد حققت خطوة إلى الأمام،^(٣) فالسير ماكس مالوان وزوجته أغاتا كريستي المعروفة من قبل عشاق القصص البوليسية ، قد صعدا باتجاه منبع الخابور الرافد الأكبر لنهر الفرات، واستقرا أخيراً في مثلث نبع هذا النهر شمالي مدينة الحسكة، وكشفا ما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ في حضرياتها عن مستوطنتي تل بazar وتل براك. وقد كانت هذه الأخيرة على الخصوص غنية ومهمة، وكان لها مكانة بالنسبة إلى الألف الرابع تعادل مكانة ماري بالنسبة إلى بداية الألف الثاني. وثبت بقايا «معبد العيون» الشهير وجود علاقات حضارية مع حضارة سومر في النصف الثاني من الألف الرابع، ويدل قصر نارام سين على الحضور والسيطرة السياسية للملك الأكادي نارام بين حوالي ٢٣٥٠ ق.م. و يتابع التنقيب في تل براك منذ عام ١٩٧٦ بإشراف دافيد أوتس.

وقد قام الجنود الإنكليز أيضاً عام ١٩٢١ بإعادة اكتشاف مدينة دورا أوروبوس على الفرات، وهي المدينة التي كانت عامرة من العصر الهلنستي الروماني حتى العصر المسيحي الباكر. ثم بدئ بالتنقيب فيها منذ عام ١٩٢٨ من قبل الأميركيين بإشراف م. روستفتزيف

اكتشافات المنطقة الوسطى

تقع مدينة حماة المشهورة بنواحيها على العاصي ، حول تل مستوطنة قديمة بدأ التنقيب فيها من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٨ من قبل بعثة دانمركية بإشراف هارولد إنغولت. وقد أبانت الحفريات عن وجود سلسلة متواصلة من

المستوطنات منذ الألف الرابع ق.م حتى العصر الإسلامي. وهي تمثل حتى الآن العمود الفقري لكثير من أعمال التنقيب حتى الآن.

وتقودنا حفرة «كهوف» يبرود إلى ما قبل التاريخ في العصر الحجري القديم. وقد قام بهذه الحفريات الألماني روست بين عام ١٩٣٠ و١٩٣٢. وتقع يبرود في أطراف سلسلة جبال لبنان الشرقية على مقربة من دمشق باتجاه الشمال.

. وقرب مدينة حمص جرت حفريات في تل نبي مند (مدينة قادش) الشرقية القديمة التي نشبت على مقربة منها المعركة الشهيرة بين المصريين والحثيين. ثم امتدت الحفريات الى المشرفة أي قطنه الشرقية القديمة.^(٤)

في المشرفة الواقعة الى الشمال الشرقي من مدينة حمص ، كان العالم الفرنسي « دو بوسون قد كشف في العام ١٩٢٤-١٩٢٩ عن معالم مملكة قطنه ، وعن ملامح القصر الملكي وبعض الرقعة الطينية.^(٥) وبعد إهمال طويل للموقع ، قمنا في الثمانينات السابقة بإزالة المستوطنات وتنظيف الموقع ورعايته ، وتمت مؤحراً تنقيبات هامة سنأتي على ذكرها.

المرحلة الأخيرة من الأعمال الاثرية

أنشئت المديرية العامة للآثار والمتاحف وتطورت في المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن. وقد وجدت أمامها مهمة صعبة ، فقد كان ينبغي متابعة جرد آثار البلاد وإعداد جيل من العلماء السوريين ، والقيام بحفريات خاصة بالتعاون مع الأجانب من أجل متابعة إلقاء المزيد من الأضواء الكشافة على تاريخ البلاد.

وقام علماء الآثار الدانمركيون بإشراف ب.ي. رايس منذ عام ١٩٥٨ بحفريات في تل سوكناس على الساحل السوري للبحر الأبيض المتوسط، فاكشفوا سلسلة مستوطنات ترجع في القدم حتى العصر الحجري الحديث.

وهكذا أضيفت إلى ما تقدم أعمال تنقيب جديدة. فقد قام أنطون مورتفات مجدداً عام ١٩٥٦ باسم جمعية ماكس فون أوبنهايم بأعمال تنقيب في شمالي شرقي سورية. وبعد حفريات تجريبية صغيرة في تل فخيرية، وتل عيلون استقر

عام ١٩٥٨ في تل خويرة. ونتائج هذه الحفريات تلقي ضوءاً على عصر لم يبحث عنه حتى الآن في أي موقع آخر في سورية، ونعني به بداية الألف الثالث ق.م. وقد عثر فيها على خمسة تماثيل رخامية صغيرة تنتمي أسلوبياً إلى ما يسمى عصر السلالات الملكية المبكرة الثاني.

وقد شرعت عام ١٩٧٤ بعثة إيطالية بإشراف باولو ماتيه بإجراء الحفريات في تل مردوخ « إيبلا » على بعد ٦٠ كم من حلب باتجاه الجنوب، ولقد عثرت هذه البعثة بعد عشر سنوات على أهم مكتشف على الأرض السورية بعد الحرب العالمية الثانية؛ هو الأرشيف الملكي من الثلث الثاني للألف الثالث، وبالتالي تحديد هوية الموقع بوصفه مدينة إيبلا الشرقية القديمة المعروفة في مصادر أخرى.

وقد قام الدبلوماسي الهولندي والخبير الزراعي فان ليره بجولات دراسية وبحث في مواقع عديدة أدت إلى اكتشاف تل بقرص على الفرات، وفي هذا الموقع الذي أجرت بعثة هولندية حفريات فيه منذ عام ١٩٧٦ اكتشفت مستوطنة من العصر الحجري الحديث تم بناؤها وفق مخططات المدن. وتوغلت دراسات في تل المريبط الذي سبق للهولندي م. فان لون أن أجرى حفريات فيه.^(١)

إن التخطيط لبناء سد الفرات أدى في مطلع السبعينات إلى مباشرة نشاط عالمي قمنا بتشجيعه لإنقاذ الآثار في منطقة غمر الفرات بعد السد. في تلك المواقع الأثرية العائدة إلى ما قبل التاريخ مثل المريبط وأبي هريرة ، وفي حفريات حيوية الكبيرة جنوب تل قناص. وهي الحفريات الألمانية بإشراف أي. شترومنغر كشفت عن معالم مدينة مسورة بتحصينات.

وقد كانت الحفريات في تل السلنكية ومسكنة وتل ممباقة وتل حديدي موجهة لدراسة فترات تاريخية أحدث، وبالدرجة الأولى العصر البرونزي.

وبفضل اكتشاف أرشيف صغير في مسكنة استطاع المنقبون الفرنسيون بإشراف ج.ك. مارغورون أن يثبتوا أن تحت مسكنة تكمن مدينة إيمار الشرقية القديمة. وقد خضعت هي وغيرها من المستوطنات في العصر البرونزي

المتأخر، كما يبدو، لا لنفوذ الحثيين فحسب بل لإشرافهم المباشر أيضاً. وشيدوا أبنيتهم حسب طراز البناء الحثي.

وأجرت بعثة أميركية بإشراف بوتشيلاتا عام ١٩٧٥ تنقيبات من جديد في تل العشارة على الفرات الأوسط، وهو ترقا الشرقية القديمة.

وفي العقدين الأخيرين من القرن الماضي امتدت حفريات بولونية وسورية في التنقيب في مدينة تدمر، وكذلك تابع الفرنسيون التنقيب عن بقايا مستوطنات الفترة المتأخرة السابقة على الإسلام وفجر الإسلام في جنوبي البلاد، في بصرى حوران، وقد أجريت أيضاً تنقيبات صغيرة عديدة وحفريات إنقاذ وجولات علمية في المواقع الأثرية بإشراف العلماء السوريين الزملاء من أمثال علي أبو عساف وعدنان البني ونسيب صليبي وشوقي شعث وخالد الاسعد ومرهف خلف وقاسم طوير وغيرهم، وكانت تتوخى بصورة خاصة استكمال المسح الأثري.

المتاحف حاضنة الآثار المكتشفة

إن كمية المكتشفات واللقى التي جاءت كحصيلة لكل هذه التنقيبات كانت ضخمة وزعت بين متحف دمشق، ومتحف حلب. وتقوم اليوم متاحف في حماة وحمص ودير الزور وطرطوس والسويداء واللاذقية والرقّة وتدمر وغيرها من المتاحف لاستيعاب نتائج التنقيب في المناطق المختلفة.

لا تقتصر وظيفة المتاحف على تعريف الجماهير المقيمة أو السائحة بحضارة سورية وتراثها، بل هي منابر للمثاقفة العالمية تستقطب الباحثين لتوثيق هذا التراث، وتحليل جمالياته وتعميم الثقافة الإبداعية عبر التاريخ.

والمتحف المركزي السوري هو المتحف الوطني بدمشق الذي يضم آثار سورية في جميع العصور في عدد من الأجنحة، جناح ما قبل التاريخ وجناح الفنون القديمة وجناح الفن السوري في العصور الكلاسيكية ومتحف الفن الاسلامي، ثم جناح الفنون الحديثة.

وفي العام ١٩٧٥ تم تغيير هام في بناء المتحف الوطني وفي مدخله الرئيسي من الجهة الشرقية. وكان منحرفاً جانبياً يؤدي مباشرة إلى جناح الآثار السورية في العصور الكلاسيكية ، مما يعطي الزائر انطباعاً بأن المتحف مخصص لهذا الجناح ، وكان الانتقال إلى الجناح الإسلامي يتم عبر بهو يضم آثار قصر الحير ، وينفتح على بوابة قصر الحير التي نقلت من موقعها في بادية الشام. وصولاً إلى جناح يضم الآثار الإسلامية والآثار السورية القديمة.

كان من المقرر فصل الأجنحة في أبنية مستقلة ، وبخاصة جناح الآثار الإسلامية الذي يمتاز لاحتوائه على القاعة الشامية وكتلة بناء آثار قصر الحير ومدخله الفخم.

وكبداية لتنفيذ هذا المشروع تم تحويل مدخل المتحف من الجهة الشرقية إلى الجهة الشمالية باتجاه بوابة قصر الحير الضخمة. إبتداءً بمدخل مؤلف من بوابة أنشئت إلى يمينها مكاتب أمناء الأجنحة ، وإلى اليسار مكتب إستقبال الزائرين ، وتنفتح البوابة على حديقة رحبة تنهض الآثار الحجرية الإسلامية حول بركة مربعة كبيرة تتقاذف أركانها نوافير مياه مستمرة.

وأكبر الأجنحة في المتحف الوطني بدمشق جناح مخصص للآثار الإسلامية، نقلت إليه أهم آثار قصر الحير الغربي الذي يعود إلى عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وبخاصة واجهة القصر وأروقته والألواح التصويرية والقطع المتحفية الهامة.

وفي المتحف مجموعات نادرة من الخزف الإسلامي الدمشقي الصنع أو التركي من أزنك، ومجموعات من الخشبيات والمعدنيات والحلي والنقود التي تعود إلى جميع العصور الإسلامية. ولقد ألحق بالجناح قاعة ضخمة تمثل الطراز الدمشقي في العمارة الخشبية والحجرية الداخلية، وكانت قد أهديت للمتحف وقام بترميمها ودعمها أبو سليمان الخياط الصانع الماهر.

الفصل الثاني

تراث سورية خلال العصور الحجرية

العصور الحجرية

مخلفات قبل التاريخ

ظهور القرى وبداية الزراعة

وسائل الحياة والحماية

التقدم المدني

الفصل الثاني

تراث سورية خلال العصور الحجرية

العصور الحجرية

يبدأ العصر الحجري القديم (الباليوليت) في سورية منذ مليون عام وينتهي في الألف الثاني عشر ق.م.

وينقسم إلى ثلاثة أقسام ويمتد العصر الحجري الوسيط بعده إلى آلاف الثامن ق.م. ويبدأ العصر الحجري الحديث قبل الفخار منذ ذلك التاريخ وحتى الألف السادس. ويمتد عصر الفخار حتى الألف الرابع.

نشطت التنقيبات الأثرية في مواقع ما قبل التاريخ وأصبحنا نعرف خصائص العصر الحجري القديم من مكتشفات نهر الكبير الشمالي والفرات والعاصي والليطاني، ونعرف خصائص العصر الحجري الوسيط من المريبط والشيخ حسن وأبي هريرة وبيروود، وأما آثار العصر الحجري الحديث فلقد عثر على آثاره في تل أسود وتل الرماد والغريفة وتل الخزامي قرب دمشق ويقصر والدوارة والكوم، ويعود تاريخ الاستيطان البشري في سورية إلى المرحلة الآشولية القديمة.

إن أقدم موقع للعصر الحجري القديم نراه في سرير نهر (الكبير الشمالي) وهو يعود إلى مليون عام، ثم نرى في حوض العاصي آثار هذا العصر ولكنها تعود إلى نصف مليون عام. وفي غربي (اللطامنة) ^(٧) شمالي حماه عثر على موقع لهذا العصر يعتبر من أهم المواقع ومن أندرهما في العالم، عثر في سرير النهر على آثار معسكر بشري محفوظ ضمن طبقة من الرمل والطيني مؤلفة من أدوات حجرية (فؤوس، سواطير ومكاشط) وتبين أن الإنسان كان يستفيد من النار.

وثمة مغائر في (بيروود) كشفت عن آثار الإنسان القديم الذي عرف بالترحال، فلقد تعاقب على هذه المغائر مجموعات بشرية خلال خمسين ألف عام انتشرت في أنحاء سورية. (٨)

وقد استعمل الإنسان وسائل حجرية جديدة وجدت في الكوم (البادية) حيث الينابيع. ثم ظهر إنسان (النياندرتال) الذي أصبح أكثر حضارة، فهو نحات ماهر استفاد من العظام في صناعة بعض الأدوات، كما استفاد من قذح النار ومن ألوان التراب لتزيين أدواته وأجسامه، ومارس دفن الموتى في طقوس محددة. وفي هذا العصر عاش الإنسان العاقل قبل أربعين ألف عام وهو السلف المباشر للإنسان الحالي.

. كما عُثر على أدوات مماثلة في منطقة الفرات تعود إلى نصف مليون عام، وفي مواقع مختلفة أو في المغاور عثر على ألواح تعود إلى ربع مليون عام، كما في مغائر بيروود ومواقع حول دمشق مثل تل الرماد، وكانت هذه الأدوات الحجرية أكثر دقة في تشذيبها، وتبقى هذه الأدوات دليلاً على نوعية السلاح الذي كان الإنسان القديم يستعمله لحماية نفسه ضد الحيوان وضد الإنسان.

المخلفات السكنية قبل التاريخ

ترك هذا العصر مخلفات متنوعة وجدت في مواقع مكشوفة أو في المغاور مثل جرف العجلة والدواره في تدمر. ومثل موقع أم التلال في حوض الكوم. أما مغائر بيروود قرب دمشق والديدرية في وادي عفرين فلقد عثر فيها على بقايا هامة منها أقدم هيكل عظمي نياندرتالي.

وبعد انقطاع طويل ظهر العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) حيث خرج الإنسان من المغاور مشكلاً أشبه بالقرى، مبتكراً وسائل حياتية وسكنية أكثر رقياً نراها في مغارة (الكبارا) في فلسطين وانتقلت إلى (بيروود) وجيروود والكوم حيث ابتكر الإنسان أوائل أدواته المركبة من الحجر والعظم أو الخشب. ومن وادي (النطوف) في فلسطين أيضاً انتشرت حضارة نطوفية في سورية عثر عليها في (المريبط وأبي هريرة) على الفرات، حيث أقيمت بيوت واستعمل

الإنسان عظام الحيوان و السمك والصدف للإستعمال و للزينة وابتكر أسلحته
الحجرية المصقولة وأدواته. (شكل ١)



١ - أدوات العصر الحجري

في العصر الحجري الحديث (النيوليت) أصبح الإنسان منتجاً لطعامه بعد
أن كان جامعاً، فلقد زرع الحبوب وربي الحيوانات، نرى ذلك في (المريبط
وأبي هريرة (٩) وبقصر في الشمال وفي الرماد والغريفة حول دمشق).
ومن الألف السابع ق.م ابتداء الإنسان بتأسيس المجتمع الرعوي الأول إلى جانب
المجتمع الزراعي، فطور منازلهم.. ولم يلبث حتى ابتداء باستعمال الطين المجفف

ثم المشوي صانعاً منه الأواني والتماثيل (شكل ٣) .. ولقد عثر على آثار منازل
دائرية أو مستطيلة. (شكل ٢)



٢ - - مخطط البيت القديم - المربيط

وتمتاز سورية بأسبقيتها العالمية باستعمال الفخار ، ثم باستعمال المعدن وبخاصة في منطقة الهلال الخصيب، حيث ابتدأ بالتعرف على النحاس في بداية الألف الخامس ق.م.

ظهور القرى وبداية الزراعة

ثمة قرى نشأت في حوض الفرات بلغت مساحة بعضها ثلاثة هكتارات، وكان سبب تكوين القرية وظهور الأسرة هو الاستقرار في منطقة يتحقق فيها الماء والكأ والأمن. ومما لاشك فيه أن القرى كانت تحاول تحصين ذاتها، إما طبيعياً بواسطة المياه والصخور، أو بواسطة حواجز حجرية أو طينية أو نباتية.

ولقد اعتمد سكان المريبط حوالي عام ٨٥٠٠ ق.م على صيد الحيوانات والأسماك وجمع النباتات^(١٠)، وتبين أنهم باشروا بذر البذور منذ عام ٧٧٠٠ ق.م، وأقام الإنسان أبنية طينية دائرية ذات جدران مزخرفة غطيت بقباب من الأغصان والأعشاب والطين. ولكن البناء الحجري الذي أقيم في أريحا فلسطين كان أقدم بناء من الحجر المشذب مازالت آثاره حتى اليوم ويعود إلى الألف السابع ق.م.

ومنذ بداية الألف التاسع ق.م شهدت سورية ظهور أوائل القرى الحضرية حيث عثر على آثار لزراعة القمح والشعير، وتربية المواشي، الماعز والغنم والبقرة ولقد برزت في هذا العصر دلائل عقيدة الآلهة الأم والثور المقدس، وعقيدة عبادة الأجداد. وكانت الأم مقدسة بوصفها ربة الخصب مثل عشتار. (شكل ٢)

تابعت المجتمعات البدائية تطورها الاقتصادي والاجتماعي خلال الألفين الثامن والسابع ق.م أي في بداية العصر الحجري الحديث وقبل اكتشاف الفخار. فلقد توسعت القرى وكانت أحياناً محصنة مثل تل حالولة وجعدة المغرة

على الفرات، وكانت المنازل ذات مخطط مستطيل، وتطورت الزراعة وتربية الحيوانات وانتشرت القرى الزراعية في موقع الكوم وفي بقرص ووصلت إلى الساحل في رأس الشمرة. أوغاريت. وفي بداية الألف السادس ق.م تم استعمال الفخار ولعله استعمل في وقت سابق على ضفاف الفرات.^(١١)

في بقرص على الفرات وفي تل الرماد، نرى بداية عهود الزراعة في بداية الألف السادس ق.م، وكانت البيوت محاذية للطرقات، متعددة الغرف، وكانت ثمة جماجم لآباء السكان توضع على قواعد أشبه بالتماثيل الطينية في وسط البناء تكريماً وتعظيماً للأجداد.

ولقد عُثر على تماثيل مختلفة بعضها تمثل وجهاً بشرياً من الطين ملون بالأحمر وله عينان، كما عُثر على أوان حجرية، وابتدأت صناعة الفخار منذ ذلك الوقت مبكرةً عن عهدها في أوربا. ويجب أن نتذكر أن تل الرماد قرب بلدة قطنا، كان موقعاً مؤسساً لتكون مدينة دمشق مع غيره من المواقع مثل تل أسود وتل الصالحية، ولكن في هذا التل عاش الإنسان على زراعة الأشجار والحبوب لتوفر الماء وخصب الأرض.

وسائل الحياة والحماية

كان لابد للإنسان في ما قبل التاريخ من وسائل دفاعية، ونظراً لعدم اكتشاف المعدن في ذلك التاريخ، فلقد استعمل الحجر على اختلاف أنواعه لصناعة الفؤوس والحراب، ولقد عُثر في تل المريبط على العديد منها، ولكن في بقرص أصبحت أكثر تشذيباً وصقلاً.

وفي تل الرماد قرب دمشق^(١٢) عُثر على فأس ورأس سهم ونصل منجل، وتظهر في مقدمة رأس السهم مسننات ناعمة على الجانبين كأسنان المنشار، وكذلك الأمر على نصل المنجل، ونرى على الوجه العلوي ما يسمى بلمعة المنجل التي تدل على مدى استعمال هذا المنجل سواء في الأعمال الدفاعية أو الزراعية. والاكتشاف الهام في هذه المرحلة التي تدخل في نطاق العصر الحجري الحديث هو ظهور الأسوار مثل أسوار «تل حالوة»، على الفرات، وتل الصالحية

في دمشق^(١٢) ويبقى إنشاء الأسوار دليلاً على الاستقلال السياسي وظهور النظام الإداري والعسكري لتحقيق المنعة والتحصين ضد العدوان الخارجي.

إن اللقى الصوانية التي تم اكتشافها في المواقع الأثرية التي تعود إلى ما قبل التاريخ تُبين طريقة التعامل مع الحياة لتحقيق الاستقرار والأمن، ولعل أكثر هذه اللقى هي أدوات حربية بذاتها، كان الإنسان القديم يستخدمها قبل اكتشاف المعدن، من الحجر الصوان القاسي، وكانت هذه الأسلحة ضخمة غليظة في العصور الحجرية القديمة، ثم أصبحت دقيقة مشدبة في أواخر العصر الحجري الحديث. ولقد اكتشف في موقع «أم التلال» (بين تدمر والفرات) على أدوات راقية الصنع ومثالها رأس نبلة من الصوان، ونصيلات مستقيمة أو ملتوية. ولقد عثر على أدوات تحمل بقايا القار الذي استخدم منذ ذلك الزمن لتثبيت الأدوات على المقابض أو الرماح. ولقد دلت التحاليل على أن هذا القار عولج بالحرارة بشكل منظم. وفي الجرف الأحمر على الفرات، عثر على أدوات صوانية عسكرية نقش عليها رسوم هندسية ورموز وحيوانات. وهذه الأدوات التي تعود إلى أحد عشر ألف عام ق.م تأخذ شكل القدوم والمكاشط والثواقب والأنصال ورؤوس السهام التي عثر على أنماط منها في مواقع: الخيام وحلوان والمريبط... ولكن في «الجرف الأحمر» كانت ثمة أدوات عسكرية مصنوعة من العظم على شكل إبر بعيون مشروطة، وأنصاب بلطات مصنوعة من قرون الإبل، ولقد ثبتت هذه الأدوات مع مقابضها، هذه المقابض التي اكتشفت لأول مرة في هذه المواقع.

على أن موقع تل صبي أبيض على البليخ قدم لنا نموذجاً لمستقر محصن يعود إلى القرنين ١٢-١٣ ق.م. وفي موقع الكوم قدير شمالي تدمر تم اكتشاف موقع أثري يعود إلى الألف السابع ق.م وكان الإنسان قد سيطر بقوة على الزراعة وتدجين الحيوان، واستطاع أن يستقر ويبني بيوتاً فوق أكمة قرب نبع غزير، وقد بدت هذه المجموعة السكنية متناسقة بينها فسحات وأزقة، وكانت البيوت كبيرة أو صغيرة ذات غرف مخططها مضلع وذات جدران خارجية متينة ومدعمة القواعد، واعتني بتوزيع المجاري لتسريب المياه، مع أركان لإشعال النار فيها

موقد أو تنور، ولقد عثر في الموقع على أحجار كريمة مما يشير إلى أن السكان كانوا يمارسون التجارة. وكشف هذا التل عن أسلوب حياة البدو في العصر الحجري الحديث.^(١٣)

وفي تل حائلة على الفرات تم اكتشاف نظام مماثل لتسريب المياه يعود إلى ٨٧٠٠ ق.م واستمر الاستيطان مئتي عام ، ولكن هذا التل يمتاز بتقدم صناعة الأدوات والأسلحة من الصوان الأسود (الأبسيدي والكوارتز) ومثالها رؤوس سهام وهيكل المناجل المركبة بظهور محدبة وشفرات ومكاشط. كما يمتاز هذا التل بالعثور على آثار سور.

وكما ذكرنا فإن من أهم المواقع الأثرية في العصر الوسيط والحديث تل المريبط الذي يقع على الضفة اليسرى للفرات مقابل مسكنه (بالس)، وهو موقع يعود إلى ٨٣٠٠ ق.م وهو العصر النطوفي أي عصر وادي النطوف في فلسطين،

ومن حسن الحظ أن عمليات التنقيب السريع التي جاءت قبيل غمر الحوض بمياه سد الفرات، قد وصلت إلى اكتشاف أقدم منزل مبني وهو مسكن دائري محاط بسياج ارتفاعه ٧٠ سم من ألواح الطين المجفف المدعم بأعمدة الحور الفراتي، وقد غطيت بطبقة طينية دفن تحتها جثث أحد الأجداد، وفي وسط المنزل موقد، واكتشف حوله أدوات صوانية كالمنجل والمكشط والمنكاش والمخرز والمثقب والمسنن. (شكل ٣)



٣- ربة الخصب- المريبط

وكان ثمة منازل شتوية وأخرى صيفية، ومن ميزات هذه البيوت صغر حجمها، وكان بلاطها ملوناً أحياناً كما كانت جدرانها مزينة ببعض الأشكال الهندسية، أما السقوف فكانت مغطاة بطين مدكوك مع الأعشاب، مما نراه في بيوت القرى الشمالية اليوم.

وفي أبي هريرة التي تبعد عن المريبط ٤٠ كم نرى آثار العصر الحجري الحديث واضحة وتعود إلى الألف السابعة قبل الميلاد، وفيها عثر على تكون سكني مضيع وفيه مصاطب للجلوس والأرض مفروشة ببلاط أسود، وكانت النوافذ صغيرة وعالية لتحقيق الأمن، ولم يكشف لهذا المجتمع السكني سور أو أي تحصين رغم امتداده على مساحة ١١,٥ هكتاراً وكان عدد سكانها ٣٠٠٠ نسمة ولعله أصبح ٣٠٠ بسبب الكوارث الطبيعية والأمراض أو الصراعات والحروب التي كانت بين المواقع المختلفة، تزامنت على الأرض الطيبة والمياه والأرزاق، وكان الناس يعيشون على الصيد الذي يقوم على نصب الشراك الجماعية حيث يساق القطيع نحو الحظيرة، كما يحصل حتى عهد قريب في بادية الشام حيث تقام حفر تساق إليها الغزلان.

التقدم المدني

منذ الألف السابعة وحتى الخامسة قبل الميلاد تم صعود سومري من عصر عبيد، وعبر النهر إلى مواقع على الفرات من أهمها «حبوبة كبيرة وماري» وفي تل مشنقة تم العثور على نماذج للزوارق التي تعود إلى عهد عبيد ٥٠٠٠ ق.م، مازالت تستعمل أشباهها حتى اليوم مؤلفة من رزمة من القصب المتراص، وفي هذا الموقع عثر على سور حماية، لعله كان دائري الشكل مرتبطاً بمنشآت محصنة أخرى.

وفي موقع «تل حلف» في الجزيرة العليا كانت حضارة نتعرف عليها من خلال الأواني الحلقية الملونة، ومن خلال مساكنهم. وأعقب هذه الحضارة في الألف الرابع الحضارة العبيدية التي شكلت انعطافاً في العمارة والفخار بأشكال وألوان متعددة. ومن العراق أيضاً جاءت حضارة «الوركاء» فظهرت

مستوطنات ومنشآت نراها في «تل براك» وفي «حبوبة كبيرة» المسورة..^(١١)
وكان هذا العصر مقدمة لعصر نشأة المدن الأولى في سورية وأهمها «إيبلا
وماري».

وفي العصر النحاسي (الكالكوليت) ظهرت أوائل المباني العامة كالمعابد
واستخدم فيها عدا اللبن، الحجر وتحسنت الزراعة ووسائل الري وظهرت
التجمعات العشائرية. وفي «تل قناص» تم اكتشاف ثلاثة معابد هامة.

الفصل الثالث

المكتشفات الأثرية في عهد الاسرات

تل براك

تل حبوبة كبيرة

بلاد عمورو

مملكة صارغون

محاولة توحيد المنطقة

السومريون

القبائل العربية

الفصل الثالث

المكتشفات الأثرية في عهد الاسرات

تل براك

قبل أن نتحدث عن إيبلا وماري، لابد أن نعرض للحديث عن «تل براك» الذي يقع غربي نهر «جفجغ» أحد روافد نهر الخابور وعلى بعد ٤٢ كم من مدينة الحسكة. وكما ذكرنا فإن على هذا التل كان مقر «نارام سين» وكان قوي التحصين منيعاً.^(١٥)

ولقد شهد هذا التل أحداثاً عسكرية هامة، امتدت خلال حقبة طويلة من الزمن أي من الألف السادس إلى الألف الثاني ق.م، وفي هذا التل عُثر على بناء مدرج ومعبد وفيه عُثر على محتويات هامة، ففي المعبد عُثر على تماثيل حيوانات وأقنعة بشرية وعيون أصنام حتى سمي بالمعبد العيون. كما عُثر على مئات من التماثيل وآلاف من الكسر الحجرية والرخامية تمثل أشخاصاً لم يعرض منها إلا الكتفان والرقبة والعينان البارزتان جداً، مما يدل على سحر الإصابة بالعين، فهي إذن تماثيل لتحمي من الشر والعدو. ولعلها تعاويذ قدمها السكان إلى المعبد تعبيراً عن تفانيهم لصد العدوان المحتمل الذي يهدد المدينة. وثمة تماثيل عُثر عليها في المعبد في شرفة العيون، تمثل حيوانات كالضفدع والقنفذ والدب والأسد. (شكل ٤)



٤- تل براك- أصنام العيون

تل حبوبة كبيرة

ليس بعيداً عن هذا التل اكتشف «تل حبوبة كبيرة» على الضفة اليمنى للفرات الأوسط والذي يعود إلى ٣٥٠٠-٣٣٠٠ ق.م مع موقعين آخرين هما «قناص» و«جبل عرودة»، وهذه المواقع تعتبر من أهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى. لقد بدا مخطط «حبوبة» واضحاً تماماً بعد عمليات التنقيب التي تمت منذ عام ١٩٦٩. فعلى الضفة الفرات وخلف أسوار منيعة ظهرت المدينة بمخططها المنتظم وأبنيتها الآجرية مقسمة إلى أحياء سكنية، وأحياء مشاغل ومنطقة إدارية فيها أثر للقصر والمعبد وإلى الجنوب امتدت بساتين مروية.^(١٥)

بلغ عرض سور «حبوبة» ثلاثة أمتار مدعم بالأبراج التي تنتهي بمحارس في أعلاها، وعلى السور أفاريز أو نتوءات أمامية وخلفية على مسافات متساوية تذكرنا بأسوار قلعة حلب، وأمام السور الأصلي يقوم سور آخر أضعف وأقل عرضاً. وكان للسور بوابتان. ولم يبق من هذا السور الحصين إلا المداميك السفلى، أما في الجنوب فلقد زالت آثاره، بسبب العوامل الجوية والأمطار، ولعل السور كان ممتداً حول مساحة ١٨ هكتاراً. (شكل ٥)



٥- تل حبوبة كبيرة - عمران المدينة

لقد عاشت «حبوبة» ما يقرب ١٥٠ عاماً، ويدل السور على وجود تهديد خارجي أدى إلى هجرة السكان. ولقد مضت قرون عديدة حتى عاد الإنسان لاستيطان هذا التل.

عثر في تل «حبوبة» على كثير من اللقى، منها أختام لربطات أكياس مختومة على الطين تمثل أسوداً وطيوراً ووعابين وعقارب لطرد الشر والأذى والعدوان، وعليها أرقام رمزية لأول مرة في التاريخ. لقد كانت هذه الأختام الطينية تمسك رباط الأكياس التي تحمل البضائع والرسائل، فلا تفتح دون كسر هذه الأختام. وعثر على بعض التماثيل التي تمثل حيوانات رمزية تستخدم كتعاويز وتصنع من الأحجار الكريمة. وكان معناها الرمزي يرمي إلى الحماية من الأخطار والعدوانات. ولمثل هذا الهدف كانت تقدم القرابين إلى الآلهة تقرباً وسعيًا وراء حمايتها، وقد عثر على أباريق على أشكال مختلفة منها شكل قنفذ وقد صمم بشكل يحاكي أشكال الفن الحديث.

بلاد عمورو

بدأ التاريخ في سورية مع عصر السلالات الأولى، حيث تم اكتشاف كتابات يمكن الاعتماد عليها في تأريخ المنطقة. فلقد توسعت القرى القديمة لكي تشكل

ممالك لها تقاليدها وعاداتها وعبادتها ونظامها الاجتماعي والسياسي. ولقد كشفت وثائق إيبلا ١٩٧٤-١٩٧٥ وهي رقم طينية، عن العلاقات الدولية وعن النظام السياسي والاقتصادي. ومن خلالها تم الاطلاع على التوسع الذي ادعاه الملك (لوغال زاغيري) من مدينة «أوما» من أنه سيطر على المنطقة من البحر السفلي (الخليج) والبحر العلوي (المتوسط)، إي بلاد عمورو.

إن هذه التسمية تعني سكان الغرب ولقد أطلقها الأكاديون منذ عهد صارغون على إخوانهم ممن نزحوا باتجاه الغرب، وفي اللغة السومرية أطلق عليهم اسم «مارتو» التي تحمل نفس المعنى^(١٦).

ولقد عرفت هذه المنطقة باسم بلاد عمورو وأطلق على البحر الأبيض المتوسط اسم «بحر عمورو العظيم» كما عرف إله العموريين اسم «عمورو» وهو إله الصيد والحرب وزوجته عاشرة، ربة المسرات والنشاط وتشبه عشتار.

وتمتد حدود بلاد عمورو لتشمل سورية ولبنان والأردن وفلسطين. بل لقد امتدت إلى بلاد الرافدين بين عامي (٢١٠٠-١٨٠٠ ق.م). ففي الجنوب كانت سلالة ايسن في «لارسا»، ثم قضت على هذه السلالة سلالة بابل الأولى التي تزعمها حمورابي وهي سلالة عمورية أيضاً. وفي الشمال فإن سلالة شمشي أد ١٨١٢ ق.م التي أسست بلاد آشور كانت ذات أصل عموري أيضاً.

ولقد وصلت سورية إلى عهد ازدهارها في زمن السلالات العمورية التي تعرضت لحروب مختلفة، بعضها مع ملوك الحواضر المجاورة التي تتفق معها باللغة والعقيدة، وبعضها مع الغزاة من الميتانيين والكاشيين والحثيين الغرباء عن السكان باللغة والعقيدة والحضارة. والحق أن سورية في هذه الحقبة ورغم ازدهارها وبسببه كانت حلبة الصراع والحروب، وكانت أكثر هذه المواقع محصنة بأسوار الحماية من العدوان المتكررة.

وفي «تل البيعة» «توتول» حصن بلغت سماكته ٨,٣ متر ولبوابة البرج أو الحصن المنيع ممر بطول ٢٠ متراً. وفي «تل بيدر» على العويج - الخابور، تحصينات دائرية تعود إلى الألف الثالث، وكان السور يحيط بالموقع برمته، وهناك مجموعة من الأبواب.

وفي «تل العشارة» «ترقا» وهي مدينة هامة على الفرات في الألف الثالث ظهرت آثار أسوار ضخمة وآثار هامة حققتها البعثة الأمريكية التي تولاهما جيورجو بوتشيلاتي وزوجته مارلين، واستمر بناء التحصينات في حوض الفرات، وفي تل بازي عثر على شبه جزيرة محاطة بسور يعود إلى القرن ١٤-١٢ ق.م، وليس بعيداً عن هذا الموقع مواقع مسورة أخرى مثل «إيمار»، «فاقوص»، «القيطار»، وكانت قلاعاً محصنة ضد غزوات الميتانيين والحثيين، وفي هذا الموقع عثر على أدوات حربية برونزية هي خنجر بقبضة يد برونزية بطول ٣٠ سم.

ويجب أن يكون واضحاً أن المدن الأولى التي ظهرت في هذه المنطقة، لم تستطع تحقيق وحدة سياسية، بسبب ضعف وسائل الاتصال، ولكن ثمة وحدة حضارية تتمثل باللغة والعقيدة والفن، كانت الصفة العامة في توضيح هوية سكان المنطقة التي تمتد من الفرات إلى البحر.

أما صارغون ملك أكاد ٢٣٥٠ ق.م فإن أعقابه ينتمون إلى الهوية العمورية ودليل ذلك اسم أحدهم «نارام سين» الشهير. ولعل ماري «تل الحريري» التي تقع على الفرات في سورية كانت عاصمة الإمبراطورية العمورية. وتتابع التنقيبات في التلال الأثرية السورية أعمالها للكشف عن أبعادها. وليست إيبلا «تل مردوخ» إلا حاضرة عمورية لا تقل أهمية عن ماري، بل لعلها كانت أوسع نفوذاً نظراً لموقعها المتوسط من بلاد عمورو.

أما يحاض «حلب»، وترقا «العشارة»، وألاخ «تل عطشانة»، وعمريت وقطنه «المشرفة»، وتل خويرة، فإنها مواقع هامة حافلة بالآثار المكتشفة أو هي في طريق الاكتشاف، وهي تؤكد اتساع الإمبراطورية العمورية، هذه الإمبراطورية التي استمرت حتى منتصف الألف الثاني ق.م، حيث ظهر النفوذ المصري واشتد التنازع بين المصريين وبين البابليين والآشوريين والحثيين. ولقد تم التعرف على ملوك ماري وإيبلا من خلال آلاف الرقم التي أوضحت أبعاد هذه الإمبراطورية ووضحت علاقة المدن ببعضها. وتحدثت عن الحروب التي تمت

مع الأقوام أو المدن الأخرى.. وكان الهكسوس من العموريين الذين هاجروا إلى مصر واستمر حكمهم لها من عام ١٧٨٥ ق.م - ١٥٨٠ ق.م

مملكة صارغون

تذكر الحوليات أن «صارغون» ولد من أب أكادي وكانت أمه ابنة الآلهة، ولدته وأنكرته فوضعتة في سلة من القصب وتركته في نهر الفرات فعثر عليه الساقى «أكى»، فرباه حتى إذا شب وقعت الآلهة عشتار بحبه فرفعت من مركزه وسلطان صارغون. (أوشاروم كين) ويعني اسمه الملك الشرعي (شكل ٦)

لقد كان صارغون ونارام سين حفيده من الأسماء اللامعة التي عملت على توسيع نطاق الوحدة السياسية ولو بالقوة ولقد تمكنت سلالتهم من الحكم ١٨٠ سنة.

قام «صارغون» بتنظيم الجيش وبتجديده وتحديث عتاده، وجعل على كل منطقة خاضعة لنفوذه حاكماً يسمى «عبد الملك» وجعل عاصمته مدينة «أكاد» وامتد سلطانه إلى جميع بلاد الشام حتى البحر. وفي «نينوى» تم اكتشاف رأس برونزي محفوظ في متحف بغداد، يمثل هذا الزعيم العربي الأول الذي عاش في النصف الثاني من الألف الثالث وحكم ما يقرب من نصف قرن، وقد بدا وجهه حازماً وعلى فمه ابتسامة هادئة رقيقة وربط شعره بعصابة وبدت لحيته منظمة، بشكل خصلات تعبر عن العظمة والقوة، وعلى رأسه خوذة معدنية دلالة على صفته الحربية. (شكل ٦) ولقد سجلت بعض انتصارات هذا الملك على لوحة من حجر الديوريت موجودة في متحف اللوفر.

ونرى لوحة أخرى تمثل معركة قادها ابنه «ريموش» الذي حكم تسع سنوات، ثم جاء بعده أخوه «مانشتوسو» الذي حكم خمسة عشر عاماً، وترك لنا مسلة حجرية نقش عليها أعماله الحربية. ثم جاء «نارام سين» الشهير حفيد «صارغون» والذي حكم ما يقرب من أربعين سنة واشتهر كمحارب وبناء.

ولقد تمكنت أسرة «صارغون» من الحكم مدة مئة وثمانين عاماً وكانت قوتهم العسكرية الداعمة لإمبراطوريتهم الواسعة، والصامدة أمام العدوان، السبيل لتحقيق وحدة واسعة سياسياً وحضارياً.

وبعد «نارام سين» كان ثمة ملوك ضعاف مما أدى إلى تفكك هذه الإمبراطورية وإعادة ظهور مدن سومرية مثل «لاغاش» التي رأسها «غوديا» و«أور» التي حكمها «أورنامو». وفي متحف اللوفر مجموعة من التماثيل التي تمثل «غوديا» ملك «لاغاش» تمثيلاً حقيقياً، وهو من العشرين إلى الأربعين من عمره، قصير القامة له رقبة قصيرة ويرتدي رداءً حتى قدمه وعلى رأسه قلنسوة أشبه باللفة العراقية الحالية.

كونت أسرة «صارغون» إمبراطورية واسعة كانت تضم معظم أقطار الهلال الخصيب وبعض مقاطعات آسية الصغرى ووصلت إلى البحر، بل إن «صارغون» غزا جزيرة كريت وبعض جزر البحرين «دلمون». وكان «نارام سين» من أبرز أعضاء هذه الأسرة، وفي موقع «تل براك» بمنطقة الخابور كان مقره ومن ثم انطلق بجيوشه في معارك النصر. ولقد خلد بعض انتصاراته في لوحة محفوظة في اللوفر وتمثل انتصاره في «سيبار» مدينة الإله «شماش». وهذه اللوحة الشهيرة هي من الحجر الوردي وفيها ما يزيد عن عشرين محارباً في جيشين، وفي أحد المشهدين تسعة جنود يقابلون تسعة جنود من الأعداء وبينهم «نارام سين» واقفاً في منطقة ذات مرتفعات تغطيها الغابات. ويُرى المحاربون الأكاديون على صفين من المشاة يلاحقون أعداء هم الفارين أمامهم، ويطأ «نارام سين» تحت قدمه جثتين ويحمل قوساً حربياً بيده اليسرى، بينما سقط عدو آخر من حافة الجبل، فيبدو مسجى وبيده القوس الحربي، وكان «نارام سين» يحمي رأسه بخوذة تشبه ما تتحلى به الآلهة لوجود قرنين ظاهرين في طرفيها. وخلف هذا المشهد يسطع في السماء نجمان يشيران إلى الآلهة التي ساعدته في انتصاره.

محاولة توحيد المنطقة

لعل أقدم بيئة حضارية عربية، هي البيئة الأكادية، وأكاد مدينة لا يعرف موقعها تماماً بين الرافدين، ولكن هويتها التي تتجلى من خلال اللغة والعقيدة وعلاقتها بالحواضر الممتدة نحو الغرب حتى البحر، تجعلنا نبدأ الحديث عنها وعن الأحداث القديمة، وهي حركات توحيدية أو تضامنية مع شعوب الحواضر الأخرى، تمت غالباً بالقوة العسكرية المنظمة.

كان هدف حروب «صارغون» وأولاده وحفيده «نارام سين»، توحيد البلاد وإبراز شخصية تلك الشعوب المتقاربة في جنسها وطبائعها وأهدافها..

لقد سمح نهر الفرات بظهور حياة التمدن والمدن والحواضر التي يجري اكتشافها اليوم والتي كانت تتبادل العلاقات التجارية، تربطها ببعضها وشائج اللغة الموحدة. ولكن حركات الوحدة السياسية والاقتصادية التي كانت تتم بالقوة والقهر أو بالحوار والمعاهدات، كانت تجعل هذه الحواضر بحالة التأهب والتحصين والاستعداد العسكري، وإذا كانت «ماري» هي من أهم هذه الحواضر على الفرات، فإن «تل حلف» و«إيبلا» في الداخل و«أوغاريت» على الساحل، مع امتدادات هذه المواقع على مساحات واسعة، شكلت حدود سورية القديمة التي لم تكن ثابتة، بل وصلت إلى الجزيرة والأناضول والساحل المتوسط حتى سيناء.

السومريون

كان السومريون سكان جنوب الرافدين قد حكموا بقوة الحديد والنار، وكان «لوكال زاجيري» ملك «أوروك» ويمتد ملكه (من البحر الأسفل أي الخليج إلى الأعلى أي المتوسط). ولم نستطع تحديد هوية السومريين لاختلاف لغتهم عن أصل العربية، لكن الملك «صارغون الأكادي» الذي يعتبر أول زعيم لأمة تتكلم أصل اللغة العربية، أنهى حكم «زاجيري»، وكان لدوره أثر كبير في بناء قصة

تاريخ الشرق القديم. وفي كتابه (حقيقة السومريين) ينفي نائل حنون الوجود السومري^(١٧)

وليس بين أيدينا وثائق عن ظروف حملة «صارغون» ، ولكننا نعرف نتائجها ومن أولها إنشاء مدينة أكاد، وأصبح «صارغون» سيداً على «جهات العالم الأربع» وهي «عمورو» وتعني الغرب و«سويارتو» في الشمال و«سومر» و«أكاد» في الجنوب و«عيلام» في الشرق.

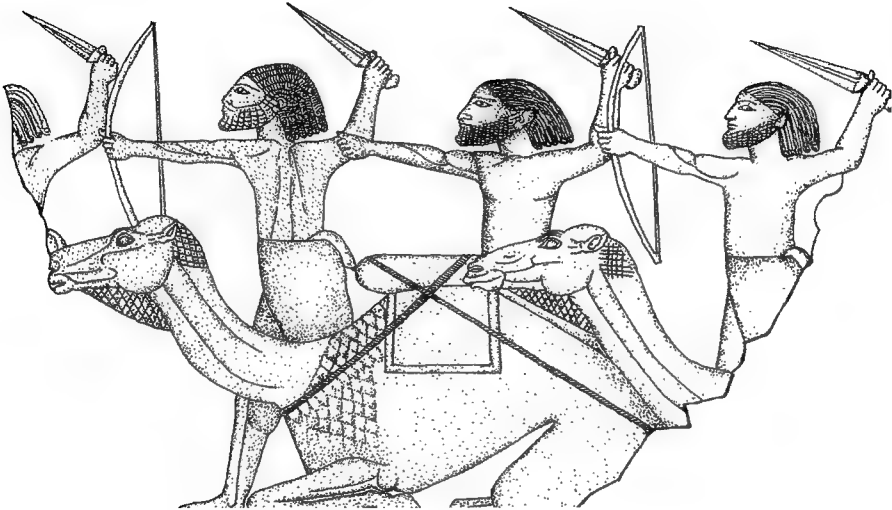
ومن سومر الواقعة جنوب العراق كانت لاغاش « تلولو» هي العاصمة. وفيها تم اكتشاف نصب حجري أطلق عليه اسم «مسلة العقبان» ، وعليها نقش مسماري يتضمن ذكر معاهدة بين الملك «ايناتوم» وملك أوما. أما المشهد التمثيلي فيتضمن جنود الأعداء المهزومين تنهشهم سباع الجو وتفقأ عيνοهم. وفي الوجه الخلفي يبدو الملك بخوذته الجلدية ومئزره الصوفي (كوناكس) يسير في مقدمة جنوده المشاة الذين تسلحوا بالتروس الثقيلة وبالرماح الطويلة. يسيرون فوق جثث أعدائهم، وفي المشهد الأسفل يرى الملك يقود عربته الحربية الثقيلة ذات العجلات الأربع مسلحاً برمح طويل وجعبة نبال.^(١٨)

مرت بالأكاديين أحداث انتقامية من السومريين، ولقد استطاعت شعوب تنتمي أيضاً إلى الأرومة الأكادية العربية أن تسترد الحكم في المناطق التي ساد فيها السومريون، فكانت «لارسا» في الرافدين وماري على الفرات مركز حضارة جديدة، كما كانت إيبلا في وسط سوريا مركزاً حضارياً صرفاً ظهرت فيه سمات الهوية العربية من خلال اللغة والعقيدة والفنون.

القبائل العربية

إذا كان سكان المنطقة الشمالية قد توطنوا واندمجوا في حضارة ذلك العهد، فإن الأعراب في البادية كان أكثرهم على بداوته في الجنوب. وفي أخبار «شاروكين» أو «صرغون الثاني الآشوري»، ذكر لاسم قبائل «شمو» و«عبابيدي» و«مرسيمانو» و«الخيافة»، وهم العرب البعيدون القاطنون في البادية، لا يعرفون حاكماً أو نظاماً ولم يؤدوا الجزية إلى أي ملك. علماً أن القبائل العربية في البادية كانت على اتصال بالممالك المتحضرة، بل إن قبيلة عربية برئاسة الشيخ جندب العربي كانت قد تعاونت مع ملك دمشق في موقعة «قرقر» عندما هاجم دمشق «شلمنصر الثالث» ملك «آشور».

وتذكر «شترومنغر» (أن العرب لم يكونوا مجرد رعاة غنم وإبل، بل كانوا تجاراً أوصلتهم تجارتهم بقوافلهم إلى مناطق مستقرة. وقد شاركوا في المعارك، إذ كانت بادية الشام مسرحاً لصراعات كبيرة بين الرافديين والآراميين والكنعانيين... أصل العرب، لأن كلمة عرب كلمة قديمة تعني شعوب هذه المنطقة الذين كانوا أعراباً في البادية وعرباً في الحضرة.) (شكل ٧)



٧- الأعراب

على أن مبرر استعمال صفة العرب هو اللغة، فلقد تأكد علماء اللغة أن اللغة العربية الحالية قديمة جداً وترجع إلى بداية التاريخ، ولكنها كانت على شكل لهجات، الأكادية والإيبلائية والآرامية والكنعانية ثم النبطية فالعربية. ونظرة متفحصة للمعجم المقارن بين هذه اللهجات، تتوضح الأواصر اللغوية وأساس اللغة العربية. بل أساس الأمة العربية وقصة التاريخ العربي منذ بداية التاريخ. وهكذا فإن حضارات هذه المنطقة كانت عربية وليست سامية، فهي عربية بحسب اللفظ القديم الذي يعني سكان الحواضر مما يميزهم عن سكان البوادي الأعراب كما في القرآن الكريم، أما النعت السامي فهو توراثي يخالف الواقع والتاريخ. ولقد أوضح المؤرخون خطأ تصنيف الأمم التوراتي الذي أصبح مهملًا.

الفصل الرابع

البحث عن العهد القديم في سورية

التوراة والتاريخ

علم الآثار التوراتي

نقد التاريخ التوراتي

الفصل الرابع

البحث عن العهد القديم في سورية

التوراة والتاريخ

لايستطع المؤرخون استخلاص تاريخ سورية من خلال العهد القديم ، فلقد عاصر مدونو التوراة فترة محددة من التاريخ تعود إلى عهد السبي، فكتبوا عن الأحداث والوقائع القريبة منهم والتي تعود إلى العهد الآشوري والتاريخ الكلداني. ثم نلاحظ انقطاعا



٨- التوراة

في تتابع الأحداث، لكي نقرأ شيئاً من تاريخ اليونان في الشرق في إصحاحي المكابيين كتباً في فترة المكابيين ١٦٧/٣٧ ق.م باللغة اليونانية أصلاً. ولكن المؤرخين لا يستطيعون الاعتماد كلياً على ما ورد في هذا التاريخ، فكثير من الأحداث الواردة فيه لا تطابق الواقع المكتشف. (شكل ٨)

أما الأحداث الأخرى فهي روائية مستمدة من مصادر مختلفة، وقد حملت طابعاً أسطورياً عندما كانت أصولها تعود إلى أساطير قديمة، أو طابعاً قدسياً عندما كانت تتحدث عن أشخاص ترفعهم أفعالهم وحتى أخطاؤهم إلى مرتبة النبوة، فهم محميون لنسبهم الإسرائيلي المقدس.

وإذا تجاوزنا القسم الأول البنتاتيكي إلى القسمين الآخرين النبئيين والكتوبيين، فإننا نقرأ أخباراً لا أهمية تاريخية لها، بل هي عرض لأخبار شخصيات يهودية، أو هي كتابات شاعرية تحوي كثيراً من الصور الفاضحة أطلق عليها العهد القديم.

الجغرافية التوراتية

يتضمن التوراة مجموعات واسعة من أسماء الأمم والملوك والأشخاص ومجموعات واسعة من أسماء الأمكنة. ولم تؤكد الكشف أياً من المجموعات الأولى التاريخية.

فلقد وجد القليل من مجموعات الأسماء الجغرافية، مرتسماً له على الأرض الفلسطينية، مما يعود إلى العهود الكنعانية والفلسطينية. وعندما استطاع الحشمونيون إقامة دولة يهودية مستقرة لقرنين من الزمن (١٤٢ ق.م - ٦٣ م) اعتبروا أنفسهم ورثة بني إسرائيل، وعملوا على تثبيت الأسماء الجغرافية الإسرائيلية على أرض فلسطين. ثم جاء يوسفوس المؤرخ اليهودي في عام (٧٠ م) لكي يتحدث عن تاريخ اليهود من خلال الواقع الجغرافي الذي صورته الحشمونيون، ومن خلال التوراة. وسار المؤرخون من بعده على طريقه، حتى المؤرخ ابن إسحاق فقد كان أول من نقل عن التوراة، ويقول ابن النديم عنه «وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول». ولقد أخذ عنه الطبري وابن الأثير في تحديد سلالات الأنبياء وتحديد الأقوام والأمم مما يتفق مع التوراة. وعندما نشط علم الآثار لتأكيد أخبار العهد القديم، لم يكن من مسلمات يعتمد عليها إلا الجغرافية التوراتية التي أوجدها الحشمونيون ونشرها

يوسفوس. ثم قام الأثريون على أساسها بمحاولة تأكيد الأساطير التاريخية دونما نتيجة. حتى يأسوا من المسلمات الجغرافية ذاتها، ولكن دون أن يفكروا بالبحث عن أرض بديلة.

وفي كتاب كمال صليبي محاولة لنفي الجغرافية التوراتية. ^(١٨)

لأن التوراة أصبحت المصدر الافتراضي للتاريخ القديم الذي جرت أحداثه في منطقتنا العربية، فإن علماء الآثار اتجهوا إلى هذه المنطقة باحثين عن آثار هذا التاريخ القديم. ولقد التقت جهودهم عن قصد أو غير قصد، بالأهداف الصهيونية التي تريد أن تؤكد طبيعة الأرض التاريخية، وأن تؤكد أحداث التوراة وتاريخهم ووجودهم على مسرح الأحداث الهامة، ودورهم الديني المتميز.

ولكن لا بد من القول إن أعمال التنقيب التي ابتدأت في فلسطين منذ عام ١٨٦٥ كانت خاطئة، ولم تستفد الصهيونية ولا التوراتيين من بعثة وارين /١٨٧٦/ أو تيري /١٨٩٠/ في الكشف عن آثار توراتية. بل إن البرايت الشهير لم يأت بأي كشف هام، على الرغم من أنه استفاد من تصنيف الفخار لتحديد الأزمنة التي ربطها عبثاً بالأزمنة التوراتية. ^(١٩)

لقد كان هدف جمعية صندوق استكشاف فلسطين التي كانت وراء هذه البعثات الأثرية، البحث وفق منهج دقيق ووثيق في آثار الأرض المقدسة وطبوغرافيتها وجيولوجيتها وجغرافيتها الطبيعية، وعادات سكانها وتقاليدهم وذلك من أجل هدف أساسي هو إيضاح التوراة. وكان من أبرز من قام بالتنقيب في فلسطين والأردن فيما بعد. غلوك الذي قال: «كلما كنت أذهب مستكشفاً كنت استعمل التوراة كدليل للآثار، وأثق ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهداها وحتى تلميحاتها» ^(٢٠)

نقد التاريخ التوراتي

منذ العام ١٩٥٢ قامت عالمة السيدة كينون بحفرياتهما في أريحا فنقضت أكثر ما جاء به البرايت، وبخاصة ما يتعلق بمزاعم تاريخية توراتية، وابتدأت أعمال التنقيب تسير باتجاه أكثر موضوعية. ^(٢١)

أما فيما يتعلق بجغرافية الأرض المقدسة فلقد أُعلن في ١٩٤٤ عن تأثير المسح الأثري الذي أكد وجود ٢٨٦٢ موقعاً أثرياً في فلسطين، ثم قام أهاروني بوضع دراسة عن الجغرافية التاريخية يتضمن فصلاً عن أسماء المواقع الفلسطينية القديمة مأخوذة مما ورد في التوراة أو الكتابات المصرية والسورية المكتشفة. (٢٢)

إن جميع المحاولات الاستشكافية في بلاد الشام (فلسطين والأردن وسورية ولبنان) لم تقدم أي دليل قاطع على أن ما ورد في التوراة كان حادثاً تاريخياً، ولم تؤكد أن المواقع التي وردت فيها تتطابق في وضعها وعلاقتها ببعضها مع ما هو قائم في فلسطين.

لقد كان همنا في المديرية العامة للآثار أن نجعل العمل الأثري طريقاً لتصحيح التاريخ القائم على الوهم، وجعل هذا العمل جهاداً لتحرير التاريخ من الأساطير والأوهام والمطامع المقدسة، وجعله علماً يقوم على المدونات والآثار والبحوث العلمية المحضة ولبحث وفق منهج دقيق ووثيق، أثرية إذ عندها فقط نستطيع أن نمسح من الخلفية والخيال التوراتي، وأن نستبدل بذلك الحقيقة التي هي موئل الفكر الأوربي العلماني الحديث.

ولقد تحول علماء الآثار، العاملون في بلادنا على الأقل، إلى المنطق واليقين العلمي وكانوا قد ابتدأوا سدنة للمنطق التوراتي، وهو أخطر تحول حققته السلطة الأثرية عندما كانت تلتزم أهدافاً قومية صريحة، وتفرض هيبتها العلمية على عمليات الحفر الأثري. (٢٣)

أثر هذا التحول كثيراً في الفكر الأثري العالمي، وانحسرت السياسة الصهيونية المدسوسة في المراكز الأثرية العالمية، وتعالّت أصوات العلمانيين الأثريين مما يبشر بنهاية عهد الهيمنة التوراتية على علم الآثار، وانفتاحه على الحقيقة العلمية، وفي ذلك انتصار كبير لنا كعلماء وكأصحاب قضية، في فك العلاقة العقائدية بين التاريخ والتوراة، وبين العلماء والكنيسة، وبالتالي بين الحق وبين الجور.

الفصل الخامس

تراث الحواضر الأولى

ماري (تل الحريري)

إيبلا (تل مردوخ)

أقدم معاهدة دولية وإشهار السلام

توتول («تل البيعة»)

الحثيون في سورية

سيطرة الآشوريين

دمشق القديمة

أور سلام (القدس)

الفصل الخامس

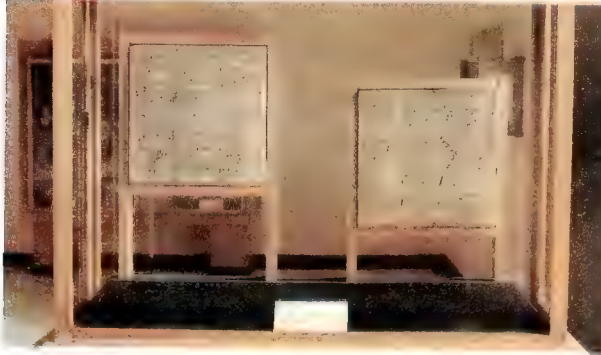
تراث الحواضر الأولى

ماري (تل الحريري)



ماري، رقيم من الطين - كتلة مسارية - لفة كبرى - شقف دمشق

ماري، بيت طيني نموذجي ٤، ١٢٠ سم شقف دمشق



٩- رقيم ومنزل من مكتشفات ماري

أفضى الاكتشاف الذي تم مصادفة لتمثال في تل الحريري في الفرات الأوسط على مقربة من الحدود الحالية بين سورية والعراق الى حفريات مستمرة أشرف عليها أندره بارو. ثم أخذ يشرف عليها منذ عام ١٩٧٦ جاك مارغورون. وفي تل الحريري يجد المرء أمامه مدينة ماري الشرقية القديمة

وأخبارها في أرشيف بابلي قديم اكتشف في قصر الملك زيمرليم. وقد تم الكشف عن هذا القصر بصورة تامة تقريباً. ولقد كان لضخامته وتجهيزاته

الحافلة من بينها رسوم جدارية شهرة واسعة في مصادر ذلك الزمان.^(٢٤)

إن أول المنشآت في ماري على الفرات، تعود إلى ٢٩٠٠ ق.م وكانت محاطة بسور قطره ٩, ١ كم ولم نعرف شيئاً عن مبانيها ولكن منذ ٢٣٥٠ ق.م أعيد إنشاء المدينة وكان من أبرز منشآتها القصر الكبير وحرمه ومعابد: «عشتار» و«نيني زازا» و«عشتارات» و«شماش» وفيها عثر على عدد من التماثيل الهامة وعدد من الأختام الأسطوانية التي نقش عليها رموز الحرب والسلام والعبادة والأساطير. وكان قصر الملك الواسع جداً مقراً للسلطة التجارية والتي تتوضح من خلال الصور الجدارية في باحة القصر، وكانت لوحات جصية سميكة تمثل تقديم القرابين للآلهة شكراً على انتصار أو تحرر، أو تمثل العبادة. كان قصر زيميريليم في ماري أشبه بمتحف للتماثيل والرسوم الجدارية التي تمثل جنوداً وصيادين، مع مناظر القربان والتضحية للآلهة ومشاهد تنويج ملك ماري، نقل بعضها إلى اللوفر.

لعل الرسم الجداري الذي اكتشف في قصر زيميريليم في مدينة ماري (شكل ١٠) هو أقدم الرسوم التي تحمل طابع الجمالية الفنية السورية، هو رسم



١٠ - لوحة جدارية من قصر زيميريليم - ماري

جداري على طلاء من الجص على طريقة (الفريسك) وهي رسوم متعددة الأشكال بقي بعضها سالماً، فيها جزء من موكب يتم فيه تقديم قربان، وجزء يمثل كاهناً



١١- لوحة جدارية من معبد عشتار- ماري

يسوق ثوراً، ويلبس حطة ذات حزام قماشي مزين بسلاسل من اللفات الصغيرة ولعله كان يرتدي مئزرًا يصل حتى الركبة، ويشد القبة الطرية بعصابة مزدوجة، ويبدو على رأس الحيوان زينة مألوفة في رسوم أخرى. وفي معبد عشتار عثر على بقايا لوح جداري يمثل الأضاحي. (شكل ١١)



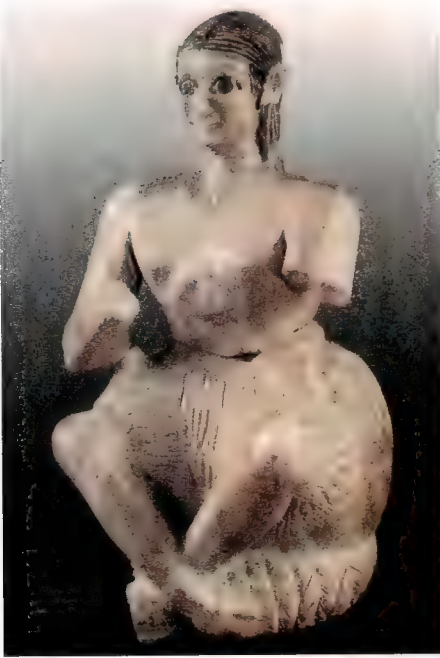
١٢ ربة الينبوع- ماري

من أبرز المكتشفات الفنية في ماري، تمثل ربة الينبوع ويعود إلى نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ويمثل هذا التمثال امرأة على صورة آلهة تحمل إناء ينفر منه ماء يتسرب على سطح ثوبها على شكل أمواج تتخللها أسماك واضحة، تكسي هذه المرأة رأسها وفوق شعرها المنسق بدقة وإبداع قبعة إلهية ذات قرنين معقوفين. (شكل ١٢)

ومن التماثيل الكاملة تمثل من الحجر الجصي يمثل رجل في وضع التعب والصلاة ويعود إلى العام ٢٦٥٠ م، وقد ضم يديه إلى صدره بحالة الخشوع، وكغيره من التماثيل يرتدي جلد الخاروف (كوناكس) كاشف القدمين الحافيين. (شكل ١٣)



١٣ - متعبد- ماري



١٤ - أور نينا- ماري

ويتتالى اكتشاف تماثيل كاملة منها تمثال رجل على كتفه نقش، يذكر اسم واهب التمثال إلى ملك ماري زيميريليم ويبدو بحجم أصغر من سابقه ويمثل كاهن المعبد الأكبر ويعود إلى العام ٢٤٦٠ ق.م.

من التماثيل النسائية المشهورة تمثال المغنية أورنانشي أو أورنينا والذي يعود إلى الفترة السابقة، وهو من أفضل أعمال النحت، ويمثل المغنية جالسة على كرسي عليه نقوش غائرة، وعلى رأسها قبعة (بولو) مغطاة بجلد الخاروف الذي يصل إلى الأرض ويتصل بجلد الخاروف الذي ترتديه المغنية. (شكل ١٤)

ومن أجمل القطع الفنية المركبة المكتشفة في ماري، تمثال صغير يمثل نسراً برأس أسد وهي من مشتملات الكشف الذي عثر عليه في كنز أطلق عليه اسم (أور) لعلاقة موجوداته بمكتشفات أور جنوب العراق، ولم تحدد طبيعة هذا الحيوان الأسطوري ولعله يرمز إلى الإله نين جرسو المقدس. وعلى قطعة مسطحة من اللازورد نرى خطوط الجسم الأساسية وريش الجناح على

نحو مبسط ومزخرف بنقوش شبيهة بحسك السمك، مع رقوش بشكل معين، وغلف الرأس والذيل بطبقة من الذهب الخالص فوق نواة من القار، وقد زينت أشعار الشاريين والجبين والريش بأشكال زخرفية، وغرس بحجر العيين بالقار الأسود.

لقد تم اكتشاف ما يقرب من ٢٥ ألف رقيم في مكتبة القصر في ماري، أبانت مدى ازدهار هذه الحضارة ومدى توسع نفوذها، والحروب التي دخلتها مع جاراتها لتحقيق الوحدة بزعامتها، ولقد استفادت ماري من موقعها الهام بوصفها ملتقى طرق المواصلات الكبيرة التي تصل البحر المتوسط والأناضول وغربي سورية من جهة، وسورية الوسطى والجنوبية من جهة أخرى، وكانت علاقتها التجارية تصل إلى «حاصور» في فلسطين وإلى «كريت» وقبرص و«حاتوشا» في الأناضول وإلى «دلمون» (البحرين) على الخليج العربي. وكانت تستورد النحاس من قبرص والقصدير من شمالي إيران لصنع الأسلحة المتطورة.

وفي الفترة ما بين ١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م نقرأ عن الممالك التي عاشرت ماري سلماً أو حرباً ومن هذه الممالك، مملكة قطنه «المشرفة» الواقعة شمال شرقي حمص، وفي هذه الرقم نتعرف على حكام قطنه وعن أول ملك معروف هو «أشخي أد». وفي محفوظات ماري نتعرف أيضاً على مملكة كركميش «جربلس» وكان «ابلا

خاندا» أول ملك

فيها. كما نتعرف

على علاقة اييلا

مع يحماض «حلب»

وكان عمورابي

من أبرز ملوك

يحماض. شارك

في الدفاع عن

سورية من توسع

ملك ماري زيميري

ليم. (شكل ١٥).



١٥- لوحة - معركة ماري مع يحماض

إيبلا (تل مردوخ)

تقع إيبلا في محافظة إدلب، وكانت المدينة العاصمة الكبيرة لشمالي سورية ما بين ٢٤٠٠-٢٣٠٠ ق.م ولقد سيطرت على طرق التجارة الواسعة باتجاه البحر غرباً والأناضول شمالاً وبلاد الرافدين شرقاً، ومنذ عام ١٩٧٤ تم اكتشاف وثائق القصر الملكي المؤلفة من آلاف الألواح الفخارية المنقوشة مسمارياً بلهجة إيبلا التي ترتبط باللهجة الأكادية الشرقية واللهجة الأوغاريتية الساحلية، وهذه اللهجات هي أصل اللغة العربية. (٢٥)

تتألف المدينة من القصر الكبير والقصر الجديد والقصر الشمالي وركن معبد عشتار. ولقد عثر في هذه المنشآت وفي بئرين أيضاً على كثير من اللقى الهامة من تماثيل وحلي وأباريق، ويحيط المدينة سور يشمل القلعة. (شكل ١٦)



١٦- المدينة - إيبلا

لقد كان النظام السياسي في إيبلا قائماً على الأمن والتوسع للسيطرة على التجارة في المنطقة من خلال تحقيق وحدة سياسية. وكان الملك يقف على رأس هذا النظام، وكان للملكة والشيخ نفوذ مساعد، وكان ولي العهد الابن البكر يقوم بمهام السفارة أو يقوم بحكم بعض المناطق النائية، أو يتولى الشؤون

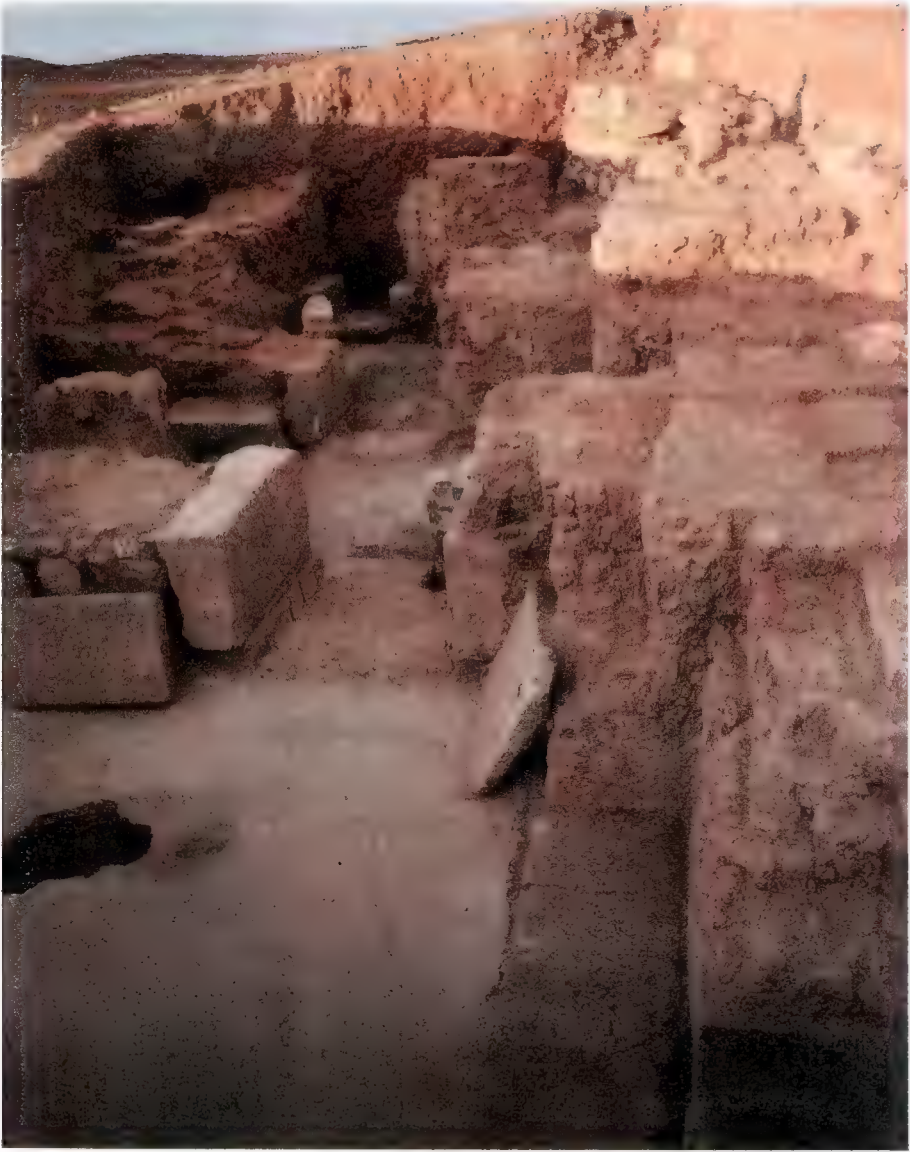
الداخلية وحفظ النظام. وتذكر وثائق إيبلا أسماء ستة ملوك، وفي الفترة التي حكم فيها آخرهم، كانت مدينة ماري خاضعة لإيبلا وتدفع لها الجزية التي وصلت إلى ٢١٩٣ مينا من الفضة و١٢٤ مينا من الذهب، أي حوالي ١٠٥٢ كغ من الفضة و ٦٤, ٥ كغ من الذهب. ولقد تم اكتشاف رقيم يتضمن أقدم معاهدة بين إيبلا وجارتها. (٢٦)

ولكن إيبلا كانت في بداية عهد السلالات الملكية قد تحملت عمليات حربية توسعية من سلالة «صارغون» الأكادي الذي ادعى أن الإله «دجن» ومقره «توتول» (تل البيعة) بالقرب من الرقة قد منحه هذه الأرض من ماري إلى إيبلا.

ولعل «صارغون» أو حفيده «نارام سين» كما ادعى هو الذي قضى على إيبلا حول ٢٣٠٠ ق.م ثم نهضت إيبلا فيما بعد لتقوي علاقاتها مع جيرانها في الشرق. ويعود بناء تاريخ القصر في أسفل المدينة شمالاً إلى هذا الدور. ولقد اكتشف في عام ١٩٩٤ بئران يحتويان على كمية من الطاسات والأباريق، وكذلك تماثيل ثعابين وثيران، وعلى أساور وخرزات من معادن وأحجار ثمينة ومن مشغصات أنثوية فخارية، وبقايا أضيحي حيوانية كانت قد أقيمت في البئرين في أزمان مختلفة بين ١٩٠٠-١٧٥٠ ق.م.

في لوح اكتشف في مدينة «أور» يذكر «نارام سين»: (في جميع العصور. منذ خلق الإنسان، لم يقم ملك من الملوك بتدمير أراضي أرمانوم (حلب) وإيبلا. وعندما فتح الإله «نرجال» الطريق أمام «نارام سين» الشجاع دفع بارمانوم وإيبلا إلى يديه، ومنحه أيضاً جبال الأمانوس وجبل الأرز والبحر الأعلى (المتوسط). هكذا يقول نارام سين الشجاع ملك الجهات الأربع).

وفي عام ١٩٩٠ تم التنقيب في منطقة سور المدينة الذي يعود إلى العصر السوري القديم. وكان الهدف تحديد أبعاد القلعة المقترحة، ولقد تم الكشف عن ثلاثة أبنية ضخمة لها علاقة بمدخل المدينة. (شكل ١٧)



١٧- القصر-إيبلا

لقد سيطرت إيبلا على ماري ثانية خلال حكم ملوك إيبلا «إيبيريوم» و«أبي سيبش» و«دبوحوعدا»، وتم أنشد تنصيب «ثورا دامو» الإيبلائي ملكاً على ماري. وهكذا وصلت سيطرة إيبلا حتى كركميش (جرابلس)، مما دفع حفيد «صارغون» إلى احتلال إيبلا، وقد صرح أنه احتل مدينتين، «إيبلا» و«أرمانوم» (لعلها حلب)

التابعة لإيبلا التي لم يسبق لأحد غيره أن فتحها». على أن الدراسات الأخيرة تتجه إلى اعتبار نهاية إيبلا قد تمت أيام «صارعون» نفسه.

أوضحت قراءة وثائق إيبلا بجلاء التوازن في القوى بين دولة أكاد ودولة إيبلا، هاتان القوتان العظيمتان ذات الحضارة العريقة، في أكاد الرافدين وفي إيبلا السورية، التي نعرف مكانها وحجم حضارتها بينما لم نكتشف بعد مكان أكاد.

لقد توسع نفوذ إيبلا، وليس من السهل تحديد خارطة نفوذها، إذ أن بعض المدن يديرها أحد قادة إيبلا ويسمي نفسه ملكاً عليها كما يتم في ماري. وبعض المدن يحكمها ملك من أهلها ولكنها تربط بمعاهدة سياسية مع إيبلا كما تم في «أبارسال» وآشور وحماة، وبعض المدن تخضع لنفوذ إيبلا عن طريق دفع الجزية، مثل أكاد وكانيش.

أبانت الوثائق أن لغة إيبلا كانت واحدة من اللهجات التي يمكن وضعها تحت التسمية العربية، وإن كانت تكتب بالخط المسماري السومري مثل لهجة أكاد، وإن لهجة إيبلا تقف في منتصف الفارق بين لهجتي أكاد وكنعان على الساحل السوري. كما أن عقائدها وآلهتها تتوسط مفهوم الإله «أنليل وأنكي» في أكاد مع إله أيل في كنعان. وتبدو هذه العقائد متقاربة تتجه نحو التوحيد. فلقد حفلت أسماء شخصيات إيبلا بإضافة اسم «أيل» في آخرها، مما يدل على سعي للتقرب من هذا الإله وتلمس حمايته، ومع ذلك فإن بعض الآلهة كانت مشتركة في المنطقة كلها، مثل الإله دجن.

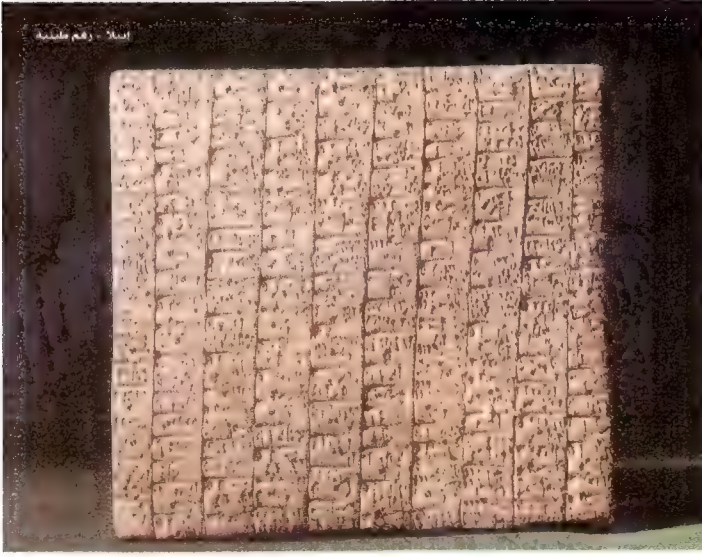
في هذا العصر، ظهرت مدن كبرى تشكل مع ضواحيها ممالك. وهكذا فإن ماري - على الفرات كانت حاضرة مستقلة واسعة سجلت بعض أسماء حكامها في قائمة ملوك سومر، وحسب وثائق إيبلا يتضح لنا المركز القوي الذي كانت تتمتع به ماري. وذلك عند الحديث عن الحرب التي شنها «أنا داغان» أحد قادة «إيبلا» على «إيبلول إيل» ملك ماري فنصب نفسه ملكاً عليها بعد أن احتل «إيمار».

وتشير محفوظات إيبلا الى أوغاريت بوصفها مركزاً للتبادل التجاري بين سورية وكريت. وتشير أيضاً الى علاقتها بجبيل تجارياً عبر قطنه. وهكذا اختلطت الفعاليات التجارية مع الفعاليات العسكرية لتحقيق ثروة إيبلا ونفوذها وتوسعها الجغرافي

ولسوف تقدم لنا الدراسات المقبلة حول وثائق إيبلا ووثائق ماري الكثير من المعلومات العسكرية الجديدة في هذا العصر. ولقد دلتنا وثائق إيبلا أن «أنا داغان» في أيام ملك «إيبلا» لم يكن وحده قد نصب ملكاً على ماري، بل إن «شورا داموا» صار ملكاً أيضاً على ماري في زمن ملك إيبلا «أبي سيبيش». وفي إحدى رقم إيبلا ذكر ملك إيبلا الذي حكم بعد «آرانيوم» وأنه عقد معاهدة مع دولة آشور التي أصبحت خاضعة لنفوذ إيبلا. وتذكر وثائق إيبلا أسماء المدن التي خضعت لإيبلا، من بينها مدينة «كانيش» في الأناضول ومدينة «أكاد» ذاتها عاصمة الأكاديين في الرافدين. وثمة رقيم يذكر أسماء المدن التي كانت مهراً لزوج أميرة إيبلا إلى ملك «إيمار» وهي مدينة كانت مرفأً على الفرات تقع في مكان مسكنة التي غمرها سد الفرات. وفي رقيم آخر تقرأ رسالة وجهها ملك إيبلا «أركب دامو» إلى «زيزي» ملك حمازي الواقعة في مكان ما شرقي دجلة، يطلب فيها أن يمدّه ببعض «جنوده الأبرار» ولقد تم الكشف على أسماء بعض الملوك وهم «إغريش حلم»، «أركب داموو آرانيوم»، «إلى سيبيش» (المعاصر لنارام سين) و«دبوحوعدا».

أقدم معاهدة دولية وأشهر السلام

لعل الرقيم الكبير (٢٤×٢١سم) الذي عثر عليه في القصر والذي ينص على معاهدة بين ملك إيبلا وملك آخر يعتقد أنه ملك «أبار سال»، هو أقدم معاهدة تكشف عن ذهنية سياسية وحرية متقدمة تفرض شروطاً والتزامات، تعطي إيبلا حق التصرف بمقدرات السكان والممتلكات في «أبار سال»، تحت ضغط وسلطان إله الشمس وإله الطقس الذين سيقومان بإنزال أشد العقوبات على سكان «أبار سال» في حال مخالفة شروط المعاهدة. (شكل ١٨)



١٨- رقيم المعاهدة - إيبلا

إن مفهوم
المعاهدة
والحلف
الذي نقرأه
في الألواح
الطينية يتمثل
بوضوح في
النحت الرائع
المنقوش بارزاً
على حوض
يعود إلى عام



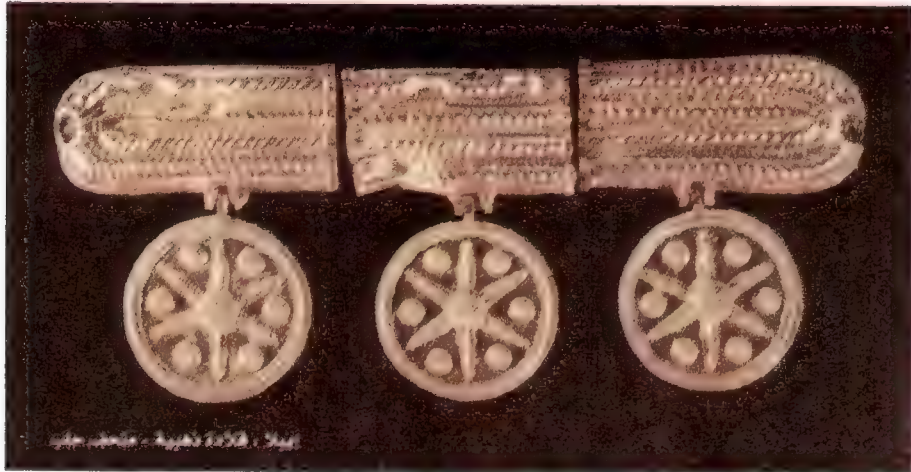
١٩- الحوض الحجري-السلام- إيبلا

١٨٠٠ ق.م وعليه يبدو مجموعة من
الرجال يتصافحون ويتعاهدون
على حلف أو معاهدة لا ندري مع
من تم الاتفاق عليها، وفي الوجه
الآخر للحوض تماثيل آلهة لعلها
آلهة إيبلا التي مثلت لتحمي
هذا التحالف، لقد عثر على هذا
الحوض في معبد إيبلا الواقع في
سهل المدينة، وهو محفوظ في
متحف حلب. (شكل ١٩)

أصبحت إيبلا في ظل ملكها
«آرانيوم» تعيش فترة توسع وازدهار،

فالسيطرة على ماري تعني الهيمنة على أعالي الرافدين، مما دفع «صارغون»
إلى التحرك باتجاه إيبلا للحد من مطامحها.

لقد استفاد سكان إيبلا وماري من الكتابة السومرية، وهي كتابة مسمارية رمزية تنقش على الطين، ولكنهم عنوا بالمصطلحات السومرية معانٍ وأسماء عمورية وهي لغة عربية قديمة. قدمت الحفريات في إيبلا مجموعات رائعة من التحف محفوظة في متحف ادلب (شكل ٢٠)، وبخاصة تمثال الأسد. (شكل ٢١)



٢٠- مجموعة تحف - إيبلا -



٢١- الأسد

توتول «تل البيعة»

تقع مدينة «توتول» عند ملتقى نهر الفرات برافده نهر البليخ وتسمى اليوم تل البيعة، ومدينة «توتول» ورد ذكرها في أخبار «صارغون» الذي استمد سلطته من إله «توتول» «دجن» الذي منحه البلاد العليا سورية والأناضول.

ومن «توتول» انطلقت فتوحات «صارغون»، ذلك لما تتمتع به هذه المدينة من ميزات تعبوية، فهي غنية بالغذاء لزراعتها المتطورة. ولقد ذكر أن أفراد جيش «صارغون» المؤلف من ٤٨٠٠ شخص / كانوا يأكلون يومياً بحضرته. وبفضل الإله «دجن» حامي «صارغون». تحققت له سطوة لا منافس لها في كل البلاد. وفي إحدى كتابات رقم ماري إشارة إلى اسم ملك «توتول» (ياخلو كوليم). ولم تكن «توتول» مستقرة كي تستطيع صد أطماع مملكة «يحماس» (حلب) ومملكة ماري والسيطرة عليها.

وعندما حاول ملك «توتول» التحالف مع شيخ البدو (لاعوم) ومعه العشائر يدعمهم ملك «يحماس» «يخدون ليم»، قام ملك ماري بمقاومة هذا التحالف في مدينة «حاتوم» (تل الحمام) وهدم أسوار «توتول»، وأصبح يلقب باسم ملك ماري و«بلاد هانار».

وفي عهد «زيميري ليم» ابن «يخدون» (ملك ماري)، استمر سلطان ماري على «توتول» وكان حاكمها «لانسوم»، وفي عهده ثار سكان «توتول» بقيادة «باشوب دجن» ضد الحاكم المعين من ملك ماري، وكان ملك «زلبا» (حمام التركمان) قد ساعد في هذه الثورة، ولكن ملك ماري دعم الحاكم وأخمد هذه الثورة بعد أن أرضى السكان بتغيير الحاكم، وأصبح «عبدوما دجن» حاكماً، ولعله قام بإصلاحات حسنت من المدينة وأعاد إليها ازدهارها، مما دفعه في إحدى الرسائل، أن يغري ملك ماري «زيميري ليم» بالإقامة فيها، واقتنع الملك، ولكنه اكتفى ببناء حصن فيها أقام به حاشية مختارة من مدينة «راييكوم» القرية من «توتول».

ولقد اجتاحت «حمورابي» ملك «بابل»، «توتول» مع ماري و«إيمار» ومع أنها عادت إلى الظهور حتى ١٣٠٠ ق.م فإن أخبارها لم تعرف حتى الآن.

لقد أبانت التنقيبات الأثرية الأخيرة، إن مدينة «توتول» كانت مسورة ولقد تم بناء سور جديد بعد أن توسعت المدينة في عهد «يخدون ليم»، وأصبح السور الجديد خلف الأسوار القديمة مشيداً باللبن بسماكة لا تتجاوز الأربعة أمتار.

وفي المدينة ثمة قصر ضلعه ٤٢ م، وكانت جدرانها منيعة والغرفة الرئيسية بمساحة ١٠ ، ٢٤ م تتصل من الجنوب بحجرة طينية لعلها كانت هيكلًا للعبادة. أما المعبد فكان مستقلاً في الجهة الغربية وكانت له ردهة وممرات. وكانت المباني من اللبن خالية من النوافذ للأمن، ولكنها مفتوحة على الفناء

الداخلي، وكانت أزقة المدينة ضيقة، واستمر دفن الموتى تحت أرضية

المنازل. وتم العثور على معبد آخر قديم يشبه بطرازه المعابد السورية في «إيبلا» و«إيمار» و«تل الخويرة».

ولأن «توتول» تقع على مياه نهرين، كانت وسائل الانتقال الأساسية هي السفن، وكانت أنواع هذه السفن مختلفة، (شكل ٢٢).

وتركت لنا الكتابات الأكادية ذكر أسمائها



٢٢ - توتول والمبادلات التجارية

المختلفة باختلاف مظهرها وطرق استعمالها، وما إذا كانت تصعد عكس مجرى النهر أو مع المجرى هابطة مع التيار، وما إذا كانت تُستعمل للعبور أو للترفيه أو للإنقاذ، وهكذا كانت «توتول» تشتهر بصناعة السفن، التي تنقل البضائع بين الممالك والمدن.



توتول - السفن القديمة - رسم

وكذلك كانت السيطرة على الطريق المالي من الأمور التي تثير النزاعات والحروب، وكثيراً ما حاول ملوك ماري وإيبلا السيطرة على المدن والمرافئ النهرية لتأمين سلامة الطريق المائي.



مشهد خيالي من عمليات مرافعة نهرية

(شكل ٢٣) وهكذا فلقد كانت منطقة الفرات مشغولة بالحركات العسكرية، مما أوجب نشوء ثغور وحصون عسكرية مستقرة كانت موئلاً للتجار الباحثين عن الأمن لتنشيط تجارتهم،

٢٣ - السفن - توتول

وهكذا تتحول هذه الثغور والحصون أو المحطات العسكرية إلى مدن عامرة ومثالها «دورا أوروبوس» و«حلبيا» و«زلبيا».

هكذا كان للفرات دور في نقل الجيوش على السفن، كما فعل «سنحريب» الذي

ذكر «أرسلت جيوشي الشجعان إلى المعركة عن طريق السفن بينما سرت أنا قريباً منهم براً».



٢٤- تمثالا المعبد - قطنه

قطنه (تل المشرفة)

بعد انقطاع طويل، تمكنت السلطة الأثرية بالقيام بأعمال التنقيب بإدارة ميشيل مقدسي، والتحقت به بعثتان ألمانية وإيطالية للإشتراك في عمليات تنقيبية واسعة أدت لاكتشاف سور المدينة والمدفن الملكي و القصر الملكي وقاعاته وتمثيله (شكل ٢٤) وبقايا لوحاته الجدارية

ابتدأ الاستيطان في قطنه منذ الألف الثالث ق.م وحتى نهاية الألف الثاني ق.م. ثم عادت للظهور في بداية الألف الأول ق.م

وحتى عهد الاسكندر. وفي العام ١٦٠٠-١٤٠٠ ق.م. كانت قطنه على علاقة مع مارى وبابل وحلب وايبلا. وكانت من المراكز الاقتصادية الهامة في الجنوب، وكانت الألاخ مثلها في الشمال. حكم قطنه أسرة تبدأ بالملك « أشخي أدد » ثم ابنه « أمون بيئيل. وعند انهيار قطنه تشرّد سكانها، ومنهم من وصل الى مصر ولعلهم الهكسوس أنفسهم. ^(٢٧)

الحثيون في سورية

في بداية القرن ١٤ ق.م تقدم الحثيون من الشمال لاحتلال سورية بقيادة «شوبيلو ليوماش»، فخضعت له جميع المناطق من الفرات إلى البحر ووصل إلى

«قادش» التي كانت أقصى حدود سلطنة مصر. و«قادش» (النبي مند) تقع جنوبي حمص وكانت مملكة مستقلة.

ولأن الحثيين لم يستطيعوا الاستقرار في سورية بسبب حروبهم مع الميتانيين، أعادوا الدخول إلى سورية في حرب ثانية للسيطرة على الميتانيين ولوضع حد نهائي لتدخلهم في سورية.

لقد أقام ملك الحثيين نظاماً جديداً في سورية يقوم على حكم الولايات من أهل البلاد، وكان لتقدم هؤلاء الحكام تحت جناح الحثيين أثره في إثارة مصر إذ كانت دمشق واقعة على حدود مصر أيام (أخناتون). وكان المعبود الحثي متمثلاً بالكائن المحارب

وفي عهد «مورشيلوش» ابن «شوبيلو ليوماش» الذي مات في عهد «توت عنخ أمون» عام ١٢١٠ ق.م حافظت الإمبراطورية الحثية على حدودها. ولكن «سيتي الأول» تسلم الحكم في مصر فقام بقتال الحثيين لوقف توسع نفوذهم، ولعله لم يحسم النزاع، إذ أن ابنه «رمسيس الثاني» الذي استلم الحكم سنة ١٢٩٠ ق.م، قرر الحرب ضد «حاتوشيل» ملك الحثيين في «قادش»، وقد عرفت هذه المعركة أكثر من غيرها، كما كتب ورسم عنها في حينها. (شكل ٢٥)



٢٥- لوحة معركة قادش

أما الرسوم المنقوشة فإننا نراها في معبد الأقصر على البوابة الكبرى الخاصة بمرميس الثاني، وعلى الحائطين الجنوبي والجنوبي الشرقي للردهة، وكذلك على الحائط الغربي من الخارج لردهة «أمنحوتب الثالث». وفي معبد الكرنك، نقشت لوحة قادش على الحائط الخارجي لردهة العمدة الكبرى، وعلى الحائط الخارجي بين البوابتين التاسعة والعاشرية. وفي معبد «الرامسيوم» نقشت هذه المعركة على البوابة الثانية.

ولقد تم تقسيم النفوذ على سورية، فأصبح الشمال تحت النفوذ الميتاني والجنوب تحت النفوذ المصري، الذين تمركزوا في الساحل السوري. ولقد أبانت ألواح أوغاريت (رأس الشمرة) أن شعوب البحر المتوسط قد أتت نهائياً على نفوذ الحثيين.

سيطرة الآشوريين

في العصر السوري الحديث، كانت السيطرة من حظ الآشوريين، ومن أشهر حواضر هذا العصر، مدينة حداتو (أرسلان طاش) وبارسيب (تل أحمر) وغوزانا (تل حلف). وفي هذا العصر حاول شلمنصر الثالث عام ٨٥٢ ق.م الاستيلاء على دمشق، فتصدى له السكان ورؤساء القبائل وكان منهم (جندبو العربي)، وأعادوه مخذولاً.

منطقة أبوم ومدينة دمشق

يعتقد علماء الآثار أن الاستيطان في دمشق يعود إلى مئات ألوف السنين وبخاصة حول حوضي بردى والأعوج، بل إن حوض دمشق كان بحيرة عاش الإنسان القديم حولها، ولقد عثر على أدوات الإنسان الحجري القديم حول هذه البحيرة. وفي العصر الحجري الحديث تبين من الحفريات الأثرية ١٩٦٠ - ١٩٧٥ أن التلال المحيطة بالمدينة، وهي تل أسود وتل الغريقة ويقعان جنوبي بحيرة العتيبة، وتل الرماد في طريق سعسع، تعود إلى هذا العصر وهي معالم المدينة قبل التاريخ. وتؤكد لعلماء الآثار أن الإنسان في ذلك العصر وفي هذه

التلال الأثرية، كان يمارس الزراعة والقنص، وكان يربي الماعز والبقر. ولقد طور أدواته الصوانية. وتشكل هذه التلال مجتمعة مع غيرها مما لم يكتشف حتى الآن واقع هذا المستوطن الذي كان يشكل دمشق المدينة الأقدم في العالم وقد استمرت مأهولة على عكس أريحا. فلقد أكد علماء الآثار استمرار وجود دمشق في عصر البرونز حيث كانت تحمل اسم مملكة أبوم وكانت مدينة مسورة تضم مواقع متعددة ولقد ورد هذا الاسم في النقائش.

كانت المنطقة في هذا العصر تابعة لمنطقة إدارية عرفت باسم مُختلف على نطقه (أبوم - أفوم - أوبه) ومركزها كميدو (كميد اللوز اليوم) في البقاع، وكان مؤسسها وحاكمها بيراوزا، الذي وسع مملكته على البقاع والجولان وحوض الاردن وحتى حماة. لعب هذا الملك دوراً كبيراً في توطيد العلاقات الدينية والسياسية مع أخناتون كما ورد في وثائق تل العمارنة، وفي وثائق كميد اللوز.

وفي العصر الروماني الذي ابتداء في دمشق عام ٦٤ ق.م تصبح دمشق عاصمة ومركزاً لجيوش روما، وكانت في عصر أدريان قد حملت لقب متروبول أي مدينة رئيسية، وفي عصر الأسرة السورية حملت اسم مستعمرة رومانية مما أكسبها بعض الامتيازات. وكانت إحدى المدن العشرة ديكابوليس، وفيها أقيم معبد جوبيتر وآثاره مازالت واضحة حول الجامع الأموي. وكانت المدينة محاطة بسور ١٥٠٠ X ٧٥٠م مازالت آثاره قائمة مع بعض الأبواب. وكانت سبعة أبواب تحمل أسماء الكواكب.

تراث القدس

ما زالت مدينة القدس من مدن سورية الكبرى تمتعت على مر التاريخ بقدسية كاملة وكان سكانها الأصليون، وهم اليبوسيون من الكنعانيين منذ الألف الثالث ق.م. الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية (شكل ٢٦).



٢٦- أور سلام (القدس)

يقول أولبرايت: (لدينا من البراهين والأدلة ما يثبت أن الكنعانيين استقروا في القدس وفلسطين منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد. ونحن نعرف جيداً من خلال أسمائهم ولغتهم أن اليبوسيين هم من الكنعانيين. ^(٢٢) واستمر اليبوسيون فيها أكثر من ألفي سنة امتدت حتى عهد داوود ، بل عادوا بعده. وكانوا قد كونوا فيها حضارة تميزت بالعقيدة وبالنمو الزراعي والتجاري والصناعي. وحماية لمدينتهم أقام اليبوسيون سوراً وحصناً وزودوا المدينة بالمياه. وما زالت آثار السور قائمة على شكل شبه مستطيل يتوسطه الحصن (ويدعى مدينة داوود) . والبركة حيث تنتهي مياه عين جيحون في بلدة جازر الكنعانية الواقعة على بعد ٢٥ كم من القدس عبر نفق ما زالت آثاره واضحة. ولقد حددت عالمة البريطانية كاتلين كينيون تاريخ هذا النفق بواسطة الفحم ١٤ . واستمر اليبوسيون في مدينتهم حتى العام ١٠١٠ ق م وكان اليهود قلة فيها. ثم عادوا إليها ويذكر التوراة من ملوك أور سلام ، ملكي صادق - الكاهن

للعلي العظيم (إل إيليون) . في عهد إبراهيم ، القرن التاسع عشر ق.م. و الملك عبد هيبا ، وعلاقته بفرعون مصر أخناتون في العام ١٣٦٢-١٢٧٣ ق.م. وكان قد أعلن ديانة مصرية توحيدية أخذها عن الهكسوس الكنعانيين الذين آمنوا بالإله (إل) مما شدد أواصر هذه الديانة مع ديانة أور سلام.

ويتحدث أيضاً الأثري الاسرائيلي مازار عن تنقيباته الطويلة الأمد حول الحرم حتى بداية هذا القرن والتي لم تقدم له أي سند توراتي، مما دفعه للعودة إلى الرسائل التي ظهرت في تل العمارنة سنة ١٨٨٧ فيقول : (منذ القرن الخامس عشر ق.م. كانت بلاد كنعان جزءا من الإمبراطورية المصرية. ويثبت ذلك ما تضمنته وثائق قصر اخناتون في تل العمارنة والتي تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م وقد أوردت اسم « ملكي صادق» ملكاً على القدس ،) ^(٢٢) حاملاً إسم ملك السلام لدعوته الصالحة وسلوكه المستقيم ، وهو أول من أطلق على المدينة إسم أور سلام) . (شكل ٢٥)

. ويتحدث التوراة في سفر التكوين أن النبي إبراهيم باركه ملكي صادق ملك أور سلام وكان الإله العلي (إل إيليون) ، و أور سلام كان اسم القدس.

استمر سكان مدينة أور سلام الأصليون ، على الرغم من استيلاء الآشوريين على القدس ، ثم على يد البابليين ، ثم جاء نبوخذنصر والاحميونيون (٥٢٩-٢٣١) ق.م. ثم جاء الإغريق في العام ٣٣٢ ق.م، بقيادة الاسكندر. ثم جاء الرومان في العام ٦٤ ق م وقد تغلبوا على الانباط ، وفي العام ١٢٥ م أطلق هادريان على المدينة إسمه الأول (إيليا) . وأعقبهم البيزنطيون في العام ٣٢٩ م. وفي عام ٣٢٤ م جاءت أم قسطنطين هيلينا لزيارة القدس وكانت قد اعتنقت المسيحية، وفيها أنشأت الكنائس الأولى (كنيسة القيامة) ، وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية، وبعدها لم تكن القدس أكثر من مدينة مقدسة تعرضت لاجتياح الفرس وتهجير أهلها، ثم تراجعت مكانتها^{٢٣} إلى أن جاء العرب في العام ٦٢٨ م

بقيادة خالد بن الوليد في معركة اليرموك. حيث ابتدأت تستعيد هويتها العربية القديمة التي كانت عليها أيام البيوسيين، وازدهرت معماريا.

ولكن اليهود في القدس (أورسلام) اعتقدوا أن الجدار الداعم للحرم الشريف من جهة المسجد الأقصى، هو من أحجار الهيكل وحتى بداية القرن العشرين. وعندما عرض الخلاف على عصبة الأمم المتحدة، شكلت في العام ١٩٣٠ لجنة دولية علمية لدراسة هوية الجدار، وأطلق على هذه اللجنة إسم لجنة البراق، وأثبتت أن تلك الأحجار التي تشكل الجدار تعود إلى الأوقاف الإسلامية، وهي جزء من الحرم الشريف، ولا علاقة لها بالهيكل. ولكن اليهود استمروا على زعمهم وجعلوا من هذا الجدار جداراً للبكاء على ماضي الهيكل. وبعد العام ١٩٧٦ تضاعفت مساحة هذا الحائط من ٣٠ متراً إلى ١٠٠ متر، على حساب حي المغاربة هناك، حيث أزيلت معالم مئتي عقار إسلامي.^(٢٨)

الفصل السادس

جمالية التراث السوري القديم

جمالية النحت

جمالية الرسم والزخرفة

جمالية الحلي

جمالية النسيج والزجاج والفخار والمعدن

الفصل السادس

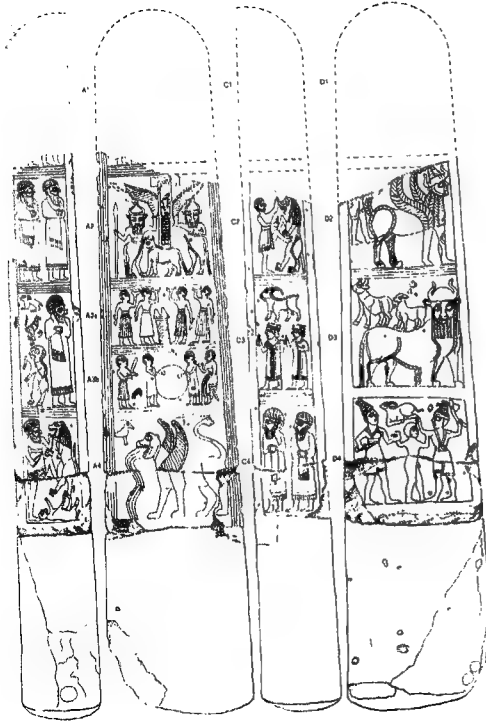
جمالية التراث السوري القديم

جمالية النحت

لعل دراسة فنون الحواضر الثلاثة ماري وإيبلا وأوغاريت، لم تأخذ حقها مستقلة إلا بعد أن فتحنا الأبواب لأكبر عدد من البعثات العالمية للتنقيب في كثير من المواقع سبقتها حملة عالمية دعونا إليها لإنقاذ آثار مغيبة تحت أرض سد الفرات ساعدت إلى إعادة النظر في تحديد معالم جمالية واحدة لفن سوري مستقل تكوّن منذ بداية التاريخ متميزاً ومختلفاً مع الزمن ومع تطور بناء المدن عن فنون الحضارات المحيطة بسورية.

نستطيع تلخيص بداية ملامح جمالية هذا الفن من خلال دراسة التماثيل الكاملة، لقد كان وضعها التشريحي يتصف بالنزعة الطبقية أكثر من اقترابها من النزعة الرائعة فهي في مجمل الحالات تمثل تصورات تتعلق بالخصب، يبدو ذلك من خلال تمثيل الإنسان مع إبراز الثديين والأعضاء التناسلية.

وبصورة عامة فإن المبدأ الأساسي في تحديد جمالية هذا الفن، هو في تمثيل الهياكل المنحوتة وكأنها تنظر إلى الأمام بعينين جامدتين ويبدو الجسم ساكناً ثابتاً لا مجال للحركة فيه، ولا تخلو الوجوه من تعبير عن السعادة ممثلاً بابتسامة هادئة جذابة. وكما رأينا فإن مواضيع هذه التماثيل كانت أشخاصاً من أصحاب المناصب العالية. أو من تماثيل حاملة مما نراه في واجهة قصر تل حلف الذي



٢٧- نقش غائر على نصب في إيبلا

أقامه الملك الآشوري بارتفاع ستة أمتار وعرض عشرة أمتار (شكل ٢٧). وهو من مكتشفات ماكس فون أوبنهايم، وثمة ثلاثة أعمدة حاملة للإفريز بشكل كائن معبود، الأول قائم فوق أسد، والثاني فوق ثور، والثالث فوق أسد أيضاً.

ولقد طليت بعض التماثيل بالألوان مع تطعيمات وتزييلات من اللازورد والصدف مع اهتمام في إبراز الشعر وقد أحسن ترتيبه وتزيينه كما في مكتشفات إيبلا وقد نقش على أكتاف التماثيل

عبارات ساعدت في تحديد صاحب التمثال والغرض من إعداده، على أن الطابع الرمزي الواقعي والتعبيري الذي بدا واضحاً في فنون ماري وإيبلا، نراه في أوغاريت وقد بدا أكثر واقعية وأكثر تمثيلاً لموضوعه، بدا ذلك في تماثيل الحيوانات وفي صور النقوش البارزة وفي تماثيل مغنية المعبد والرأس العاجي.

ولا بد من الإشارة إلى اهتمام الفنان بالمواضيع المركبة سواء كانت دينية أو تاريخية، وما زال علماء الجمال يدققون في تفاصيل الجرنين الحجريين المكتشفين في معبد إيبلا ويمثل واحد طقوساً عبادة، كما يمثل الثاني موضوع السلام. لقد عبرت هذه المواضع المعقدة عن خيال ثقافي متقدم، دفع الفنان لتكوين عمله ببلاغة موضوعية وإبداع فني، وبراعة في عملية النحت على الحجر. نرى ذلك واضحاً في النصب المكتشف في معبد عشتار. (شكل ٢٨)



٢٨ - حلي - إيبلا

جمالية الرسم والزخرفة

لعل الزخارف التي كانت تزين الاواني المكتشفة في ماري تدعونا إلى القول بأنها النموذج الأول والأقدم لما نسميه اليوم بالرقش، ونرى من الأعلى هذا الرقش منقوشاً على جرة من حجر ستيتاتيت (معدني عازل للحرارة) محفوظ

في متحف حلب، ويعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وتتألف الزخرفة قبة من شريطين يتألف كل واحد منهما من حزامين متموجين مضفورين، مع أجسام أفاع تلتف بشكل مستمر حول الإناء، ولقد طعمت النقوش الصغيرة بمواد ملونة، ومن الصدف والحجر الأسود والأخضر.

والى العصر نفسه وفي معبد شماش في مدينة ماري، قطعة محفوظة في متحف دمشق هي جزء من وعاء حجري مزين سطحه بافريزين من النقوش التشبيهيّة أو المجردة، والتي تبدو على شكل شريط من النقوش المضفورة تحيط قاعدة الإناء.

يحمل الرسم الجداري الذي اكتشف في قصر مدينة ماري طابع الجمالية الفنية السورية، هو رسم جداري على طلاء من الجص على طريقة (الفريسك) ومن أجمل القطع الفنية المركبة المكتشفة في ماري، تمثال صغير يمثل نسرأ برأس أسد.

جمالية الحلبي

ثمة أسواق هامة في المدن السورية وبخاصة في دمشق وحلب تختص بصناعة الصياغة اليدوية، التي بلغت حداً بعيداً في الدقة والإبداع. وتقوم الصياغة على استغلال المعادن الثمينة كالذهب الأصفر والأبيض والفضة، ذلك بعد إضافة نسبة من النحاس إلى هذا المعدن أثناء عملية الصهر، لتقوية بنية هذا المعدن وجعله صلباً بنسبة محددة تسمى العيار.

وتتم الصياغة بتحضير المعدن وتشكيله عن طريق الطرق واللحام بواسطة منفاخ من الفضة أو بآبوز الضرب، وقد تسحب الصفائح على شكل شرطان تلف وتستعمل مع الرقائق حسب الطلب عن طريق اللحام أو التشبيك.

كان سوق الصاغة القديم في موقع بيت المال الذي يعود إلى العصر الأموي، وبعد احتراق هذا السوق أقيم سوق مؤقت مازال يحفل بروائع الصياغة المعدنية الثمينة. وفي حلب سوق مماثل قريب من جامع حلب.

تستكمل دراستنا جمالية الفن السوري القديم، من خلال الوقوف أمام الحلبي الرائعة التي تعود إلى ماري والمحفوظة في متحف حلب والتي تبدو على

شكل دبوس للملابس طويل مؤلف من قطعة واحدة محززة بخطوط رفيعة ذات رأس ينتهي بنجمة ثمانية الرؤوس. وثمة قطعة على هيئة قرط الأذن مصنوعة من الذهب الخالص، مع قلادة من الذهب واللازورد والمر والبنفسجي. وفي متحف إدلب نماذج من الحلي المكتشفة في إيبلا. (شكل ٢٩)



واجهة متحف حلب
الأثري وقد ضيقت
إليه واجهة قصر تل
حلف.

٢٩- واجهة قصر تل حلف

جمالية النسيج والزجاج والفخار والمعدن

النسيج الذي تم اكتشافه في إيبلا من القطن أو الكتان، يوضح أن صناعته اليدوية في بلاد الشام قديمة جداً سبقتها ولا شك صناعة النسيج في العصور المصرية القديمة. وعند زيارة المتحف الوطني بدمشق، فإن جناح الأواني الزجاجية يكشف عن عراقة هذه الصناعة الزجاجية اليدوية، التي ابتداءً ظهورها منذ الألف الأول قبل الميلاد، حيث كانت المراكز الفينيقية الممتدة من السواحل السورية شرقاً وحتى السواحل الإسبانية غرباً وبخاصة في قرطاجنة، تصدر روائع الأواني الزجاجية المسماة «الألف زهرة» Millefiori، وهي على شكل قوارير وأوان مؤلفة من طبقات متموجة ملونة من الزجاج بأداة تشبه المشط.

إن جميع المكتشفات الفخارية التي تعود إلى العصر الحجري في المربيط أو إلى بداية التاريخ في تل حلف، أو على امتداد نهر الفرات، مازالت شاهداً على اعتماد الإنسان على هذه الوسائل الفخارية قبل أن يتمكن من اكتشاف المعدن، ولكن مادة الطين استمرت وحتى يومنا هذا وسيلة أساسية للصناعات اليدوية الراقية، والتي تمثلت في إنتاج الأواني الخزفية أو الألواح الطينية. وتسمى هذه الألواح الرقم (جمع رقيم) وهي ألواح طينية بحجوم متوسطة تنقش عليها كتابات مسمارية للغات قديمة سومرية وأكادية وإيبلائية وأوغاريتية. ولقد تم اكتشاف الآلاف من هذه الرقم وهي محفوظة في المتاحف السورية وبخاصة في متحفي إدلب وحلب. ولقد استطاع العلماء قراءة هذه الرقم والتعرف على الواقع الحضاري القديم.

ويرتبط اسم دمشق بصناعة معدنية متميزة هي صناعة السيوف حتى أطلقت تسمية الدمشقة Damaskining على طريقة صنع هذه السيوف وبخاصة نصل السيف الذي يصنع من الفولاذ «الجوهر» كما يقال وتعني هذه الصفة ما يحتويه فولاذ نصل السيف من رسوم شفافة متموجة قزحية الألوان.

وفي المتحف الحربي بدمشق مجموعة من السيوف الدمشقية القديمة، في جميع حواضر البحر المتوسط شواهد على صناعة يدوية فنية تقوم على رسم أحداث وهيئات وزخارف وكتابات بأسلوب مبسط، ولكن هذا الرسم يعتمد على رصف نصوص فسيفسائية ملونة، حجرية أو زجاجية، رصفاً محكماً موزعاً في أبعاد الألواح التي تزين أرضيات أو جدران المعابد أو القصور. ويغطي هذا الرصف أجزاء الصورة لكي يشكل لوحة متكاملة ملونة.

الفصل السابع

تراث الساحل السوري

حضارة اوغاريت

الأثار الفنية الأوغاريتية

الفينيقيون السوريون

قصة إيسار شقيقة بيغماليون

امتداد الفينيقيين عبر جنوب البحر المتوسط

الفصل السابع

الساحل السوري

حضارة اوغاريت

منذ العام ١٩٢٩ ابتدأت حفريات كلود شيفر C. Sheffer في موقع رأس الشمرة « أوغاريت » قرب مدينة اللاذقية. ^(٢٩) تظهر لنا أوغاريت في العصر السوري الوسيط مدينة ثقافية متقدمة وبخاصة في ابتكارها لكتابة مسمارية بأحرف أبجدية، وفي أوغاريت تم اكتشاف مجموعة من الأختام الأسطوانية التي تعود إلى نهاية القرن الرابع عشر محفوظة في متحف حلب ودمشق. (شكل ٣٠)،



٣٠- اوغاريت - مدخل المدينة

وتعود حضارة أوغاريت إلى هذه الفترة، وكانت زاهرة بفضل تجارتها الواسعة وأسطولها وبفضل الاحتكاك مع ثقافات أخرى، مصرية وحثية وإيجية. ويشهد على نشاطها التجاري (مينة البيضاء) القريب منها، وفي هذا المكان كانت مستودعات البضائع والتحف وفي المدينة مازالت منطقة المشاغل التي تنتج المعادن الثمينة والحلي والفخار واضحة تم اكتشاف معالمها. منها اللوح النحتي البارز المحفوظ في متحف اللوفر. (شكل ٣١). وفي المدينة حي



٣١- لوح مينة البيضاء

سكني وقصر ملكي، وإلى الغرب معبد بل، ومنطقة تجارية وصناعية تنتج المعادن الثمينة والمنسوجات. ويعتبر رأس ابن هاني امتداداً لها. ونستطيع أن نضيف مدينة إيمار (مسكنة) إلى قائمة الحواضر التي ازدهرت في العصر السوري الوسيط، وكانت إيمار مرفأً على الفرات استطاع أن يتوسط التجارة بين ماري والساحل السوري.

الآثار الفنية الأوغاريتية

إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تعود التماثيل الرائعة التي تم اكتشافها في أوغاريت، وفي القسم المخصص في أوغاريت لصناعة التحف، عثر على قطعة هامة

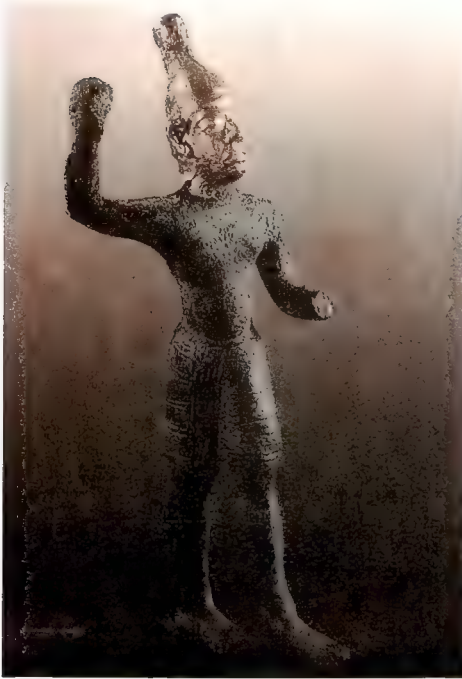


٣٢- أ-المعبود ايل- لوح - اوغاريت

من الحجر منقوش عليها مشهد عبادة وابتهاال إلى الإله العظيم (إيل)، ويبدو وقد اعتمر تاجاً ذا قرون ويرتدي ثوباً ملفوفاً ويجلس على عرش ذي مسند منخفض ويضع قدميه على مرقاة، زينت كلها بزخارف جميلة، ويقف المصلي أمامه بثوب طويل وقبعته عالية مروّسة، ويده إبريق يقدم ما فيه قرباناً للإله ويعود هذا اللوح الهام المحفوظ في متحف حلب إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. (شكل ٣٢)

ونرى هذا التاج أيضاً في تماثال الإله ايل الجالس هو واحد من تماثيل أربعة كانت ملفوفة بقطعة من الكتان الأبيض، والتمثال هذا محفوظ في متحف دمشق مع غيره من التماثيل المكتشفة، ويرتدي معطفاً مغشى بطبقة من الذهب الخالص، وهذه المعالم متميزة عن الطابع المصري، ومرتبطة بتقاليد فن النحت الأوغاريتي.

وثمة مجموعة واسعة في جناح أوغاريت في متحف دمشق مؤلفة من تماثيل برونزية تمثل الآلهة المعبودة وبخاصة الإله بل إله الطقس والأنواء (شكل ٣٣).



٣٣-المعبود بل- اوغاريت

على أن الطبق الذهبي الذي اكتشف قرب معبد بل في أوغاريت هو من أثمن ما يحويه متحف حلب، هو صحيفة ذهبية أو وعاء يخص أخت ملكة أوغاريت، لعلها استخدمت لأغراض دينية وهي مزينة برسوم بارزة بطريقة الضغط على المعدن وتبين هذه الزخارف مدى تبادل الثقافي والفني مع مصر وبحر إيجه. (شكل ٣٤). ومن التماثيل الهامة تمثال الرأس العاجي المحفوظ في متحف دمشق (شكل ٣٥)



٣٤- الطبق الذهبي - اوغاريت



٣٥- الرأس العاجي- اوغاريت

الفينيقيون السوريون

فينيقوس تسمية مستمدة من اللون الأرجواني أطلقها الإغريق على السوريين الذين انتشروا على امتداد شطآن الأرجوان من أنطاكية إلى راميثا (اللاذقية) ثم إلى بيبلوس (جبيل) وتير (صور) وكر (عكا). ويحتفظ المتحف الوطني بنماذج من الآثار الفينيقية منها القوارير الزجاجية التي تسمى «الأزهار الألف».

(شكل ٣٦)



٣٦- آنية فينيقية

عمريت

على الساحل السوري ،جنوبي طرطوس ، تقع عمريت ،أنشأها سكان جزيرة أرواد. أهم آثارها المعبد والملعب والمدافن والمغازل وبرج البزاق. (٢٠) وتعد مدافنها التي كانت مخصصة لملوك أرواد وعمريت وكبار الاغنياء من الشواهد النادرة على الساحل السوري.

ويبدو المعبد على شكل حوض محفور في الصخر مساحته ٥٦،٤٩ م وبعمق ٣م ويحيط به رصيف وأروقة محمولة بدعامات حجرية ومسقوفة بالحجارة ومزين بالشراشيف المنقطة. وله فتاة ماء للتطهير وأخرى للشرب. ويتخلل واجهة الأروقة ميازيب بشكل أسود. وفي وسط الحوض يقع الهيكل المركزي المعد لتمثال الإله ملقارت الشافي من الأمراض.

وعلى بعد ٣٠٠ م يظهر الملعب المحفور بالصخر ومساحته ٢٢٥،٢٠ م. ويضم التل بعض المدافن الدائرية النادرة.

قصة إيسار شقيقة بيغماليون

امتد الفينيقيون على سواحل البحر المتوسط الجنوبية ،منذ أن استطاعت إيسار شقيقة بيغماليون وأميرة صور أن تمضي مع حاشيتها وجنودها وأموالها الى موقع مدينة تونس اليوم ، وهناك حصلت على أرض حددت مساحتها بما تستطيع أن تحيط بها مساحة جلد ثور ، وتقول الاسطورة أنها خدعت المساحة بأن قامت مع خدمها بتقطيع الجلد الى شرائط امتدت خيوطها حول مساحة واسعة شكلت مدينة في العام ٨١٥ م أطلقت عليها إسم (قرت حدشت) أي المدينة الحديثة أصبحت محرفة بإسم قرطاج. امتدت حتى عهد ملكها حنيبال (٢٤٧-١٨٢ ق.م) وما زالت آثارها قائمة حتى اليوم في تونس.

امتداد الفينيقيين عبر جنوب البحر المتوسط

امتدت التجارة من هذه المرافئ الفينيقية السورية إلى مرافئ أرواد وقبرص، حيث كانت المراكب الفينيقية تروح وتعود ناقلة أصناف المبدعات

والمنتوجات، وتقيم لها مراكز ومواطن وحواضر ثم لا تلبث أن تمضي عبر سواحل إفريقية لكي تقيم مراكزها، فتقف في طرابلس «ليبيا» التي كان اسمها أوبا Oba وصبراته ولبدة مكان مولد سبتيموس سيفيروس. وفي تونس تتجمع الحواضر الفينيقية، ومن أهمها «هيبواكرا» واسمها اليوم بيزرت و«هادروميث» حيث كانت تستقبل حجيج الفتحاحين، و«كركوان» التي كشفت فيها روائع الآثار والتي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

ونتابع السير عبر المراكز الفينيقية الأساسية في الجزائر فهي على التتابع هيبوريغيوس «عنابة» وصرته «قسطينة» واغليلي «جيجلي» وايكوسيوم «الجزائر» وتيبازا وما زالت تحتفظ باسمها وفيها عدد كبير من المدافن تعود إلى القرن السادس ق.م، وفي «مرسي مداخ» حصون وأسوار تعود إلى نفس التاريخ. وسنجتاز السواحل التونسية ثم الجزائر فتقف قليلاً في مدن الفينيقيين الأجداد، وقبل أن نتخطى حدود اليوم بين الجزائر والمغرب ونودع ميناء الأندلسيين المركز الفينيقي الشهير، نصل إلى مليلا المغربية التي كانت روسادير الفينيقية. وسنتابع إبحارنا إلى ايميزا «حمص» الموقع الفينيقي المغربي. ثم نصل إلى تطوان وكانت هي تامودا الفينيقية ثم نعود مرة أخرى إلى مضيق جبل طارق.

لم يقتصر امتداد السوريين على الشاطئ الإفريقي بل شمل جميع سواحل صقلية ومالطا وسردينيا إضافة إلى شواطئ الأندلس والجزيرة الإيبيرية، مثل قادش والمنكب وايبيزا ثم قرطاجنة التي أنشئت متأخرة ٨١٤ ق.م، وفيها كانت حرب حنبعل العظيم مع الرومان الذين استولوا عليها عام ٢٠٩ ق.م، ثم استولوا على قادش ٢٠٦ ق.م.

إن كلمة القرية الحديثة «قرت حدشت» هي أصل كلمة قرطاجنة التي حورها الرومان وهي تطلق على جميع المدن التي أنشأتها إليسا الأميرة الصورية سنة ٨١٤، بل إن بالرمو عاصمة صقلية كانت تحمل هذا الاسم، يبدو ذلك من نقش على نقد، كما يبدو الحضور السوري الفينيقي في بالرمو من خلال المدافن

المكتشفة والتي مازال يطلق عليها أسماء سورية. مثل مدفن أرض الخرايب ومدفن أرض المورلي ومدفن البرج الجديد ومدفن بومنجل ثم معبد شمووم. كان الفينيقيون والكنعانيون عامة سادة البحر الأبيض، وكانوا أول أمة مارست التجارة، وكانت الأخشاب وافرة لبناء السفن التي ساعدتهم على الإبحار على امتداد شواطئ البحر الأبيض، حيث أنشأوا المدن والحواضر. ومن أبرز مدنها أوغاريت وصور وصيدا وقرطاج وقادش وقرطاجنة وغيرها، ولقد خرجوا من البحر إلى المحيط الأطلسي ووصلوا إلى أمريكا في أقصى الغرب. ولم تكن شعوب هذه المناطق تمارس الحرب والعدوان، لولا عدوان الرومان وحربهم ضد القائد القرطاجي الشهير حنبعل (٢٤٧-١٨٣ ق.م). ومن أشهر البحارة، البحار القرطاجي حانون الذي قاد ستين سفينة وعليها عدد كبير من المهندسين والفلكيين والأطباء والعلماء، ووصل بهم إلى مضيق جبل طارق في القرن السادس قبل الميلاد في جولة واسعة.

الفصل الثامن

علم الآثار ونقد تاريخ العهد القديم

وثائق ايبلا والتوراة

علم الآثار والتاريخ

القصص الديني التوراتي

البحث عن أصل اليهود

الفصل الثامن

علم الآثار ونقد تاريخ العهد القديم

وثائق إيبلا والتوراة

يعد اكتشاف إيبلا الذي تم في الآونة الأخيرة مع آلاف اللوحات الكائنة في أرشيف قصرها بأنه من أعظم الاكتشافات الأثرية في هذا العصر. وتلقي الأبحاث الدائرة هناك ضوءاً على الصفة الإنسانية لأقدم المدن الكبيرة التي عرفت البشرية، على أن الجدل الحالي لا ينبثق من تلك المسائل العلمانية بل من الصلات الدينية والعرقية التي قامت بين شعوب إيبلا وفلسطين. وتوحي التقارير الأولية بأن اللوحات تشتمل على إشارات عديدة تربط إيبلا بعالم التوراة.^(٣١)

يقع تل مردوخ على مسافة ثلاثين ميلاً جنوبي حلب الجديدة، هناك بدأ ماتييه بشق هضبة عالية منتشرة على مسافة مئة وأربعين أرك، انتهت باكتشاف خمسة عشر ألف (رقيم) لوحة مسمارية تولى قراءتها لجنة دولية من علماء اللغات. ورافق هذا الإكتشاف تأويلات متسعة.

يقول فريدمان في مقال نيوزويك «إن ظهور أسماء مثل إبرام وأدامو واشمع ايل ومي كا ايل، يوفر لنا الدليل على تحديد تاريخ إبراهيم الخليل في الألف الثالث قبل الميلاد.» بل ذهب بعض الصحفيين الصهاينة إلى القول إنه من المحتمل أن تكون القدس هي إيبلا ذاتها.

ويذكر كاتب جريدة التايمز في نهاية موضوعه الطويل، أن إيبلا أعطت صورة واضحة لحضارة سامية قوية امتدت من البحر الأحمر إلى تركيا شمالاً وإلى بلاد

الرافدين شرقاً. وقد وجدت إشارة إلى مدينة «أورشليما» التي قال العلماء أنها اسم القدس عند الابلاويين، فإذا صح هذا فإنه لا جدال أقدم إشارة معروفة إلى المدينة المقدسة». كما تحتوي اللوحات على شواهد مذهلة تشير إلى أن بعض الأشخاص والأمكنة المذكورة في العهد القديم مما أسس لوضوح حقائق تاريخية.

قدمت لنا هذه الألواح أقدم لغة عربية سامية مع أول قائمة للمفردات والمرادفات عرضها الإنسان، وقد قام الكتاب في إيبلا بفهم اللغة السومرية بالإضافة إلى لغتهم السامية، لذلك قاموا باستعارة الكتابة المسمارية لكي يدونوا لغتهم الأصلية. (٣٢)

أمام الخبط في تأويل وثائق إيبلا ، أعلننا (كمسؤول عن أعمال التنقيب في سورية) البيان التالي: (إن إيبلا تعني لنا نحن الاختصاصيين ثورة في الكشف الأثري تجعل هذه المدينة مركزاً لسلطة سياسية وثقافية هامة في الألف الثالث قبل الميلاد، وقبل هذا الكشف كانت سومر وأكاد تحتل المركز الأقوى. أما أن تكون ألواح إيبلا قد كشفت عن أسماء الآباء الإسرائيليين الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب (إسرائيل)، فهذا أمر نعتبره في غاية الأهمية وما زلنا نحلم أن تظهر المكتشفات الأثرية ما يؤيد علمياً وتاريخياً آل إبراهيم وإسماعيل أبي العرب، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فإن المكتشفات في رأس الشمرة وفي ماري ثم في إيبلا تبين لنا يوماً بعد يوم، أن أحداث التوراة تمت متأخرة جداً عن الأحداث التي جرت في بلاد أكاد وماري وإيبلا وكنعان، ولقد جاءت مختلطة غامضة متناقضة، ويكفي أن نقول بأن الكنعانيين اعتبروا في التوراة لأسباب سياسية من الحاميين وليسوا من الساميين، وفي ذلك نقض لكثير من المفاهيم التاريخية الأساسية). (٣٣)

أما عن ورود اسم اورشاليم، وتعني مدينة السلام. فإن هذا على افتراض تأكيده يعني إن القدس (أور سلام) كانت معروفة منذ عام ٢٤٠٠ ق.م كغيرها من المدن التي ذكرت وما زالت موجودة مثل دمشق - حماه - حمص - حلب -

بيروت. وإن تسميتها بأورسلام قديم جداً خلافاً للدعاء من أن داوود هو أول من أطلق عليها هذا الاسم. وأنه ليس لهذه المدينة علاقة في منشئها باليهود. بل هي وقبل أكثر من ألف عام من ظهور موسى مدينة كنعانية نعرف الآن حسب وثائق إيبلا أنها كانت موجودة وزاهرة تتعامل مع إيبلا وغيرها.

وفي تصريح منشور نفى بتيناتو التأويلات المفرضة لما ورد في وثائق إيبلا : «أما عن الصلات المزعومة مع النص التوراتي فإني أشعر أنه من واجبي أن أوضح، بصورة نهائية إنه ليس ثمة ما يبرر أن نجعل من الإيبلايين أسلافاً لإسرائيل.»

علم الآثار والتاريخ

يعترف العالم دوفو de veux بجلاء إن حقيقة الكتاب المقدس أمر ديني من حيث الأساس، ولا يستطيع علم الآثار البرهنة على تلك الحقيقة أو نفيها، ذلك أن نصوص الكتاب المقدس تتضمن تأويلاً دينياً للتاريخ. ثم بدا ماتي Mathiae مؤخراً أكثر وضوحاً في الدعوة إلى الفصل بين العلم الأثري وبين العقيدة الدينية المسيحية، بعد أن تعرضت مكتشفاته في إيبلا إلى التأويل والابتزاز التوراتي والصهيوني، فهو يقول: «تفترض الأحداث التوراتية من حيث الأساس أنها تعاقب زمني طويل تتخلله أحداث أسطورية مهدت السبيل إلى ظهور الوحي الإلهي، أي أن شعوب هذه الأزمنة التوراتية وحضارتها لم يكن لها بعد تاريخي بل هي مجرد خلفية للأحداث التوراتية المقدسة. ولا يستطيع علم الآثار أن يؤكد أو يثبت صحة ما جاءت به التوراة من أحداث ومواقع.»

إن مهمة علم الآثار أن يحقق موضوعياً دراسة ميدانية لوثائق تاريخية تكشف عن حضارة ما بخصائصها البنيوية وتأثيراتها المتبادلة خلال الفترة الزمنية التي عاشتها تلك الحضارة »

ولتوضيح مضمون وثائق إيبلا قمنا بتشكيل لجنة دولية من علماء اللغات القديمة لدراسة وثائق إيبلا ، وتقوم هذه البعثة بنشر دراساتها في دورية تسمى Archivi reali di Ebla Testi ومن أبرز الباحثين فيها أركي وادزر وسولبرجه.

قدمت وثائق اييلا المقروءة إثباتاً أن الآداب التي زعم أنها يهودية ، تعود في اييلا إلى ما قبل عصر داود بأربعة عشر قرناً. ويبدو ذلك واضحاً من الأسماء الواردة في الوثائق المكتوبة على الرقم الطينية والتي يزيد عددها عن خمسة عشر ألف رقيم. ومن هذه الأسماء : أور سلام واسماعيل واسرائيل وغيرها. ولم يستطع الأثريون، وحتى الأمريكي المشهور أولبرايت أن ينفي هذه الحقيقة ، على الرغم من عثوره على كثير من الآثار التي تعود فعلاً لعصر الحديد ، لا ترتبط بأحداث التوراة.

القصص الديني التوراتي

إن عدم تطابق الأحداث التوراتية مع المكتشفات الأثرية كان موضع خيبة أمل كبيرة للعلماء الذين ابتدأوا ينفصلون عن الحدث التوراتي لمصلحة الحدث المكتشف ، وقد أعلن ذلك صراحة عدد كبير من العلماء من أمثال لاب وديفر وفرانكن وماتيه، بل أصبح الاعتماد على التاريخ التوراتي عبثاً يتحاشى العالم الموضوعي التنويه به. ولعل اكتشاف آثار إيبلا في تل مريدخ «سورية» كان فاصلاً في تحويل علماء الآثار نحو الموضوعية العلمية وتجاهل الهدف التقليدي السابق، وهو تأكيد الأحداث التوراتية.

ومع ذلك فإن ثمة أحداثاً توراتية محضة مازالت تحتاج إلى بحث، وهي تبدأ بقصة إبراهيم الخليل ومجال دعوته، وقصة موسى وجنسية قومه، ثم أرض التوراة وحدودها الجغرافية.

إن بعض البعثات التنقيبية التي أقامت مراكزها في القدس وعمان، ما زالت جاهدة في البحث التنقيبي دون أن تعلن عن أسسها بعد، لقناعتها المطلقة بالتوراة، وإن المصدر التاريخي التوراتي مازال مسلمة لفئة واسعة جداً من توراتي العالم، الذين ترسخت في أذهانهم الأسطورة على أنها حقيقة، وليس يفرحهم أن تتكشف حقيقة الأسطورة، بقدر ما يهتمهم أن تتأكد على أنها هي الحقيقة.

ولكن إذا ما انفصل التوراة عن التاريخ، تصبح الأحداث التوراتية من أمور العقيدة التي لا تدخل في عالم الآثار، أو هكذا يجب أن تكون. والحق أن خيبة الآمال المتتابة التي أصيب بها علماء الآثار التوراتيين، جعلتهم يشكون في أرض التوراة ذاتها، كما فعل كمال صليبي في كتابه (التوراة كتب في عسير) فإذا كانت جميع أعمال التنقيب لم تؤكد بعد ما إذا كانت المواقع التوراتية مثل أورشليم أو جرار أو بئر السبع. هي ذاتها المعروفة اليوم، فإن هذا يعني أحد أمرين فإما أن يكون التاريخ التوراتي لهذه المواقع مزعوماً، وإما أن تكون هذه المواقع هي غير المواقع التوراتية.

وفي الحالتين فإن الشك يقع مرة على التاريخ التوراتي ومرة أخرى يقع على الجغرافية التوراتية، وأخيراً نرى أن الشك يقع على الزمان والمكان التوراتيين بوقت واحد، فإذا كان الأمر كذلك فإن الوجود الصهيوني كله يصبح دونما إحدائيات جغرافية أو تاريخية.

البحث عن أصل اليهود

لا بد من القول إن اليهودية كدين أمر قائم منذ زمن قديم ولكن لم يؤكد العالم الأثري بعد تاريخ اليهودية كما ورد في التوراة. وصحيح أن تعاليم اليهودية كانت موضع اهتمام الديانتين المسيحية والإسلامية، وإن ثمة علاقة بين الأديان الثلاثة. ولكن السؤال من هم اليهود الأوائل، هل كانوا من سكان هذه المنطقة أم كانوا من سكان منطقة بحر الخزر، وما علاقتهم ببني إسرائيل، أي آل إبراهيم وأعقابه؟. وهل جميع يهود العالم هم ورثة بني إسرائيل، وبمعنى آخر هل يشكل اليهود قومية متميزة تنسب إلى بني إسرائيل، أم أن هذا الدين كان مفتوحاً لمن يؤمن به، وإن علاقة اليهود ببني إسرائيل هي علاقة دينية وليست عرقية قومية، وإن بني إسرائيل أي آل إبراهيم قد انتهوا مع يوسف وأن لا علاقة لموسى وقومه بالإسرائيليين.

وثمة دراسات تاريخية واثروبولوجية تؤكد عدم وجود علاقة بين الدين اليهودي والقومية. ويتوسع العلم المعاصر في التأكيد على أصول اليهود الذين

انثروا في العالم في منطقة بحر الخزر منذ العام ٧٤٠. حيث انتمى الملك «بولان» اليهودية وتبعه أبناء شعبه.

أصبح الحديث عن حقيقة إسرائيل أرضاً وتاريخاً من الأمور القومية الأساسية لكي يتمكن المفكر أن يضع تفسيراً لواقع سياسي مرير أصاب الوجود العربي. على أن موقف الفكر العربي لن يكون دفاعاً لصد هذه المطامع وحسب، بل هو موقف موضوعي لا بد لدعمه من العودة إلى التاريخ والبحث الأثري للكشف عن حقيقة هذه المزاعم والمبادئ.^(٣٢)

الفصل التاسع

الأساطير والآلهة القديمة

أسطورة الوجود

أسطورة الطوفان

أسطورة جلجامش

تعدد الآلهة

بداية التوحيد الإلهي

عقيدة الهكسوس (الملوك الرعاة)

العقيدة الواحدية الأقدم

العقيدة التوراتية غير التوحيدية

الفصل السابع

الأساطير والآلهة القديمة

أسطورة الوجود

جاء في أسطورة الخليقة أن الإله الذي وكل بالموت وجد قبل خلق الإنسان. حتى جلجامش لم يستطع الحصول على الخلود. ولم يعتقد الناس في ماري في الفناء المطلق، فقد تصوروا أن الكائن الحي ينقسم إلى جزئين، هما الجسد والروح، فإذا مات الإنسان انفصلت روحه عن جسمه ودخلت في دائرة جديدة هي عالم الأرواح السفلي وتبقى هناك إلى مالا نهاية. ولم تصلنا وثائق تثبت أن أهل الرافدين كانوا يعتقدون بعودة الروح إلى الجسم في القبر أو في البعث كما اعتقد المصريون القدماء. ومع ذلك كله فقد اعتنوا بتهيئة قبر الميت، وتطور بناء القبر، منذ الألف الثالثة ق.م. كان يوضع الميت على ظهره داخل بناء مستطيل الشكل من الطوب ومعه أوان من طين وبرونز. ثم تطور الأثاث الجنائزي فأصبح يشمل أشياء كثيرة منها السكاكين والموازين وحبّات من عقيق. وكانت تقدم القرابين كل شهر. لعلهم يقصدون من وراء ذلك اتقاء الأذى الذي يحتمل أن يلحق به أكثر منه تكريماً له.

وُصف عالم الأرواح السفلي بأنه عالم مخيف وكأنه مدينة أحيطت بسبعة أسوار، على كل منها شيطان مارد وتقوم آلهة قاسية بالحكم في هذه المدينة. وطالما أنهم لم يؤمنوا بالبعث فلم يعتقدوا في الثواب أو العقاب الأخروي، أي أنهم لم يتصوروا وجود جنة أو نار كما تصورها المصريون القدماء.

أسطورة الطوفان

من أقدم الاساطير أسطورة الطوفان. في زمن ما عندما أصبحت شوروباك مدينة آثمة ، قررت الآلهة إرسال طوفان يهلك الجنس البشري المثقل بالخطايا ، لكن المعبود أيا أخذته الشفقة على ملك شوروباك وابنه اوبارتوتو (نوح) ، همس له سرّاً من جدار كوخ القصب بما تبيته الآلهة من هلاك. ونصحه أن يبني فلكاً أعطاه مقاييسه لينجي به نفسه وعائلته وكل بذور الحياة.

وفي اليوم التالي أخذ الملك الصالح يبني فلكاً من سبع طبقات، ثم طلاه بالقيصر وحمله ذهباً وفضة وطيوراً وحيوانات ،ونقل اليه عائلته وأقاربه وصناعه ، ولما تلبدت السماء بالغيوم السوداء دخل الفلك وأغلق الباب وبدأت العاصفة الكبرى مع رياح ورعود أمطار وصواعق، بأمر بل سيد الأرض لعقاب البشر وقد فتح كل بوابات السماء وفاجأ بذلك كل الآلهة لمدة سبعة أيام.

حتى الآلهة عشتار خرجت كامرأة آلمها المخاض وهي تصيح : « كيف أعلن الإله حرباً تدمر شعبي وأنا التي تسعى لتزيد توالدهم؟ أما خلق الناس إلا ليملاؤا البحر كالأسماك، أنت الحكيم بين الآلهة أنت الشجاع! كيف بدون فكر تسبب الطوفان؟! ».

في اليوم السابع هدأت العاصفة وسكن البحر واستقر الفلك ، فتح نوح كوة ، رأى البشرية تحولت إلى أوحال فوهنت قواه وجلس يبكي. أطلق سنونو فعادت إذ لم تجد مكاناً ترسو عليه، ثم أطلق حمامته وعادت لنفس السبب ، ثم أخرج غراباً وأفلته، ذهب الغراب، بعد زوال المياه أخذ يأكل ويمشي في الأوحال. إنها قصة التكوين البشري الرسمية وعلى هذا الأساس تقيّم درجتها الروحية في كل عصر.

أسطورة جلجامش

وفي عام ١٨٤٥ بدأ البريطاني سير هنري لايارد في التنقيب في نمرود (كلخ) ونيوى يعاونه المنقب العراقي هنري رسام (١٨٢٦-١٩١٠) فوجدا كنزاً لا يقدر

بشمن وهو مكتبة آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٠) ق.م آخر ملوك آشور العظام، ولم يدر بخلده أن يعيد للعالم أدباً رائعاً مفقوداً من تلك المدينة الدارسة. وفي عام ١٨٥٢ خلفه رسام فاكتشف عام ١٨٥٢ القسم الثاني من مكتبة آشور بانيبال الذي حوى لوحات المجموعة الآشورية لملحمة جلجامش.

لقد تجمع من تلك المكتبة ٢٥٠٠٠ لوح طيني يحمل الكتابة المسمارية. إحدى مجموعات المكتبة حوت ٢٠٠٠٠ لوح تمثل التراث القديم لبلاد ما بين النهرين في الأدب والدين والإدارة والتجارة مع عدد كبير من الرسائل وفروع العلم من رياضيات ونبات وكيمياء ونواميس. ويخبرنا آشور بانيبال أنه أرسل البعثات ليتفحصوا سجلات مراكز العلم القديمة في بابل وأوروك ونيبور ولينسقا أو يترجموا إلى الأكادية تلك النصوص التي كانت مكتوبة بالسومرية فجمع مكتبة ممتازة «دونت حسب النص الأصلي ونظمت في قصر آشور بانيبال، ملك العالم، ملك آشور» نقلت هذه الألواح إلى المتحف البريطاني في لندن حيث تحفظ الآن. وقد بدأ هنري روبنسن في حل رموز تلك الألواح هو حجر بهيستون (باهستان) المدون بثلاث لغات، سجلا لدرا (داريوس) ملك فارس بلغة فارس القديمة وعيلام وبابل. وفي ١٨٦٦ انضم إليه جورج سميث في معالجة الألواح. وفي ١٨٧٢ أعلن سميث في اجتماع بجمعية «آثار الكتاب المقدس» أنه «قد كشف منذ وقت قصير من بين الألواح الآشورية في المتحف البريطاني عن رواية عن الطوفان». وعندما نشر جورج سميث الرواية الآشورية للطوفان ذكر أنه يبدو أنها نسخة عن ترجمة أقدم منها كثيراً تمت في مدينة أوروك وعند التوسع في فك الرموز السماوية وجد بين الوثائق اثنتي عشرة لوحة شعرية يحمل بطلها اسم جلجامش، ولوحة الطوفان كانت اللوحة الحادية عشرة وهذه المجموعة المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال في نينوى تمثل أكمل نص لملحمة جلجامش.

إن ملحمة جلجامش تستحق أن تتبوأ مكانها في الأدب العالمي، لأنها سبقت الملاحم الهوميرية بألف وخمسة مئة سنة على الأقل وحسب، بل من أجل نوع القصة التي ترويه وطبيعتها. فهي مزيج من المغامرة والأخلاق والمأساة.

وجلجامش ليس أول بطل بشري بل أول بطل مأساوي يمثل خوف الإنسان من الموت واهتمامه بالتهرب من هذه النهاية المحتمة.

وهناك أسباب وجيهة لشهرتها وذيوعها بين الجماهير في الأزمان القديمة والحديثة على السواء. لأن ملحمة جلجامش تعد من حيث أهميتها الإنسانية ووقعها الدراماتيكي قطعة فريدة في الأدب البابلي. ففي ملحمة جلجامش يكون الإنسان يحب ويبغض، يفرح ويكافح، يخاف ويأمل ويقنط ولا يكون مجرد كركوز تحركه أيدي الآلهة ولا إرادة له. إنه تدور حول مشاكل عامة في حياة الإنسان حيث كان وخلال جميع العصور. كالحاجة إلى الصداقة والرفقة والولاء والإخلاص والحوافز الفردية والمغامرة والخوف من الموت وحبه الخلود.

تبقى ملحمة جلجامش مجرد إنتاج فني أكثر منها وثيقة دينية، وهي إنجاز شعري يسمو على الزمن وأقدم ملحمة بطولية في التاريخ. هي مثال في التركيب الملحمي تتناول مشكلة الإنسان الأزلية مشكلة الحياة والموت وبالتالي جدوى الوجود الإنساني أو عدم جدواه. ومن ثم خلق وقتاء الإنسان على أيدي الآلهة. وهكذا كانت أفكار الملحمة لا تشكل معنى إقليمياً بل إنسانياً وعالمياً. لهذا نعتبر هذه الملحمة من روائع الأدب العالمي أكان جلجامش الملك تاريخياً أم مجرد أسطورة.

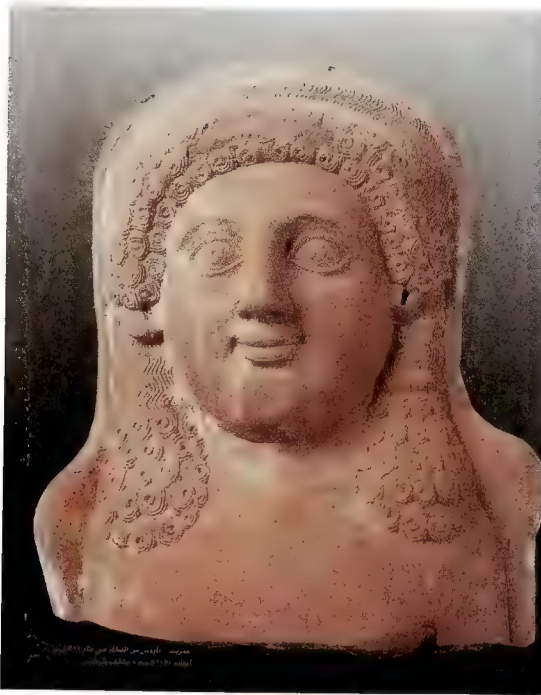
وتشكل ملحمة الخلق وملحمة جلجامش الملحمتين الرئيسيتين في أدب ما بين النهرين وماري. لكن ملحمة الخلق «أنوما ايلش» هي أقرب إلى نوع الأدب الكهنوتي الفلسفي الديني.

كان جلجامش يمثل الصورة الأولى والصداقة لقوة الحياة، وقد استغل رجال ونساء مدينته لبناء أول سور مدينة في العالم. ليس لجلجامش ميلاد مصحوب بالخوارق والأساطير عن طفولته، كما هو الحال بالنسبة إلى الكثير من أبطال الحكايات الشعبية، فالقصة تبدأ وجلجامش في مكتمل الرجولة، متفوق على كل من عداه من الرجال في القوة والجمال، وفي شهوات لا تشبع هي وليدة طبيعته

نصف الإلهية. وتصف الحلقة الأولى كيف أوجدت الآلهة رفيقاً له، وكان هو إنكيديو «رجل الطبيعة» الذي تربى مع ضواري الحيوان وكانت له سرعة الغزال. لكن بغياً من بغايا المدينة لم تلبث أن أغوت إنكيديو، وكان في فقدان براءته خطوة لا رجعة فيها نحو ترويض الرجل الوحشي، فعندئذ صدت عنه الحيوانات، واقتيد هو على درب التمدن في مراحل، فتعلم أولاً لبس الثياب وأكل طعام البشر ورعى الأغنام ومقاتلة الذئب والأسد حتى وصل آخر الأمر إلى مدينة أوروك ذات المدنية العظيمة

تعدد الآلهة

ابتدأت العبادة في العصر الحجري بتقديس الآباء ، واستمرت حتى الألف الأول ق.م. وفي تل أسود قرب دمشق عثر على جمجمة ملونة لأحد الجدود. وكانت تحفظ في مذبح منزلي يحوي تماثم.



٣٧- عمريت- رأس التناووس

كان للآلهة ظاهرة واضحة وهي علاقتها بظواهر الطبيعة والحياة، فحينما تحدثوا عن أصل الوجود جسموا السماء والأرض والماء والشمس والقمر والهواء، كما خصصوا آلهة أخرى لمختلف شؤون الحياة كالحرب والموت والحب والعلوم... الخ. وقد تعددت الآلهة في الجهة الغربية أهمها. الإله ايل رب الأرباب الواحد (شكل ٣٧) والإله بل

أو الإله حدد إله الأمطار والرعد والفيضان، وقد قدسه الحثيون باسم «تشوب» كما عبده الآشوريون وشيدوا له معبداً في آشور.

وكانت الآلهة عشتار آلهة الحب والحرب في وقت واحد، ورمز لها بالزهرة. وقد انتشرت عبادتها في جميع أنحاء بلاد الرافدين وسورية، وكذلك امتدت عبادتها فعبرت البحر إلى بلاد الإغريق، وسميت هناك «أفروديت» وانتقلت بعد ذلك إلى روما فعبدها الرومان وسموها «فينوس».

سماها السومريون «اينانا» أو «انيني» بمعنى سيدة السماء، وأطلق عليها الأكديون والآشوريون «عشتار»، وعرفت في سورية باسم «عشتاروت وعشتوريت». وفي الجهة الشرقية كان أنو أبا الآلهة، ولذلك كان يعد النموذج الأول لكل أب، كان أيضاً الملك والحاكم من أجل ذلك اعتبروه النموذج الأول لكل حاكم. وكان أنو يمثل السلطة، لذلك اعتبرت رموز السلطة (الصولجان، والتاج، ورباط الرأس) كلها مستمدة من أنو، وأنها نزلت من السماء إلى الأرض. انتشرت عبادة أنو في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين، وفي جميع العصور، وأقيمت له دور العبادة في مدن كثيرة.

وثاني الآلهة كان الإله إنليل ويدل اسمه «إن-ليل» على أنه كان (سيد العاصفة). كان سيد ما بين السماء والأرض، وهو يعد إله الهواء والجو وما يتعلق بهما، كما لقب أيضاً بأبي الآلهة.. وكان يقود أنليل الآلهة إلى الحرب، فهو يمثل القوة والبطش، وجاء ذكر أنليل في شريعة حمورابي.

وثالث الآلهة الكبرى في بلاد الرافدين الإله أنكى أو ايا، وأنكى هو الاسم السومري ومعناه (سيد الأرض) وكانت مملكته هي «أبسو» وهي المياه التي تحمل الأرض وتنتشر حولها. وأسماء الساميون «أيا» ومعناه (بيت الماء).

كان أنكى القوة الخلاقة، وكما قلنا أن اسمه السومري معناه (سيد الأرض) كان أنكى رمزاً للماء، فهو القوة الخلاقة، وقد قدسه الناس في جميع أنحاء بلاد

ما بين النهرين ،أسماء السومريون والبابليون «سين» وكذلك سمي «ننار» أو «ننا» ومعناه (رجل السماء)

هذا وقد انتقلت عبادة الإله سين إلى سورية وعبدته الفينيقيون وكذلك الآراميون وكذلك العرب البدو على أنه القمر.

الهكسوس (الملوك الرعاة)

استطاع النظام العقائدي السوري الانتشار خارج سورية، ولعل الظروف الحربية القاسية في البلاد العمورية وبخاصة في إيبلا، كانت السبب في نزوح السوريين إلى مصر على موجات متتالية، وكانوا يحتلون بعض المواقع مثل «قطننة» (المشرقة قرب حمص)، وكانت عاصمتهم «شكيم» (نابلس) و«أريحا» (تل الدوير) حتى استقر بهم الأمر في سيناء ومنها إلى مصر حيث تمكنوا من الاستيلاء على الحكم خلال ١٧٨٥ق.م-١٥٨٠ق.م. وكان المصريون يطلقون عليهم اسم «مينوساتي» أي رعاة آسيا، وأطلق عليهم اليونان فيما بعد اسم «الهكسوس» أي الملوك الرعاة، وجرى على هذا الاسم المؤرخون.

كان «الهكسوس» محاربين أشداء وكانت مواقعهم محصنة ومسورة ومحاطة بخنادق المياه في سورية. وفي مصر أقام زعيمهم «سلاطيس» أولا في «ممفيس» وفرض الجزية على مصر العليا والسفلى، وأقام فيها المعازل لصد الآشوريين عن وادي النيل، ثم بنى مدينة «أوراس» في ولاية «حمان» وحصنها بالأبراج والقلاع والأسوار وأكثر من حاميتها التي بلغ عددها ٢٤٠ ألف مقاتل. وكان «سلاطيس» يأتي إليها صيفاً لجمع الحنطة ودفع رواتب الجند والإشراف على تنظيم الجيش وتدريبه لحماية سلطانه على مصر. وكان «الهكسوس» قد أدخلوا إلى مصر استعمال الخيل والعربات الحربية التي تجرها الخيول، مما ساعدهم على الفتح والاحتلال وفرض القوة والهيبة على المصريين الذين لم يألفوا هذا النوع من العتاد والسلاح، كالسيف المقوس المصنوع من الحديد والقوس المركب، كما أدخلوا تحسينات هامة في صناعة المعدن.

بداية التوحيد الإلهي

يحدثنا التاريخ عن دور الملوك السوريون الرعاة (الهكسوس) وقد تنابع نزوحهم وحكمهم مصر خلال قرنين كاملين ، حاملين عقيدة توحيدية تتمثل بإله الجبل غير المشخص. وكان أخناتون آخر من تبنى العقيدة التوحيدية المنتشرة في دمشق التي ترتبط بفرعون مصر بروابط عقائدية وتجارية وعسكرية.

وكان اسم الإله «إيل» رب الأرباب شائعاً عند «الهكسوس»، ولكنهم لم يفرضوه على المصريين، إلا أن العقيدة بالإله الواحد قد تسربت عنهم إلى المصريين، وكانت ثورة «أخناتون» التي جعلت «آتون» الإله الذي وراء الشمس وصانعها عوضاً عن «أمون» إله الشمس فقط. واستقرت هذه العقيدة عند قوم موسى من المصريين فيما بعد وليس لهؤلاء علاقة بآل إبراهيم على عكس ما يذكر التوراة. وفي رسائل تل العمارنة بين سورية ومصر إيضاح لعلاقة سورية بمصر و انتقال العقيدة السورية في عهد أخناتون فرعون مصر. هي رسائل على ألواح طينية اكتشفت عام ١٨٨٧ في تل العمارنة التي كانت عاصمة «أخناتون» ١٢٧٥-١٣٥٨ ق.م واسمها «أخت آتون». وكان هذا الفرعون قد نادى بالتوحيد متأثراً بالعقائد السورية القديمة، فنقل عاصمته من طيبة إلى العمارنة التي تقع شمالي القاهرة. وهذه الألواح أو الرقم وجدت محفوظة في ١٢٠٠ جرة تشتمل على سجلات ملكية ورسائل من ملوك سورية إلى تحوتمس أو امنحوتب الثالث وابنه أخناتون. وهي مدونة بالمسمارية وباللغة السورية القديمة. وأصبحت هذه الرسائل مصدراً تاريخياً هاماً عن الفترة خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م. وقد نشرت هذه الرسائل بلغات مختلفة.

في هذا العصر كان الفرعون امنحوتب الرابع قد غير العقيدة المصرية التي تؤمن بالشمس (أمون) بإله موحد لعله الخالق الأسبق هو (آتون) الممثل بدارة تحيط بالشمس. وغير الفرعون اسمه وأصبح (أخناتون). كما غير عاصمته وأصبحت (أخت آتون) العمارنة اليوم ،، حيث عثر على جرار الرقم التي أرسلت من ملك دمشق إلى أخناتون

هكذا تغيّرت ملامح العمارة والفنون والنظام الإداري تبعاً للعقيدة التوحيدية التي نقلها الهكسوس.

العقيدة الواحدية الأقدم

يؤكد فرويد في كتابه (موسى والتوحيد) المعتمد على كتاب يوسفوس، أن النبي موسى كان في بدايته قائداً مصرياً، وكان من أتباع أخناتون فرعون مصر الذي تبنى الديانة التوحيدية، وهي ديانة تؤمن بإله واحد (آتون) يقع فيما وراء الشمس، فهو خالق الشمس (آمون) وخالق الكون كله وهو رب العالمين وليس إله مصر وحدها، ثم هو إله موجود في كل مكان وزمان، وليس له صورة فهو لا يرى ولا يمس. وتقوم العبادة الاخناتونية على السلم والإخاء الإنساني. وعلى رسالة إنسانية تبنى نشرها الملك أخناتون أي عبد الإله، فتفى عن نفسه الألوهية التي كان يتمتع بها الملوك الفراعنة، وضحي بجميع ميزاته لكي يؤدي رسالة التوحيد، فكان بذلك أشبه بالنبي، فلقد ألغى الآلهة السابقة مثل آمون وإيزيس وحتحور... لكي ينادي بإله واحد. وبعد أن مات أخناتون بعد حكم طال سبعة عشر عاماً (١٣٧٥-١٣٥٨ ق.م)، خلفه توت عنخ آمون الذي حارب الكهنة من أتباع آمون، فنقض العقيدة التوحيدية، وأعاد البلاد إلى العقيدة الأمونية ونقل العاصمة من تل العمارنة إلى طيبة.

وامتدت موجة الاضطهاد ضد المؤمنين بالتوحيد الاخناتوني، ولعل موسى كان منهم، فهاجر إلى سيناء جامعاً بعض المضطهدين الذين آمنوا بالتوحيد، ولكنهم وقد أنهكهم التيه في سيناء عادوا إلى عبادتهم السابقة وخذلوا موسى وقتلوه وتولى يشوع بعد ذلك قيادتهم للتغلغل والتسرب إلى فلسطين عن طريق أريحا.

تتجلى الهوية الثقافية من خلال ارتباط الأجداد بالعقيدة الواحدية المختلفة عن العقائد اليهودية والفارسية واللاتينية. العقيدة التي بقيت صامدة بدءاً بالإله إيل، وكان معبوداً منذ العام ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وهورب الأرباب العلي العظيم، ولعله أصبح رب إبراهيم الخليل، وليس له علاقة برب اليهود يهوه.

وتؤكد التسميات التي عثر عليها مكتوبة في وثائق إيبلا ، هذا الانتماء وتلك العقيدة. مثل : اسماعيل (يسمع إيل) وميكائيل (من ك إيل) وإسرائيل (أسير أو عبد إيل) وكيا (كالإله يا) ، وكال (كالإله إل)

العقيدة التوراتية غير التوحيدية

لم يفتن كتبة التوراة إلى التقارب القائم بين التوحيدية ، والتي دمج فيها رب السماء في بلاد الرافدين مع رب الأرض في إله واحد ، وبين التوحيدية المصرية التي تقوم على إله هو الخالق لآمون (الشمس) ولجميع الكائنات الصغرى ، وهو إله غير مشخص ولا شبيه له ، ويعبر عنه بهالة الشمس. أما التوراة فلقد جعل يهوّه إلهاً خاصاً ، مع أن يهوّه كان إلهاً إقليمياً آمن به قوم مؤاب. وأصبح هو نفسه حسب عقيدتهم إله إبراهيم واسحق ويعقوب (إسرائيل) وموسى ، باعتبار هؤلاء جميعاً هم أصول اليهودية ، ونادوا بأنفسهم أبناء إسرائيل.

الفصل العاشر

تراث الممالك الأرامية وآسور عربايا

بلاد آرام

عين داره

مملكة دمشق

أشهر الممالك الأرامية

الأراميون - الأخلامو

الأحداث العسكرية

آسور عربايا

حدود الشام

الفصل العاشر

تراث الممالك الآرامية وآسوراعربايا

بلاد أرام

أرام تسمية جغرافية ، تعني الأراضي العالية وذلك بالنسبة للرافدين أو هي تعني الأراضي المرتفعة الجبلية. على أن الآشوريين هم الذين أطلقوا اسم أرومو وأرامو وجمعهم اريمي على بلاد أرام وعلى سكان تلك المنطقة. ولعل اسم أرام خامس أبناء سام بن نوح هو جد الآراميين وأن تسمية الآراميين جاءت من هذا الجد المفترض. ومصطلح أرام النهرين كما ورد في التوراة إنما يعني الأقسام الشمالية من الرافدين وبالتحديد المنطقة الواقعة بين منبع البليخ وحتى الفرات، ولقد عرفت باسم بين النهرين أو «مينرو بوتاميا» ومركزها «حاران». وكان بوليبيوس (٢٠٢-١٢٠ ق.م) المؤرخ الإغريقي أول من أطلق هذه التسمية.

كان الآراميون قد استقروا منذ الألف الثالث في هذه المنطقة وكانت لهم لهجتهم المتميزة التي حملت فيما بعد اسمهم. أما وجودهم السياسي فلم يتضح إلا بعد زوال الإمبراطورية العمورية أو بعد ضعف نفوذها عام ١٥٠٠ ق.م. إلا أن تواجدهم المستقر والمشارك أوضح حدود بلاد أرام. منذ ذلك الوقت تقريباً توسع الآراميون باتجاه الجنوب لكي يستولوا على جميع المنطقة أو لكي تظهر مدن وممالك تحمل اسمهم.^(٢٢)

عين داره

لعل عين داره الواقعة غربي حلب طريق اعزاز -عفرين هي من أهم المواقع الأثرية الآرامية التي تحمل آثار النزاع مع الحثيين. ولعلها عاصمة بيت أجوشي حسب رأي الزميل علي أبوعساف الذي تولى التنقيب في هذا الموقع حيث اكتشف المعبد حسب الأسلوب المعروف ببيت هيلاني. . وأهم ما يميز هذا المعبد، هوزخرفة جدرانه الخارجية بلوحات نحتية تمثل أسوداً وأبا الهول. (شكل ٣٨). كما يتميز، بآثار أقدام كبيرة يبلغ طولها ١٧ سم كدليل لدخول المعبد.



٣٨- موقع عين داره

يتألف هذا الموقع من مرتفع هو الحي الملكي وتحتة يقع الحي الشعبي. ولقد كان هذا الموقع محمياً بسور منيع مبني بالحجارة واللبن (شكل ٣٩). ويحيط السور المدينة كلها وتنفذ فيه بوابات تحيط بها من الجانبين أبراج، وتقوم بوابة المدينة الرئيسية عند تمثال الأسد المكتشف هناك. . ولقد سكن هذا الموقع في جميع العصور حتى عصر الحمدانيين. . وهذا الموقع لم يحدد اسمه القديم بعد، ولكنه يبقى بآثاره الضخمة مرشحاً أن يكون عاصمة لمملكة آرامية. (٣٤)



٣٩- النحت الجداري في عين دارا

أشهر الممالك الآرامية

في نهاية النصف الأول من الألف الثاني ق.م ابتدأ ظهور الآراميين في سورية وابتدأ تجمعهم في الشمال وفي تدمر وعلى العاصي، وبعد أن تم استقرارهم انتشروا في أنحاء واسعة مشكلين ممالك متجانسة في اللغة والحضارة والعقيدة ومن أهم الممالك الآرامية بيت بختاني ومملكة صوبا ومملكة دمشق. أما بيت بختاني فكانت عاصمتها غوزانا (تل حلف) التي اكتشفت حضارتها الغابرة في الألف الخامسة وتقع قرب «رأس العين» على الحدود التركية، ومن أشهر هذه الممالك:

..مملكة فدان آرام وعاصمتها حران..مملكة صوبا في سهل البقاع..مملكة آرام النهرين (بين الفرات والخابور) ..مملكة بيت عديني وعاصمتها تل بارسيب (تل أحمر)مملكة شمال عند سفوح جبال الأمانوس..مملكة حماة..مملكة بيت رحوب عند مجرى الليطاني..مملكة آرام معكا في الجولان..مملكة جشور بين دمشق ونهر اليرموك..مملكة بيت أجوشي وعاصمتها أرباد (تل رفعت)، مملكة دمشق.

مملكة دمشق

بعد موت أخناتون كانت ثمة حروب دامت حتى موقعة قادش في مايس عام ١٢٧٤ ق.م، وتم انحسار وجود المصريين والميتانيين والحثيين في دمشق ، أصبحت دمشق مركزاً لمملكة آرامية سيطرت على جميع الأمراء الآراميين من شمال الجزيرة الفراتية وحتى سيناء. وكانت دمشق المملكة الأهم في هذه المنطقة الواسعة التي تضم سورية الكبرى كما يذكر استرابون في كتابه (الجغرافيا).

وفي العصر الآرامي كان اسم آرام وحده، يعني دمشق. وأخذت ملامح الهوية الآرامية تبدو عليها سياسة وثقافة ولغة. ثم أصبحت المملكة الأكثر نفوذاً على الممالك جابهت الآشوريين وهي تحمل اسم ملكها حزائيل بعد انتصاره في موقعة جلعاد وكان عصره زاهراً.

ومملكة دمشق بوصفها أقوى الممالك الآرامية، لعبت دوراً هاماً في عهد ملكها «ابن حدد» (بنهدد) ٨٧٩-٨٤٢ ق.م حيث فرضت نفوذها على البلاد المجاورة وعقدت معها أحلافاً ضد أطماع الآشوريين. واستطاع خلفه صد هجومين قاما بهما شلمناصر الثالث سنة ٨٤٢ ق.م و٨٢٨ ق.م إلى أن احتلها «تغلات بلاصر» الثالث ٧٢٢ ق.م بعد حصار سنتين تم قتل ملكها رصين وقضى على الحكم الآرامي الدمشقي.

ولقد استطاع العالم سوفاجيه أن يحدد أبعاد آرام- دمشق ضمن السور، وأن يرسم شوارعها والمعبد الآرامي والقصر الملكي في منطقة السماكة، بيد أن الأسبار التي أجراها الدكتور غزوان ياغي في موسمي ٢٠٠٩-٢٠١٠ في تل السماكة لم تؤكد وجود أي بقايا أثرية.

وما زالت القرى المحيطة بدمشق تحمل اسمها القديم في العصر الآرامي. ولقد اكتشف في جدار الجامع الأموي بدمشق لوح نافر يمثل أسداً آرامياً مجنحاً، محفوظاً في المتحف الوطني. (شكل ٤٠)



٤٠ - الأسد الأرامي المجنح

الآراميون - الأخلامو

ومن المؤكد أن الآراميين لم يكونوا على مستوى واحد من الحضارة. فكان منهم أهل الحضر والمدن. ولقد عرفت بعض أسماء القبائل والعشائر التي كان لها دور تاريخي. مثل أخلامو وهي تسمية شاملة لجماعة القبائل البدوية في شمالي الجزيرة العربية الذين لعبوا دوراً في صد الهجوم الآشوري مع أهل المدن من الآراميين، ثم اندمجوا بهم بل صار اسمهم كثيراً ما يطلق على الآراميين أنفسهم. ولقد وردت هذه التسمية «أخلامو» في رسائل تل العمارنة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م وكان المقصود بها أحلاف آرام. وهناك تسمية الخبيرو أو العبيرو وكانت تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب البادية فهم العابرون في البادية وأهل الخبرة في مساراتها، ولعل التسمية جاءت من هذين المعنيين. إلا أنه لا بد من الإشارة أن هذه التسمية أطلقت أيضاً على أتباع موسى وهم من القبائل الرحل أيضاً. ولقد حرّفت التسمية فأصبحت

«عبري» وليس لهذه التسمية أية علاقة بالعبور.^(٣٢)

الأحداث العسكرية

امتد الآراميون بنفوذهم التجاري إلى خارج حدود هذه المنطقة، وكان منهم بطون في العراق وبلطون في سيناء وفلسطين، وانتشرت مع تجارتهم لغتهم حتى أصبحت لغة رئيسية في بابل وآشور ومصر وفارس وفلسطين. وكانت الآرامية لغة السيد المسيح، بل إن انتشار الآرامية أدى إلى إطلاق تسمية آراميين على جميع من يتكلمها من بلاد فارس وحتى حدود بلاد الأرمن وبلاد الإغريق ومصر. ولعل الالتحام القوي الذي بين الآراميين والآشوريين في الألف الأول. وبين الآراميين والكلدان وبين هؤلاء والكنعانيين. قد وسع رقعة البلاد الآرامية. ولا بد أن نشير إلى تحالف الآراميين مع بعضهم ضد شلمنصر عام ٨٥٣ ق.م وانتصارهم في موقعة قرقر.

تعرضت سورية الآرامية بوصفها قلب المنطقة العربية الأم، لأحداث عسكرية هامة، وفي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد تعرضت لاحتلال مؤقت من قبل الكاشيين ثم الحثيين، وفي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد أغار عليها الحثيون وشعوب البحر وتصدت لهم مصر وسورية، وفي النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد خاضت البلاد حرباً منتصرة على الجنوب. ثم احتل الفرس الأخمينيون البلاد بسبب خيانة الكهنة البابليين بعد أن احتلوا بابل ٥٣٩ ق.م بقيادة «قورش»

انتهت الدولة الآرامية التي لم تكن موحدة سياسياً في عام ٧٢٠ ق.م على يد «شاروكين» ملك آشور، حيث قضى على مملكة حماة، وكان تغلات بلاسر الثالث قد احتل دمشق عام ٧٢٢ ق.م. لكن النفوذ الآرامي استمر عن طريق نشوء الدولة الكلدانية ٦٢٥ ق.م على يد نبوبلاسر. وما زالت أكثر المدن السورية تحمل أسماء آرامية حتى اليوم، وثمة قرى مثل معلولا وجبعدين يتكلم أهلها الآرامية لغة السيد المسيح. وقد أطلق على اللغة الآرامية اسم اللغة السريانية نظراً لأنها كانت لغة الآشوريين أيضاً. وتبدو هذه اللغة واضحة على كتابة تمثال



٤١- الأسد الآرامي في تدمر

الأسد الآرامي التدمري.
(شكل ٤١)

عندما هلك آخر
أقوام الآراميين وهي
عاد وثمود أصبح اسم
الآراميين «أرمان». وهي
آرام وأضيف إليها «ان»
في النهاية وهما حرفا
التعريف حسب الجنب
العربي. والأقوام البائدة
وهي عاد وثمود وطسم
وجديس واميم وعماليق
ورھط وجاسم وقحطان
إلخ.. ولقد أطلق عليها
اسم العرب البائدة،
وكانت تحمل اسم العرب

العاربة بمعنى الرساخة في العروبة كما يقول ابن خلدون. وهذا يعني أن الآراميين
هم من أصول العرب في الشمال. (٣٥)

آسورا عربايا «سوريا العربية»

وصلت الدولة الآشورية الحديثة أوج توسعها في عهد آشور ناصربال وكانت
سورية جزء من هذه الإمبراطورية. ثم ظهر الاخمينيون الفرس من أعقاب
الميديين وأسس قورش «سيرهوس» ٥٥٩-٥٢٩ ق.م دولتهم. ثم جاء بعده قمبيز
الذي استولى على سورية وعلى مصر وكان مستبداً أشبه بالمجنون. ثم جاء دارا
الأول ابن هيستاسيس ٥٢٣ ق.م الذي قسم الإمبراطورية الضخمة التي وصلت إلى
جبال الهندوس شرقاً وإلى مصر غرباً إلى ٢٠ ولاية Satrapies مرزبانية وتتمتع بحكم

ذاتي مع سلطة مركزية وتعني بالفارسية سيد البلاد.. وكان هذا الملك الفاتح قد توسع في انتصاراته وسجل ذلك على جدار جبل بهيستون (الذي يقع بين همدان وبابل)، وفيه نقوش تمثل انتصار دارا الأول واهورا مزدا يبارك هذا الانتصار. مع كتابات مسمارية تعبر عن هذا الانتصار، ومن هذه الكتابات تمكن العالم راوولنسون من فك رموز المسمارية. على أن كتابة بهيستون تضمنت أسماء ثلاثة وعشرين ولاية، أما كتابة نقش رستم (حيث قبور الملوك الاخمينيين) فلقد تضمنت أسماء ثمانية وعشرين ولاية. ولقد عدت هذه الولايات في كتابات هيرودوت. وكانت ولاية سورية من حران شمالاً إلى سينا تسمى اسورا عربايا. وتشمل منطقتين: شمالية هي منطقة الجزيرة وحلب وحتى حوران والليطاني، وجنوبية هي بلاد العرب وهي بذلك جزء من الإقليم الخامس (مرزبانة عبر نهر).

ورمز إلى الشعوب التي استولى عليها دارا الأول في النقوش التي مازالت قائمة من آثار برسيوبوليس وفيها رمز لاسورا عربايا (شكل ٤٢). مؤلف من رئيس بيده عصا وفي حزامه خنجر وعلى رأسه قلنسوة كالطربوش ويرتدي



٤٢ - لوحة - آسورا عربايا

قميصاً فضفاضاً وشروالاً عريضاً. وخلفه تابع ممسك بيده جلباباً وعلى رأسه قلنسوة ذات طبقات خمسة. ووراءه تابع آخر بنفس الملامح ولكنه يحمل في كل يد إناء ذا عروتين على شكل أفعى. وتابع ثالث بنفس الملامح ويحمل في كل يد خلخالاً كبيراً أو حلية ما. ونرى أخيراً تابعين حاسري الرأس يقودان حصانين عربيين. ولقد مثل الوفد السوري في هذه المنحوتات وهو يقدم أعمال الصناعات المشهورين والمنتجات المعدنية والخيول التي كانت البلاد مشهورة بتربيتها وإنتاجها.

وكان هذا بداية تسمية هذه المنطقة باسم سورية، ولكن هذه التسمية افترنت بصيغة عربية لأول مرة. وكانت صيدا عاصمة هذه الولاية، ولمع اسم صور — تير — أوتسور (وتعني الصخر) في ذلك العهد، وليس لاسم صور أية علاقة باسم سورية.

ويقول استرابون أن دمشق كانت المدينة الأكثر أهمية في العهد الفارسي، أما أرواد وجبيل وصيدا وصور فكانت تتمتع بحكم محلي، وفي القرن الرابع توحدت تحت سيطرة طرابلس (آثار).

لكن اللغات الرسمية كانت ثلاثة وكانت الآرامية هي الرابعة انتشرت من الهند إلى مصر. وعلى واجهات قصر الملك في «بيرسيوبوليس» منحوتات بارزة تمثل وفود «المرزبانات» التابعة للفرس، ومنها كانت «مرزبانا أسورا عربايا» التي كانت تعني سورية، وكانت تضم القسم الشمالي «أسورا» والقسم الجنوبي عربايا. وهذه التسمية هي الأولى التي حملتها البلاد

حدود الشام

كان العرب في الجنوب يطلقون اسم الشام على جميع أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية. وما زال اسم الشام يتردد على ألسنتنا، على الرغم من الأسماء البديلة الرسمية، فالناس في جميع أنحاء البلاد العربية، عرفوا

(الشام) من خلال التاريخ، وتضطرهم ظروفهم لكي يعرفوا الشام من خلال الحدود السياسية، فيتبادلون تسميات أخرى، ولكن اسم الشام ما زال أكثر تداولاً، على الرغم من أن حجم هذا الاسم تكثف في مدينة واحدة هي دمشق. إن اسم الشام قديم، ولقد استعمله العرب للدلالة على جميع المناطق الشمالية. كما أن عرب الشمال كانوا يطلقون اسم اليمن (يمنات) أو يمون على مناطق الجنوب، وكان الهمذاني في كتابه الإكليل قد ذكر لأول مرة اسم الشام. حدود بلاد الشام إذاً، وبحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل هي تقريباً سورية الحالية ولبنان وفلسطين والأردن وسيناء وجنوب الأناضول.

الفصل الحادي عشر

التراث السوري وأثره في الغرب

أثر الأبجدية السورية

الأميرة السورية أوربا بنت أجينور

أثر العقيدة السورية

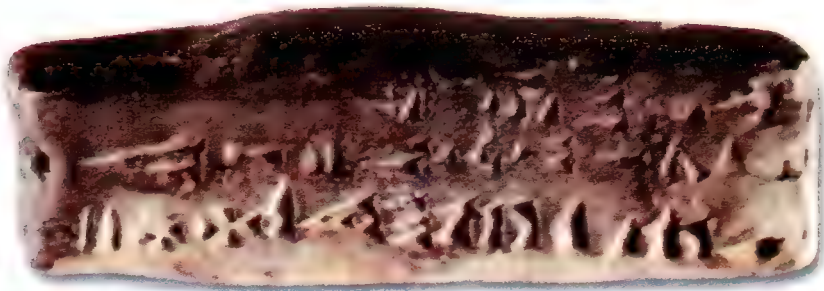
السوريون في عصر الاغريق

الفصل الحادي عشر

التراث السوري وأثره في الغرب

أثر الأبجدية السورية.

لكي نبدأ الحديث عن سورية الحضارة وما أعطته إلى الغرب، لا بد أن نتحدث أولاً عن الأبجدية التي ابتكرها السوريون القدماء ونقلوها إلى الغرب. ابتدأت الكتابة في سورية في القرن الثالث والعشرين ق.م في ايبلا وتل البيدر «نباذا». وفي عام ١٩٣٣ م، عثر في مدينة أوغاريت «رأس الشمرة» قرب اللاذقية على رقيم صغير الحجم يحوي عدداً من الصيغ المسمارية وعددها إثنان وعشرون شكلاً، تبين بعد الدراسة والتدقيق أن هذه الأشكال المسمارية ما هي إلا حروف أبجدية لم يعرف لها نظير، بل لقد تأكد للباحثين أن هذه الأبجدية هي الأولى في العالم وأنها ترجع إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. (شكل ٤٣) وكان العالم مونتييه قد عثر عام ١٩٢٢ على أبجدية أخرى



رقيم أبجدية أوغاريت

٤٣ - أبجدية أوغاريت

في جبيل وعددها ثلاثون شكلاً منقوشة على ضريح أحيرام وترجع إلى زمن لاحق. (شكل ٤٤)



٤٤- تابوت أحيرام

وتبدو أهمية ضريح أحيرام هذا، والذي يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد أنه يمتاز برسوم نافرة جميلة تمثل أحيرام والد أيشوبيل ملك جبيل الذي صنع الضريح له، وأمامه رتل من الباكيات الناحيات والعبادات، وبعضهن يمزقن ثيابهن علامة الحزن، وترجع أهمية الضريح التي اشتهر بها إلى النص المكتوب عليه بأحرف أبجدية مازالت تعتبر حتى الآن الشكل الأولي للأحرف الأبجدية العربية واللاتينية. (٣٦)

وكان الكنعانيون وهم قدماء العرب السوريين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، قد تبنوا منذ العصور الأولى الكتابة التي نراها في أوغاريت، حيث كان من المؤلف هناك استعمال الكتابة المسمارية التي كانت منتشرة في بلاد الرافدين، والتي استمرت وسيلة الأكاديين والعموريين العرب القدماء ثم سكان أوغاريت من الكنعانيين، وكان لابد من استعمال هذه الكتابة بسبب طريقة النقش على ألواح الطين بمسمار خاص. المهم في أوغاريت أنهم قد استعملوا الكتابة

المسمارية على الرقم الفخارية التي كانت غير أبجدية كالكتابة الصينية، ثم قاموا بحذف أكثر الإشارات التي كانت تلازم الكلمات ذات الدلالة الصوتية المختصرة، واكتفوا بصورة تناسب الصيغة الصوتية، فكانت الحروف الأبجدية الأوغاريتية وعددها ثلاثون حرفاً، وهي أول أبجدية في العالم. ويقول أحد الباحثين «جورج بيرو»: «إن ابتكار الأبجدية كان حدثاً هاماً جداً لا يمكن مقارنته بأي حدث آخر في تاريخ الجنس البشري، وهو أعظم من ابتكار الطباعة، إذ أن تحليل الكلام وإرجاعه إلى عناصره الأولية يحتاج إلى عمل فكري عظيم..».

على أن نقش أحiram يقدم لنا أبجدية كاملة مقروءة ومفهومة بوضوح، ذلك أن كل حرف يعتمد بصيغته وشكله على دلالاته المادية لأشياء معروفة، فإذا كانت الإشارة يمكن أن تترك بعض الشك في هويتها بالنسبة للشكل المادي الذي يمثله الحرف، فإن إسم هذه الحروف يسعفنا في تثبيت هذه الدلالة.

وتسميات الحروف باللفات الكنعانية أو الفينيقية في ذاتها هي تسميات الحروف العربية لوحدة اللفتين، وهي تبين أن الحرف الأول «يسمى ألف، وتعني البقرة، ويرمز إليها بما يوضح خصائص البقرة، وهو الرأس ذو القرنين، وأن بيتا «الباء» وتعني المنزل أو البيت كما هو واضح ورمزها مخطط غرفة أو صحن دار، وجيم «الجيم» أو الجمل ويمثل بسنم، وداليت «الدال» وتعني الدلاية أو مطرقة الباب وتأخذ هذا الشكل، ويا «الياء» وتعني اليد ورمزها الزند والساعد، وكوف «الكاف» وتعني الكف ورمزها مشابه لكف اليد، ورأس «الراء» وتعني الرأس وتحمل شكل الرأس، وسن «السين» وتعني السن ويأخذ الحرف شكلاً مضرساً، وماء «الميم» وتعني الماء وتتجلى بشكل متموج، وهكذا..

ولقد انتقلت هذه الأبجدية إلى الكتابة الآرامية والنبطية، ومن ثم إلى العربية الأولى ثم العربية الحديثة. كذلك انتقلت إلى الأحرف الإغريقية واللاتينية. ويقول المؤرخون، أن قدموس شقيق أوروبا وقد مضى إلى بلاد اليونان باحثاً عن أخته، وبعد أن وصل إلى (بيوتي) أنشأ مدينة (طيبة) شمالي أثينا، وقام هناك

بتعليم الناس أبجدية الكنعانيين، واستمرت هذه الأبجدية مستعملة مع بعض التحوير، وحاملة نفس التسميات الكنعانية القديمة، ثم انتشرت هذه الأبجدية في جميع الكتابات الغربية بعد أن تبناها الرومان.

ولقد كتب هيرودوت (ق ٥ ق.م): «إن الفينيقيين القادمين مع قدموس جلبوا إلى الإغريق معارف كثيرة ومنها الحروف التي لم يكونوا يعرفونها. وكان القدموسيون يستعملونها بادئ الأمر بشكلها الفينيقي المألوف. ومع الوقت أدخلوا عليها بعض التغييرات كما غيروا أيضاً في لسانهم، وأنشد كان أكثر الإغريق الذين يحيطون بالفينيقيين من الأيونيين، فتعلموا منهم الحروف واستعملوها محرفة قليلاً ولكنهم استمروا على تسميتها بالكتابة الفينيقية (تاريخ هيرودوت ج ٥ ف ٥٨). ولقد أدخل الإغريق الأوائل على هذه الحروف، الحروف الصوتية». وحوالي عام ٨٠٠ ق.م ظهر الإيتروسكيون في شمالي إيطاليا، ويعود أصلهم إلى الساحل السوري وكيلىكيا، وقد نقلوا نفس الأبجدية إلى الرومان وبدأت باللغة اللاتينية، وقام كيريللوس بالاستفادة من هذه الحروف لوضع أسس الكتابة السلافية.

الأميرة السورية أوربا بنت أجينور

في صور وصيدا، كان ثمة ملك محبوب من شعبه، حقق الاستقرار والأمن. وكانت أوربا الابنة الوحيدة للملك أجينور ولأمها ليبيا، ولم يكن من واجباتها إلا رعاية الزهور والورود واقتناص الفراشات، ترعاها دائماً عشثار آلهة الأمومة، على تلة صغيرة تعلو سائر زميلاتها كأنما هي بعناية إلهة الحب، وسرعان ما تدخلت في مستقبلها يد القدر. (شكل ٤٥)

يهيمن على عالم البحر الأبيض إله أسطوري هو زيوس كبير الآلهة. من عادة رب الأرباب زيوس أن يجلس في أعلى جبل الأولمب، ينظر إلى العالم في جميع أرجائه يتفقد رعاياه. ويبحث من خلالهم عن حسناء جديدة، بعيداً عن رقابة زوجته الفيورة حيرا.

كان كيوييد إله الحب ينظر من بعيد إلى ما آل إليه رب الأرباب بعد أن صوب



٤٥ - أوروبا بنت أجينور

إليه سهم الحب الذي ألهب وجدانه، وحرك نزاوته التي لم تهدأ أبداً. زيوس رب الأرباب أفاق من بين ذراعي آلهة الحب، التي نجحت وحدها في إخضاعه، ورأى أوروبا من عليائه ووقع في غرامها. لكنه لم يرد المضي لأخذها مباشرة خوفاً من غضب يونو الغيور، وخشية أن يخيف الفتاة أوروبا بغير داع، لذا فقد لجأ زيوس الخبيث إلى حيلة رهيبة. فقد قلب نفسه في صورة ثور، لكن أي ثور هو! إذ لم يكن كالثيران التي نراها في المروج.

وسرعان ما تقدم إليهن، ووقف أمام أوروبا مباشرة وانتفضت أوروبا واقفة وتراجعت خطوات كأنما أحست بالمفاجأة لكن عندما استمر الثور وفقاً بهدوء استردت شجاعته، وتقدمت باتجاهه، ثم تجرأت فصعدت ظهره، بينما بقيت رفيقاتها مترددات. ما أن أحس الثور بغنيمته الغافلة على ظهره حتى استوى واقفاً، ثم سار بها متهادياً على مهل بحيث لا يثير فزعها، ومن جهة ثانية بحيث لا تستطيع

الفتيات الأخريات أن يماشينه. وهبط من الرابية متجهاً نحو البحر حتى إذا بلغ الشاطئ تسارعت خطواته وحوافره تدق الأرض، وبقفزة ضخمة كان في البحر مخلفاً اليابسة وناسها وراءه. وعندها ما عاد يشبه في سيره ثوراً متهادياً بل حصاناً مجنحاً طائراً

وصل الثور وعلى ظهره أوروبا إلى كريت، إنها جزيرته والأرض التي خبأته فيها أمه عندما هربته من أبيه كرونوس أي الزمن (ايل أبو السنين). وتقول الأسطورة أن كرونوس كان يلتهم أبناءه، وبحيلة أنقذ زيوس. وصلا إلى كريت وقفز الثور إلى اليابسة والتقى الحراس والأعيان في حفل الزفاف، لقد أنجبت من زيوس أولاداً أشهرهم مينوس ورادانتوس اللذين اشتهرا بالعدل فأوكل إليهما محاكمة الأموات، لكن اسمها بقي أشهر الأسماء إطلاقاً إنه «أوروبا»، وقد أصبح عنواناً لقارة جديدة.

افتقد أجينور بنته
أوروبا وطلب من أولاده
البحث عنها ، فأرسل
ابنه قدموس للبحث
عنها، وعندما وصل
إلى طيبة استقبله
الناس بالترحاب،
وهناك علمهم
الأبجدية الفينيقية
كما هو منقوش على
رصيلة محفوظة
في متحف اللوفر.
(شكل ٤٦). وأنشأ



النقد البرونزي
ويمثل قدموس يعلم أهل طيبة الأبجدية

٤٦- قدموس في طيبة

مدينة «قدميا»، وسميت المنطقة المحيطة بها «بيوثيا» أي بلاد البقرة.. وأصبحت طيبة مدينة عظيمة مزدهرة ، وحكمها بحكمة كما أدخل الحرف إليها.

أثر العقيدة السورية

يتجلى أثر حضارة الساحل السوري على أوروبا من خلال انتقال عبادة الآلهة الكوكبية ومن خلال انتقال الأبجدية وتسمية القارة باسم أوروبا ابنة ملك «أجينور»، ثم انتقال قدموس شقيقها وتأسيس «قدميا»، وتعليم اليونان الأبجدية.

تمتد الأواصر الحضارية بين سوريا وبين الإغريق عبر مواقع جغرافية يحتضنها حوض البحر المتوسط. وسنسمع أصداً تتحدث عن السوريين الذين كانوا في هذه الجزر والذين استطاعوا بفعالياتهم التجارية أن يدخلوا هذه الجزر ضمن حدودهم السياسية. ويصف بلين المؤرخ جزر السوريين عندما يتحدث عن هذه الجزر.

تبدأ ذكريات سورية في عاصمة اليونان أثينا منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، فلقد أعطى السوريون أثينا عقائدها وعباداتها وأصبحت الآلهة الكوكبية بدءاً من الشمس إلى القمر وعطارد والزهرة آلهة هي المثل الأعلى والمصدر الرئيس لقوى الخير والخصب والثواب والحب. ويعلم قدموس الأبجدية السورية الأولى التي أصبحت أبجدية أثينا ، ثم تحولت إلى الأبجدية اللاتينية. وما زال الغرب ينعم بهذا الكشف الثقافي الرائع الذي جعل المعرفة متاحة للناس جميعاً وبأسهل الطرق. بينما مازالت الكتابة الصينية واليابانية كتابة غير أبجدية حتى اليوم.

السوريون في عصر الاغريق

إن اسم قارة أوروبا مدين لاسم تلك الأميرة السورية «أوروبا» بنت أجينور التي خطفها زيوس على شكل ثور حملها على ظهره عبر المتوسط ومضى بها إلى أثينا ، وهناك عمّد اسمها اسماً لهذه القارة المتحضرة اليوم ، وأصبح أخوها قدموس إلهاً للأثينيين لأنه ابن (يم) إله البحر وهو معادل بوسيدون، وأمه «ليبيا» التي أوجدت قارة إفريقيا وأعطت اسمها لمنطقة تونس وليبيا اليوم، وأفريقوس هو أحد أبنائها. وما زالت مدينة قادميا في اليونان تذكرنا بقدموس السوري.

الفصل الثاني عشر

سورية والاسكندر المكدوني

الاسكندر في موقعة إيسوس

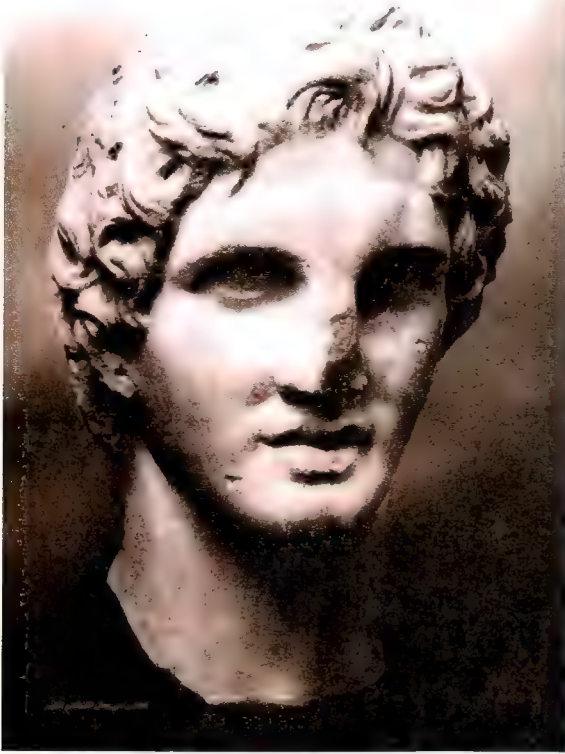
الاسكندر واجتياح سورية

سورية في العهد السلوقي

الفصل الثاني عشر

سورية والاسكندر المكدوني

الاسكندر في موقعة إيسوس



٤٧- الاسكندر المكدوني

زحف الاسكندر من
مكدونيا الى الشرق محاولاً
تجاوز بلاد الفرس في
عهد الأخمينيين. و كان
«دارا» الثالث ملك الفرس
يملك قدرات واسعة، فكان
عدد رجاله يفوق رجال
الاسكندر المكدوني وكانت
أمواله في «سوسا» هائلة
وجاهزة وكان قصره في
«برسيوبوليس» عامراً، وكان
لديه أسطول يحمي شواطئ
آسيا الصغرى وسورية
ومصر. ولكنه لم يكن قائداً
ممتازاً. (شكل ٤٧)

أما جيش الاسكندر فكان مكوناً من أربعين ألف رجل مع إثني عشر ألف
مكدوني كانوا من المشاة وسبعة آلاف من كورنثا وخمسة آلاف من المرتزقة

وثمانية آلاف من حملة الأقواس وراشقي المقاليح وكانوا من تراقيا، أما الفرسان فقد بلغ عددهم خمسة آلاف منهم ١٨٠٠ من أشراف المملكة، كما كان يصحبه عدد من المهندسين المختصين بفن الحصار، وكان بصحبته الفيلسوف أرسطو معلمه، أما أسطولوه فكان مؤلفاً من مئة وثمانين سفينة. (شكل ٤٨)



٤٨- لوحة - موقعة إيسوس

عبر «دارا الثالث» الفرات على رأس جيشه وكان قد حضر بنفسه متحدياً الاسكندر وطموحه، وكان الاسكندر قد أخضع آسيا الصغرى. وقرب أيسوس تأخر الاسكندر في «قليلية» عن قتال «دارا»، وكان لهذا التأخير أثر كبير في انتصاره إذ تقدم «دارا» إلى «قرب أيسوس» وقتل المرضى والشيوخ الذين تركهم الاسكندر. ولكنه في ذلك وضع نفسه في ك마شة.

تقدم الاسكندر على طريقته المألوفة في تنظيم الجيش، فقد كانت المشاة في الوسط والخيالة إلى اليمين وبها هاجم الاسكندر ميسرة الجيش الفارسي،

بينما تقدم المشاة ببطء، وعندما عبروا النهر ارتبك خط القتال وتعرضوا لضغط الخيالة الفرس، ولكن وحدات الخيالة ساعدتهم في القضاء على جناح العدو. وبعد ذلك أدار الاسكندر المعركة باتجاه المكان الذي كان فيه دارا على عربته الحربية وحوله بطانته وقواده. ورغم إصابة الاسكندر في ساقه، طارد «دارا» الذي فر مع ميسرة جيشه، مما أربع جيشه فتقهقروا باتجاه الشمال. وكان «دارا» مذعوراً حتى أنه نسي أمه وزوجه فكانتا معه في معسكره في أيسوس. وحينما وصل إلى جبال الأمانوس ترك وراءه عربته ودرعه ورداءه الملكي، وامتطى فرساً لينجو بحياته.

وعندما احتل الاسكندر معسكر «دارا» وكانت معه هذه البقايا، اعتقد نساء «دارا» وأهله أنه مات. ولكن الاسكندر أحسن معاملتهم وطمأنهم على سلامته، وعاد «دارا» إلى بلاده وكتب إلى الاسكندر طالباً استرداد أهله وعقد معاهدة معه. ولكن الاسكندر وعده بإعادة نسائه، ولكنه طلب إليه الاعتراف بسيادته على جميع أرجاء المنطقة.

الاسكندر في سورية

كان انتصار الاسكندر في أيسوس قد فتح له الباب لاجتياح سورية ومصر، فلم يجد مقاومة كبيرة إذ كانت مدن الساحل السوري مفككة، فهذه جبيل (بيبلوس) التي حلت مكان صيدا وأرواد قد سلمت للاسكندر حتى أن ملك صور أمر بنحت تابوت الاسكندر وعلى جداره نقش معركة أيسوس، وقد صور الاسكندر وعلى رأسه غطاء من جلد الأسد والتف حوله الجلد. وفي الوجه الآخر من التابوت صور الاسكندر مشتركاً في صيد السباع والوعول. وقد عثر على هذا التابوت العالم «مونت» وهو محفوظ في متحف استانبول. ومن دمشق حصل الاسكندر على كنوز «دارا» التي كان قد أودعها هناك خوفاً عليها من الضياع أثناء عبوره ممرات الأمانوس. كان حصار صور صعباً تطلب حياً هندسية وكان لسقوط هذه المدينة أثره في الاستيلاء على كامل سورية ومصر بعد استيلاءه على دمشق وغزة. ثم توجه إلى بابل. وفي عام ٣٣١ ق.م جابه «دارا» وجيشه في

معركة ضخمة، انتصر الاسكندر الذي دخل بابل وأعاد إليها استقرارها بسرعة، لكي يتابع فتحه ملاحقاً «دارا» في «أكبادانا» عاصمة «ميديا»، ولكن «دارا» هرب إلى «باكتريا» حيث قتله حاكمها حماية لما بقي من بلاد الأخمينيين. ثم عثر الاسكندر على الجثة فدفنها رسمياً في «برسيوبوليس». تابع الاسكندر فتحه الهند، وعند عودته إلى بابل عام ٣٢٣ توفي الاسكندر وهو في الثانية والثلاثين من عمره.

سورية في العهد السلوقي

بعد موت الاسكندر المكدوني في سنة ٣٢٣ ق.م اقتسم كبار الضباط التابعين له الممالك الواسعة التي استولى عليها الاسكندر، فكان نصيب «انتيفون» مكدونيا وآسيا الصغرى، وكان نصيب «بطليموس» مصر وفلسطين، وكان نصيب «سليقوس نيكاتور» سورية وبابل وفارس، وفي المنطقة الواقعة عند مصب العاصي أنشأ «انتيفون» مدينة الاسكندرون أطلق عليها اسم الاسكندر سنة ٣١٧ ق.م، وتقع بين العاصي ومخرج بحيرة أنطاكية، ثم قام «سليقوس نيكاتور» باحتلال هذه المدينة سنة ٣٠١، وأقام مدينة أطلق عليها اسم «أنطاكية»، نسبة إلى اسم أبيه «أنطوخوس»، كما أنشأ مدينة أخرى باسم أمه «لاوديسيا» (لاذقية) ثم أنشأ مدينة أفاميا باسم زوجته «أباميا». واهتم «سليقوس» بمدينة أنطاكية فنقل إليها أنقاض مدينة «انتفونا» التي هدمها وشجع الناس على سكن أنطاكية بأن منحهم حقوق اليونانيين وامتيازاتهم، فازدهرت وصارت عروس الشرق وعاصمة الممالك السلوقية الممتدة من البحر المتوسط إلى حدود الهند.

أفاميا

تتجلى عبقرية المعمارين السوريين في حاضرة أفاميا التي تلي تدمير بأهميتها المعمارية. كشفت عن آثارها بعثة بلجيكية منذ العام ١٩٣٠. أنشأ أفاميا سليقوس نيكاتور وأطلق عليها اسم زوجته أباميا. ولقد تم ترميم أسوارها. وفي العام ١١٧٠م دمر المدينة زلزال. (شكل ٤٩)



٤٩- اقاميا - مشهد عام

وتعاقب على سورية في
عصر السلوقيين ثمانية
عشر ملكاً كانوا في صراع
مستمر مع البطالمة، ولقد
أطلق المؤرخون الإغريق
على هذه الحروب اسم
الحروب السورية التي
انتهت بسيطرة البطالمة
على دمشق ٢٧٦ ق.م وعلى
أنطاكية ٢٤٦ ق.م.

وفي عام ١٥٠ ق.م
في سورية ممالك
عربية تحاول التحرر
والاستقلال، كمملكة
الأبصرة في «الرها»

(أديسا) وإمارة الشمسي غرام في حمص والرستن، وإمارة الأيتوريين في
البقاع (عنجر). ودولة الأنباط الذين دخلوا دمشق عام ٨٥ ق.م زمن الحارث
الثالث. وهكذا أصبح السلوقيون في مأزق حتى انتهى عهدهم على يد الرومان.
كما أنشئت دورا أوروبوس «صالحية الفرات» في العام ٣٠٠ ق، م على ضفاف
الفرات وفيها أجرى العالم الأمريكي هوبكنز حفرياته الهامة. ^(٢٧) وفي الحمام
البارثي مجموعة من الرسوم الجدارية، قطعة منها تمثل آلهة النصر اجنحة.
وتعود الى عام ١٦٥ م، محفوظة في متحف دمشق (شكل ٥٠)

لقد كان عهد سليقوس مزدهراً وقوياً، فلقد استعان بأفيال الهند في حروبه
وخاصة عندما حاول الاستيلاء على مصر من بطليموس. فاحتل بلاد الشام



كلها مع الجنوب.
ولكنه فوجئ بتدخل
الرومان الذين
نازلوه في موقعه.
وابتداً حكمهم في
سورية.

٥٠- لوحة جدارية - دورا اوروپوس

الفصل الثالث عشر

تراث سورية في العصر الروماني والحقبة السورية

السوريون في روما

روما والأسرة السورية

الامبراطور السوري كاراكالا

الامبراطور افتينوس (ايلا غابال)

الامبراطور فيليب العربي

ابو للدور الدمشقي

الفصل الثالث عشر

تراث سورية في العصر الروماني

والحقبة السورية

السوريون في روما

في صفحات المؤرخ هيرودوت أخبار عن الأيتروسكيين الذين نزحوا من السواحل السورية واستقروا في شمالي إيطاليا لكي يشكلوا الأسس الأولى للحضارة الرومانية، وكانوا قد نقلوا نفس الأبجدية إلى الرومان ، ثم قام كريلولوس بنقل هذه الأبجدية إلى الكتابة السلافية، كما نقلوا طراز البيوت واستعمال البرونز.

إن قصة إنشاء روما التي جاء بها الإيتروسك من بلادنا هي نفس قصة صارغون وقصة موسى التي وردت بشكل ما في أساطيرنا القديمة ، والقصة الرومانية تقول أن ريا سلفيا قتلها عمها اموليوس بعد عودته من حرب طروادة لأنها حملت من الآلهة وولدت بالخفاء ولدين روموس ورومولوس ، فوضعتهما في مهد خشبي ورمت بهما في نهر التيبر (كما فعلت أم موسى بابنها ، أو أم صرغون) ، وسمعت صياحهما ذئبة فأنقذتهما وأرضعتهما فشبا واختلفا كما اختلف قابيل وهابيل. وقتل رومولوس أخاه وبنى روما وأطلق عليها اسمه سنة ٧٥٢ق.م. وما زال شعار روما ذئبة ترضع الأخوين الطفلين.

كانت روما مدينة محدودة الإمكانات تتطلع إلى استجداء الشرق أو اغتنام ما تستطيع لدعمها. ودخلت إلى الشرق عن طريق البطالمة في مصر الذين استجدوا بالمرتزقة في حربهم ضد السلوقيين في سورية ، وكان من قادة الرومان «بومبيه.



٥١- الرومان - القناع الفضي - حمص

« المشابه لتمثال الرأس الفضي المكتشف في حمص (شكل ٥١). هذا القائد الذي استخلص سورية في عام ٦٤ ق.م من سيطرة «تيجران الأرمني». مما أثار حفيظة زميله قيصر الذي قاتله فهرب منه إلى مصر حيث قتله أتباع قيصر، الذي دخل إلى مصر حليفاً وتزوج من كليوباترا أخت الملك المصري، واتفق مع البطالمة على تجهيز حملة للتوسع في الشرق حيث الحكم السلوقي. وقتل قيصر بخيانة «بروتوس» وأصبح ابنه «أكتافيوس» مسيطراً

على مصر. ولم تكن سلطة الرومان على سورية شديدة الاستقرار، فلقد كان الضغط الفارسي متزايداً مما دفع الرومان لتعيين قائد سوري «أفيديوس كاسيوس»، كي يدافع عن بلاده ضد الغرب، بل قام باقتحام «طيسفون» و«سلوقية».

مجموعة من الآثار التي تعود إلى العصر الإغريقي ولكن أعيد صنعها في العصر الروماني، من أبرزها تابوت الرستن الحافل بالتماثيل البارزة تحكي قصة آغا ممنون المذكورة في إلياذة هوميروس. (شكل ٥٢)



تابوت الرستن

٥٢- تابوت الرستن

روما والأسرة السورية الحاكمة

ليس من مؤرخ روماني أو مختص بتاريخ الرومان لا يضع أسرة سيفيروس في بداية حديثه عن أباطرة روما السوريين الذين لعبوا دوراً هاماً في تدعيم الإمبراطورية وفي توسيع انتشارها وتعديل قوانينها، ثم في تدعيم المسيحية الأولى وإحلالها محل الوثنية.^(٢٦)

ظهرت الأسرة السورية في عهد عميد العائلة «سبتيموس سيفيروس» الليبي من لبدة، وكان يتكلم الفينيقية وتزوج من جوليا دومنا الحمصية التي تتكلم الآرامية شقيقة الفينيقية، وكانت جوليا ابنة «باسيان» الحمصي الكاهن الأعظم في معبد إله الجبل «إيلاغبال» في حمص، وكانت ابنته جوليا على جانب عظيم من الذكاء والجمال والثقافة، وتزوجت من «سيفيروس» عام ١٧٥م وكان من كبار الموظفين. ثم أصبح إمبراطوراً على روما عام ٢١١م، فبنى قصراً على هضبة «البالاتين». وكانت زوجته قد فرضت سلطانها إذ رافقت زوجها في انتصاراته وفي حكمه. فمنحتها روما لقب «أم الوطن» ولقب «أم مجلس الشيوخ» ولقب «أم الجيوش» وفتحت أبواب قصرها إلى السوريين الذين وفدوا إليها كعلماء ومفكرين وفلاسفة ورجال دين.

ولقد استعانت «جوليا دومنا» بعدد من السوريين، أمثال قريبها الفقيه «بابيان» ثم «أولبيان» و«ديوجين» كاتب التراجم، و«ديو كاشيوس» المؤرخ، و«فيلو سترات» السفسطائي. كما اعتمدت على شقيقتها «جوليا ميزا» التي جاءت معها من حمص مع ابنتيها الشابتين الجميلتين، جوليا ماميا وجوليا سوميا.

نشاط جوليا دومنه ودستور انطونيوس

استطاعت جوليا أن توفر من ميزانية الدولة لتسديد حاجات الجيش المتزايدة، دون اللجوء إلى ضرائب جديدة، واستطاعت أن تحد من الفساد والرشوة والسرقاات. (شكل ٥٢)

ولأنها كانت على رأس أسرة سورية تشكل واحدة من الأقليات غير الرومانية،



٥٣- جوليا دومنا

وضعت مشروعاً أصدره ولدها تحت اسم «دستور أنطونيوس» سمحت بموجبه بشمول الرعوية الرومانية على جميع سكان الإمبراطورية على اختلاف أصولهم، وأصبح من حق هؤلاء التمتع بجميع الحقوق المدنية والانتخابية واختيار القضاة والموظفين الكبار، وأهم هذه الحقوق كان حق التملك وحرية الزواج والحصانة من الحكم بالإعدام، ولم تكن هذه الحقوق العامة دونما واجبات، فالتناس أصبحوا سواسية في الحقوق والواجبات العامة، ومنها دفع الضرائب والرسوم، مما زاد في دخول الخزينة وفي تخفيف أعباء الدولة.

كان هدف جوليا دومنا أن تجعل من المواطنين جميعاً مجتمعاً مشتركاً، وكانت الرعوية الرومانية امتيازاً يحقق لكل مواطن مهما كان أصله الكرامة والجدارة، وهكذا سبب هذا القانون إلغاء الأرستقراطية، وإفساح المجال للمساواة الكاملة بين جميع طبقات الشعب. ولقد أعلنت جوليا دومنا بقوة ذكائها وثقافتها، أن الإنسان ليس عبداً وليس كائناً بلا روح تدفعه إلى البحث عن القيم المثالية الكامنة في عقيدة دينية يؤمن بصلاحتها وبقوتها لتحقيق الخير للإنسان، ولقد تعلمت جوليا دومنا من عقيدتها التي كان يوجهها والدها باسيانوس في حمص، أن الروح تسبح في رحلة أبدية بين النجوم لتحقيق السعادة الأبدية للإنسان، ولذلك سمحت للناس على اختلاف عقائدهم، بممارسة دياناتهم طالما كانت هذه الديانات تسعى إلى تهذيب

الروح وتحقيق انفتاحها نحو المثل والحقيقة.

وعلى هذا كانت جوليا كما كان ابنها الإمبراطور شديدي الاهتمام بالمسيحية بوصفها ديناً روحانياً سمحاً، وكان كثير من المؤمنين بهذا الدين من أتباعها ومن كبار موظفي البلاط. ولكن جوليا كانت تأخذ على المسيحية والمسيحيين إخضاع العقل والفكر الحر للإلهام والوحي والوهم، وكان مجرد الإيمان كفيل بالرد على المناقشة الفكرية المحضة

الامبراطور كاراكالا

ولدت جوليا دومنا ولدين، الأول باسيان وأصبح إمبراطوراً تحت اسم «مارك أوريل، أو «كارا كالا، والثاني «جيتا» الذي مات مبكراً أو قتله أخوه بعد موت أبيه ليرث مكانه في الحكم.

وتأكد حكم السوريين في روما بعد أن أصبح كاراكالا ابن جوليا دومنا إمبراطوراً. وكان قائداً من الطراز الأول يرتدي في حروبه الكاراكال وهو رداء سوري حمل هو اسمه. كان رداء الكاراكال رداءً سورياً هو أشبه بالعباءة وكانت جوليا دومنا قد شجعت أتباعها وأصدقائها السوريين من رجال القضاء أو الفلاسفة على ارتداء هذا الرداء، ومنذ أن كان ابنها البكر طفلاً، كانت قد أهدته عباءة صغيرة تميزه عن غيره من الأطفال. ولعل جوليا دومنا أرادت من الاحتفاظ بارتداء هذه العباءة، التعبير عن هويتها السورية، مع الإشارة إلى الرداء الديني الذي كان يرتديه والدها باسيانوس الكاهن الأعظم في سورية، أثناء الاحتفالات الدينية مع الأحرار الذين يرافقونه في هذه الاحتفالات.

وإذا كانت هذه العباءة مطرزة ومزركشة عند الكهنة والكاهن الأعظم، ولكنها كانت منقولة عن العباءة التقليدية التي كان الشعب في سورية قد تعود ارتداؤها في المدينة أو في البادية السورية لدى الأعراب.

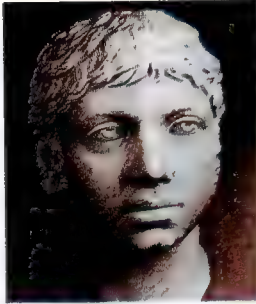
كانت الأسرة السورية وحاشيتها قد تداولت اسم كاراكالا الذي أطلقته على الإمبراطور، تعبيراً عن هويته السورية، بدلاً عن اسمه مارك أوريل أنطونيوس، والذي أطلقه والده عليه متأخراً محاولاً ربطه بأرومة رومانية لأهمية هذه الربط سياسياً.

ترك كاراكالا أثراً بالغاً في علاقات الرومان الاجتماعية والسياسية عندما أصدر

مرسومه الذي جعل جميع سكان روما سواسية دونما تمييز بسبب اللون أو الطبقة أو التبعية، وتمتع لذلك بحب الشعب. ، وكان اسمه الأصلي باسيان وهو اسم جده لأمه الذي كان كاهن حمص، وتزوج كاراكالا من ابنة خالته السورية جوليا ميزا. وكانت زوجته جوليا سوميا فتاة جميلة من أب سوري جاءت مع أمها وأختها جوليا ماميا إلى روما ، وحملت الأميرات الثلاثة تقاليد بلادهن وعقائدهن. وكانت جوليا ميزا الأم

سيده القصر الفعلية

في حياة زوج ابنتها، ولقد تابعت أختها دومنا في نقل لثقافة السورية والعقيدة إلى روما، ودعوة الناس إلى التقرب من هذه الثقافة وتلك العقيدة التي كانت تقوم على عبادة الإله بعل أو حدد، وهما إسمان لإله واحد هو إله الخصب إذا رضي وإله الصاعقة إذا غضب. وتمثل أحياناً بالحجر الأسود الذي كان يعلو الهضاب والجبال ، ولذلك أطلق عليه اسم إله الجبل (إيلا غابال).



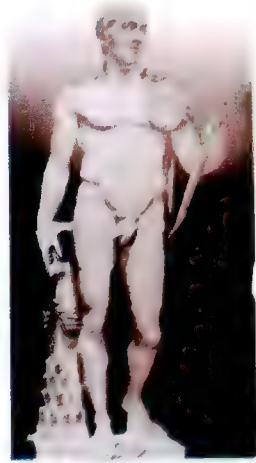
جوليا



كاراكالا



الإمبراطور الإلغابالي



الإمبراطور الإلغابالي
الأسود
سيفيروس

٥٤- أسرة سيفيروس - الأباطرة السوريون

وترك بعض الرومان ألتهم ليعبدوا الآلهة الجديدة التي نقلها بصورة حاسمة ابن كاراكالا واسمه أفينوس الذي نادى به الرومان إمبراطوراً وكان شديد الولاء لجده جوليا دومنا أم كاراكالا التي كانت داعية للثقافة والديانة السورية. (شكل ٥٤)

كارا كالا في سورية

حينما حل كارا كالا وجيشه في المدن السورية وغيرها في الشرق رغبت جوليا دومنه مرافقته ، الى حيث أودعت تاريخها الأول وأهلها وقومها الذين يدينون لها بالمودة والولاء، ولم تكن مقصرة في تقديم العون لسورية وأهلها في زمن زوجها الراحل، وها هي ترغب الوصول إلى موطنها الأصلي مع ولدها الفاتح الجديد، لكي توسع رقعة سورية شرقاً.

كان كارا كالا يقيم الاحتفالات ويبني العمارات والمسارح وأماكن التسلية واللهو، وكان الفنانون النحاتون يقيمون التماثيل للإمبراطور كارا كالا، وهو في حلة تشبه حلة الإسكندر المقدوني.

لعل «كارا كالا» من أبرز الأباطرة الرومان الذين تركوا أثراً اجتماعية هامة، إذ اصدر مرسوم «كارا كالا» الشهير الذي جعل بموجبه جميع سكان روما سواسية يخضعون لقانون واحد ضمن حدود الحرية والحقوق الأساسية التي منحت إليهم. وكان «كارا كالا» يضرب المثل بتواضعه وحسن معاملته للشعب والجنود، فيعيش معهم ويأكل من أكلهم ويستمع إلى طلباتهم ويحل مشاكلهم. ولكنه قتل في حران شمالي سورية وهو في ريعان عمره وفي قمة مجده. ولقد حمل «كارا كالا» هذا الاسم لأنه يرتدي الكاراكال، وهو داء سوري يشبه العباءة.

حمامات كارا كالا

لقد حمت روما ذكرى الإمبراطور «كارا كالا» بالحمامات الكبيرة التي مازالت آثارها قائمة حتى الآن، وهي تمتد على مساحة قدرها أحد عشر هكتاراً، وكانت تتسع لألف وستمائة زائراً، تمارس فيها جميع أنواع الرياضة وتضم مكتبة ضخمة فكانت مركزاً ثقافياً ورياضياً وليس مجرد حمام للاستحمام. وكانت الحمامات مزينة بالفسيفساء ومكسوة بالرخام المرمر والتماثيل الرائعة، وتحيطها الحدائق والمنتزهات والمرافق الأخرى.

جوليا ميزا رئيسة العائلة

نفذ ماكريнос أمره بإقامة الأسرة السورية في حمص إقامة جبرية، وهناك أصبحت جوليا ميزا رئيسة العائلة يعاملها السوريون على أنها جدة الإمبراطور صاحب الحق الشرعي بالحكم، وكان حفيدها باسيانوس في الثالثة عشرة من عمره بينما كانت جوليا ماميا خالته قد ولدت طفلاً اسمه اليكسيانوس وأصبح طفلاً في الثانية من عمره.

عقدت جوليا ميزا الأمل على استمرار الأسرة السورية في حكم روما بوجود حفيديها باسيانوس الذي أصبح اسمه ايل اغبال، واليكسيانوس وقد أصبح اسمه سيفيروس الإسكندر. وكان ايل اغبال قد تسلم مركزه في حمص ككاهن أعظم، وكان يظهر بملابسه الكهنونية الفخمة في المناسبات الدينية والأعياد حيث يرأس موكب المصلين الماضين باحتفال شعبي كبير إلى رأس الجبل، حيث هيكل إله الجبل ممثلاً بحجر ضخمة مقدس.

كانت جوليا ميزا قد اعتمدت على قائد سياسي يدعى جانيس، فجعلته معلماً لحفيدها، وحامياً لابنتها سومايا، ولكنها لم تلبث أن عينته ميزا مستشاراً لها. وقد فطن جانيس أن الحفيد ايل اغبال يتمتع بذكاء وثقافة تؤهله للحكم، وبخاصة أنه الكاهن الأعظم الذي يدين له بالولاء الشعب السوري والجنود المقيمين في سورية، اتخذ جانيس خطوة حاسمة بالاتفاق مع ايل اغبال، وبفضل جسارة جانيس وشجاعته استطاع أن يكسب حسن استقبال الجنود للإمبراطور الصغير بملابسه الإمبراطورية وبوصفه ابناً لكاراكالا، فكان الحماس شديداً باستقباله والتهاف له، وهتفوا به إمبراطوراً تحت اسم ماركوس اوريليوس انطونيوس وقاموا بتقديم عبادة الكاراكال ووضعوها على كتف المحتفى به. والتحقّت به جوليا ميزا وابنتها سومايا وأختها ماميا، وأصبح المكان مزدحماً عندما جلب الجنود زوجاتهم وأصدقاءهم إلى مركز الحامية.

استطاعت جوليا ميزا بذكائها ونشاطها معتمدة على ولاء السوريين وأنصار كاراكالا أن تستعيد كرامة أسرتها في روما. وأن تنقل رماد أختها من أنطاكية إلى

روما كي يدفن إلى جانب قبر كارا كالا في مقبرة الأنطونيين، وأن تزيج ماكرينوس وتتصب حفيدتها إيلاغبال أولاً ثم سيفيروس الإسكندر ثانياً متابعة خطة أختها جوليا دومنا في إدارة الدولة بدهاء ومقدرة وحزم، موجهة الإمبراطورين الواحد بعد الآخر إلى سداد الحكم وحسن الإدارة لصغر سنهما.

كانت «جوليا ميزا» أكثر تأثيراً في السياسية والعقيدة وتحويل المجتمع الروماني نحو الحياة الشرقية ونشر العادات والتقاليد السورية. وهي أرملة أحد السوريين ولها منه ابنتان جميلتان هما «جوليا سوميا» التي تزوجت ابن خالتها «كارا كالا». و«جوليا ماميا» التي تزوجت ابن «كارا كالا» الإمبراطور «إيلاغبال».

الإمبراطور أفنتينوس (إيلاغبال)

بعد موت «كارا كالا» قتلاً وموت أمه «جوليا دومنا» حزناً عليه، حصلت في روما اضطرابات تزعزع النفوذ السوري على أثرها، إلا أن الفرقة الغالية الثالثة المؤلفة من الجنود السوريين المرابطة قرب مصياف، وبتأثير «جوليا ميزا» أعلنت «أفنتينوس» إمبراطوراً على روما تحت اسم «إيلاغبال» وهو ابن «جوليا سوميا» و«كارا كالا»، وكانت جدته «جوليا ميزا» قد استردت مكانتها وقيادتها للأمور ودعمت الإمبراطور الصغير (أربعة عشر عاماً) وابنتها بحامية سورية جديدة.

كان «أفنتينوس» قد ورث صفة الكاهن الأعظم في معبد حمص، وأصبح يحمل اسم الحجر الأسود الهرمي الذي يرمز إلى الإله «إيلاغبال» الشكل المقدس في العبادة السورية، فنقل الحجر الأسود إلى روما، وأنشأ له معبداً خاصاً وميزه على سائر الأشكال المقدسة وبنى قربه مذبحاً، وكان الإمبراطور يمارس الطقوس والشعائر في المعبد على الطريقة السورية، ويتبعه في ذلك جميع رجال الدولة. ثم أنشأ إيلاغبال معبداً آخر في ضواحي روما، وجعل الحجر الأسود ينتقل بين المبشرين على عربة محلاة بالذهب والأحجار الكريمة وباحتفال رسمي.

ولقد أثار هذا التحول العقائدي المتعصبين من القادة الرومان، فتأمروا على الإمبراطور وأمه «جوليا سوميا» وكثيراً من رجال الحاشية السورية، وألقوا

بجثتهم في نهر التيبر (٢٢٩م) وهدموا المعبدتين وأعادوا الحجر الأسود إلى سورية.

لم يكن «إيلاغبال» قد سمع إلى نصائح «جوليا ميزا» الحكيمة القديرة، وكانت تنتظر لحفيدها هذه النهاية المحزنة، وتسعى إلى استبداله بحفيدها الآخر «الكسيانوس» ابن «ماميا» ابنتها الثانية، الذي أصبح إمبراطوراً بعد مقتل «إيلاغبال»، وارتقى العرش تحت اسم «اسكندر سيفيروس».

لقد استمر «اسكندر سيفيروس» على علاقته بسورية كسلفه «إيلاغبال»، وكلاهما كانا يشغلان منصب الكاهن الأعظم في حمص، واستمر ذلك حتى أثناء اعتلائهما العرش.

وكان اسكندر قد اهتم بالناحية الديمقراطية وجعل الأمر شورى معتمداً على مجلس المستشارين. ولعل اعتماده على القانون والعدل وتركيزه على الأمور الديمقراطية لم يكن يرضي بعض الفئات التي كانت تعيش على المنح والميزات. فقتلوه في خيمته عام ٢٣٥م وأمه «ماميا» وكان حكمه قد امتد ثلاثة عشر عاماً. اكتسبت سورية طابعاً استقلالياً تقريباً في عهد أسرة «سيفيروس» السورية التي اعتلت سلطة الإمبراطورية ٢١١-٢٣٥م وجاء بعدها فيليب العربي وكان لهؤلاء الأباطرة دور في حماية وجود الإمبراطورية الرومانية أمام الخطر الفارسي..

أثر المعماريين والفقهاء والعلماء

الوقوف في روما يثير الأشجان ويشير الفخر، هناك أثر حكم أفراد الأسرة السورية، وهناك آثار العباقرة من السوريين العظام الذين أوجدوا قوانين حقوق الإنسان وهناك من بنوا الأوابد.

في روما كانت مجموعة من الأدباء والفقهاء والعلماء السوريين تحيط جوليا دومنا في بلاطها المفتوح للثقافة والعلم، وكان أكثر هؤلاء قد جاؤوا من سورية. ولكن اهتمامها الأقوى كان بفلسفة مواطنها غالين التي تقوم على العقل والحقيقة، ولقد طبق نظرياته على العلم وعلى الدين.

إذا كان سيفيروس قليل الاهتمام بالفلسفة، ولكنه كان منصرفاً إلى الحقوق وكان مستشاره وصديقه رجل القانون السوري بابنيان ابن عم جوليا. وكان سيفيروس قد ابتدأ حياته قاضياً. ولم تكن جوليا بعيدة عن الجلسات القانونية، فلقد كانت تستفيد من الأبحاث الحقوقية في دعم ثقافتها السياسية والإدارية. كان بابنيان نفسه الطبيب سوري ابن عم جوليا والذي جاء من دمشق بدعوة منها، هو المشرع الأكثر حضوراً في وضع القانون الروماني، وكان من أبرز المشاركين في حلقات جوليا دوما في العلم والفكر، وكان من أشهر علماء الطب والتشريح ووظائف أعضاء الجسم، وإلى جانب دراسة الطب اهتم أيضاً بدراسة الفلسفة، وكان من أفكاره الشائعة «أنه لا يجوز قبول أي رأي على أنه صحيح، ما لم يثبت أمام التجربة والعقل». وفي مجال الطب كان يقول: «إذا أردنا فهم الطبيعة علينا أن لا نثق بكتب التشريح بل الثقة بما نشاهده بأعيننا وبيصائرنا». وكانت جوليا تجمع في مجلسها كبار العلماء والأدباء السوريين، فكانت ملهمتهم بذكائها وجمالها وعطاءاتها، بل كانت تجلس وسط حزمة من الورود تشع على الحاضرين بأفكارها وأسئلتها، وكانت متواضعة تصغي باهتمام لكل جواب وسؤال.

لم يكن ابنها البكر أليفاً لهذه اللقاءات المستمرة، فلقد كان يلزم أبيه في حروبه وحملاته، ولكن جيتا الأخ الأصغر كان تلميذاً نجيباً، بل كان في المجالس يشارك في السؤال وبعض الجواب، ترعاه بحنان واضح أمه الإمبراطورة المحبوبة من الجميع.

انتقال عقيدة السلالة السورية

كانت العقيدة السورية تؤمن بعلامات النجوم في تحديد المصير والمستقبل، وكان الاعتقاد أن مصير الإنسان مرتبط بالنجوم، وكان رصد النجوم قد أدى إلى الكشف عن عالم منظم مضيء، تقوم على تنظيمه قوة قاهرة تحكم السماء والأرض في كل زمان ومكان، وكانت هذه العقيدة بداية للعقيدة التوحيدية، وكان الاعتقاد أن مصير الأخيار إلى السماء، ومصير الفاجرين إلى مكان مظلم.

وليسست هذه العقيدة بعيدة عن العقائد التي كانت سائدة في بلاد الرافدين ، ومع أن هذه العقيدة تؤمن بتعدد القوى الحامية والتي تسمى آلهة، إلا أن جميع الآلهة المحليين ليسوا إلا مظاهر لروح واحدة تعتبر الشمس نافذة وشارة لهذه الروح المطلقة.

وكان إله حمص والمسمى «ايلا غابال» ويعني «إله الجبل» بداية لاسم «الوهميم» في العبرية و«إله» في العربية الإسلامية، وكان الجبل رمزاً للتصعيد باتجاه الملاذ المطلق.

الرومان و هيكل الآلهة في حمص

وصلت أخبار إلى سورية ترافقها إشاعات متطرفة أن سورية ستكون دولة مستقلة واسعة الأرجاء، وأن الإمبراطور سيكون من سلالة سورية. كانت حمص (ايميسا) مسقط رأس الأم جوليا دومنا أكثر احتفالاً بهذه الأنباء التي استقرت عند الشعب وكأنها الحدث الوشيك التحقيق. وسارت المواكب الشعبية في احتفال ديني باتجاه هيكل الإله إيلا غابال في قمة هضبة في ضواحي حمص، كانت أعمدة الهيكل مذهبة تعكس أشعة الشمس وكان المؤمنون بالديانة الجبلية الرمزية يأتون من جميع أنحاء المنطقة حتى من بلاد فارس، يقدمون الذبائح والقرايين القيّمة. وكان الكاهن الأعظم قد تسلم السلطة الدينية وراثياً

الامبراطور فيليب العربي

«فيليب العربي» هو الشخصية السورية الأكثر أهمية والتي وصلت عن جدارة إلى قمة الحكم في إمبراطورية روما الواسعة الأرجاء. ولد فيليب العربي عام ٢٠٤ في شهبأ بلدة صغيرة قريبة من بصرى تقع في الولاية العربية Provincia Arabia، وكان والده أحد شيوخ العرب رئيساً لقبيلة اتسع نفوذها وازداد عدد أفرادها حتى أصبحت قوة لها دورها في دعم الإمبراطورية، التي أصبح رعاياها على اختلاف انتماءاتهم مواطنين لهم جميع الحقوق، وهذا التحول كان قد أجراه «كاراكالا» الإمبراطور السوري الذي حكم روما

١٩٨-٢٠٧م، حمل والد فيليب اسم جوليوس مارينوس وحمل ابنه اسم فيليب الذي شب في بيئة عربية صرفة تؤمن بالحرية ويدفعها الطموح إلى العمل والنشاط. وعندما أصبح فيليب ضابطاً في الجيش استطاع أن يثبت ذاته كقائد ناجح، حتى أصبح قائداً للحرس الإمبراطوري. وعندما تمرد جنود جيش الشرق على الإمبراطور جورديان الثالث أصبح فيليب إمبراطوراً (٢٤٢-٢٤٩م). بأشهر إنجازات هامة في تحسين الجيش لمتابعة قتال الفرس أو لعقد معاهدة صلح معهم وهذا ما حصل، وتعلق بمبادئ الشرعية فتقوى من سلطة مجلس الشيوخ وحاول أن يضع حداً لتدخل الجيش في السلطة وفي تغيير الإمبراطور. وناصر الحرية الفردية. وكان ابنه فيليب الثاني قد نما على



٥٥- فيليب العربي

أخلاق ومثل أبيه، فشاركه في الحكم عندما شب ونضج، حتى بدا اسم الابن مقترناً باسم الأب على نقود الإمبراطورية، كما أن زوجته مارينا سيفيروس (ولعلها من أسرة سيفيروس الحمصية) قد ساعدته في حكمه، وظهرت نقود تحمل صورتها تمجيداً وتكريماً. (شكل ٥٥)

ومع أن الوثنية هي عقيدة روما، إلا أن فيليب العربي كان من مناصري المسيحية،



٥٦- شهبا - مشهد المسرح

مكرراً ما
فعله سلفه
كاراكالا. كان
فيليب العربي
شديد الولاء
لوالده، حتى أنه
رفع من شأنه
إلى مرتبة الإله،
وعلى نقود عثر



٥٧- شهبا - فسيفساء

عليها يبدو نسرٌ باسط جناحيه يرفع
صورة الأب إلى مصافي الأرباب. وإثر
فتن المتمردين قتل فيليب العربي عام
٢٤٩م في معركة ضدهم قرب مدينة
فيرونا. وكان في حياته شديد الاهتمام
بمدينته الأولى، فأنشأ فيها كثيراً من
المباني التي ماتزال حتى اليوم ومنها
مدفن الفيليبين الذي لم يدفن فيه
، والمسرح (شكل ٥٦). وثمة آثار قصر
حفظت فيه الألواح الفسيفسائية
الرائعة. (شكل ٥٧)

أبولودور الدمشقي

أبولودور الدمشقي الذي ولد على ما يبدو في دمشق عام ٨٠ للميلاد، كان
قد اختلف بالعمارة الضخمة، وقد صارت له شهرة واسعة مما دعا الإمبراطور
«تراجان» إلى استدعائه إلى روما لبناء فورم روما الذي مازالت آثاره واضحة
حتى اليوم في عاصمة إيطاليا روما.



الصرح بطور دمشق، أنشئ



وقد تم إنجاز
هذا الفورم عام
١١٤م وهو ساحة
تحيطها بوائك
مخصصة لرجال
الحكم والاقتصاد،
يتبادلون بها
أفكارهم وبضائعهم
ويحلون مشاكلهم،
وعادة ينشأ في
مركز المدينة
(المتروبول)
مثل هذه الساحة
(الفورم) التي
أخذت عن الإغريق
وتسمى (اغوارا).

وتشمل الحقبة السورية في روما منشآت المعمار الدمشقي أبو للودور
التي ما زالت آثارها شاهدة في روما. ، وأخذت العمارة الرومانية فيما أخذت
من تقاليد العمارة السورية، بناء القوس والقبعة حتى إن قبعة «البانتيون» وهي أشهر
قبعة في العالم كان قد بناها المعمار السوري أبو للودور الدمشقي Apollodor de
Damas. ونحن نعرف أن هذا الصرح الضخم كان قد أنشئ عام ٢٧ في عهد
«أوغست» من قبل المعمار «فاليريوس». ثم أعيد بناؤه بعد أن تهدم، في عهد
الإمبراطور «أدريان» عام ١٣٨م. وقد صمم. قبته ونفذها أبو للودور الدمشقي
الذي اشتهر في ذلك الوقت كأبرع معمار. وترتفع القبعة عن الأرض ٥٠، ٤٣ متراً،



٥٩- البانتيون - للمعمار أبوللدور الدمشقي

ويبلغ قطرها نفس ارتفاعها وليس لهذه القبة رقبة أو نوافذ، بل فتحة عليا قطرها ٩ أمتار. وهي اليوم مدفن للعظماء، فيها قبر «رافائيل» المصور الشهير، و«ماكيا فيلي الفيلسوف». (شكل ٥٩)

كان تراجان إمبراطوراً رومانياً وقائداً عسكرياً مهماً، (٩٥٣ - ١١٧ م)، ولد باسم ماركوس ألبوس ترايانوس في مدينة إيتاليكا في أسبانيا من أبوين رومانيين. كان أبوه عضواً في مجلس الشيوخ، ثم أصبح فيما بعد حاكماً لسوريا التي كانت إقليماً مهماً في الإمبراطورية الرومانية، ثم أصبح تراجان نفسه عضواً في مجلس الشيوخ، وشغل مناصب عسكرية في أسبانيا وسوريا وألمانيا. ثمة نصب تذكاري أنجزه المعمار أبوللدور الدمشقي بتكليف من الإمبراطور تراجان يسمى عمود تراجان، بُني تخليداً لانتصار الأباطور على شرف الإمبراطور الذي وسّع الإمبراطورية بالفتوح ونفذ برامج بناءية واسعة. فقد افتتح داسيا (أجزاء من رومانيا والمجر حالياً) سنة ١١٣ م، وتخليداً لهذه الذكرى

تم انشاء هذا العمود. وما زال قائماً حتى يومنا هذا في مدينة روما. وهو عمود كالمئذنة الأسطوانية ارتفاعه ٤٣ متراً وهو مؤلف من ثمانية عشر جزءاً وداخله سلم لولبي، ويغطي العمود بنقوش بارزة تمثل ما يقرب من ألفي محارب عدا الآليات ومعدات الحرب، وتمثل مشاهد الجند هذه، حرب تراجان المنتصرة في بلاد داشيا، وفي قاعدة العمود مكان أودع فيه رماد جثة الإمبراطور، وقد وضعت في وعاء من الذهب. وينتصب هذا العمود الذي تم الحفاظ عليه جيداً، في ساحة تراجان العامة في روما. (شكل ٦٠)



٦٠- عمود تراجان - روما

وفي المتحف الوطني بدمشق جزء هام منسوخ عن العمود قدم هدية اعترافاً بفضل أبوللودور الدمشقي صانع

هذا العمود.

ولقد أنشأ «أبوللودور» أيضاً منشآت أخرى، وهي قصر للعدل ومكتبتين وبازليك أولبيا لقد أدهش فن «أبوللودور» الأباطرة الرومان، وبخاصة تراجان، وكان صديقاً «لأبوللودور» فاحتل هذا المعمار السوري في عهده مرتبة عليا من التقدير، وبعد وفاة تراجان عام (١٣٥م) اعتلى العرش «أدريان» الذي ابتدأ متمسكاً برعايته «لأبوللودور»، فكلفه ببناء قبة «البانتيون»، ثم أقام كمهندس للجسور ببناء أضخم جسر أنشئ في تاريخ روما وهو جسر «دبروجا» على نهر

الدانوب، فكان معجزة هندسية رائعة، ثم كلفه ببناء معبد كبير. ومات «أبو للودور» قبل إنجازها، وكان موته غامضاً، إثر اختلاقه مع الإمبراطور. لقد كان «أبو للودور» قمة في فن العمارة عبر التاريخ، ويحق لنا أن نزهو بعبقريته هذا الفنان المعمار الذي أصبح قدوة فيما بعد، أخذ عنه ميكل أنجلو في بناء قصر فرانزه في فلورنسه. وأخذ عنه المعمار الفرنسي في إنشاء عمود فاندوم في باريس أيام نابليون.

عدد من المعمارين السوريين اشتركوا في بناء الأوابد الضخمة في الإمبراطورية الرومانية، ذلك أن المعمار السوري كان قد أنجز ببراعة خارقة أوابد ضاهت بروعتها أوابد روما، ونحن مازلنا نرى آثار دمشق وأفاميا وتدمر وبصرى وشهباء وآثار بعلبك وجرش، وكلها من بناء المعمار السوري أو الشامي. وقد وصلت إلى أعلى مراتب الكمال والروعة المعمارية. ولقد ورث المعمار السوري عن أجداده تقليد إنشاء الأقواس والقباب مما لم يضارعه في ذلك معمار آخر.

الفصل الرابع عشر

الأنباط و تدمر

حاضرة الشرق في العصر الروماني

الأنباط

تدمر حاضرة الشرق

الغساسنة والمناذرة

الفصل الرابع عشر

الأنباط و تدمر

حاضرة الشرق في العصر الروماني

الأنباط

الأنباط من العرب الذين استوطنوا البتراء، وتعني (الحرة)، وحوالي عام ٣١٢ ق.م أصبحوا من القوة أن يصدوا السلوقيين، ويبدو أنهم كانوا من أحلاف البطالمة في مصر، ثم تحالفوا مع الرومان ٢٤ ق.م وكان ملكهم الحارثة الثالث، وقبله في عام ٤٧ ق.م كان يوليوس قيصر قد التمس من مالك الأول، إسعافه بكتيبة من الخيالة لاكتساح الإسكندرية. وكان مالك يعتبر ملك العرب كلهم. بلغت دولة الأنباط توسعها في عهد «عبيرة أو بوداس الثاني» ٢٨-٩ ق.م ووصلت المملكة وعاصمتها البتراء في عهد سلفه الحارثة الرابع إلى دمشق والبقاع، وكانت مدائن صالح في شمالي الحجاز تابعة له أيضاً. وفي سنة ١٠٥ م قضى إمبراطور الرومان تراجان على الأنباط العرب لفةً وجنساً وثقافةً، وكانت الكتابة النبطية أصل الكتابة العربية.

تدمر حاضرة الشرق

كانت سورية في العصر الروماني مجزأة إلى ولايات. وكانت حاضرة مستقلة واسعة عملت على توسيع حدودها حتى وصلت إلى الأناضول وإلى الاسكندرية. ولقد حاولت بعض الولايات الاستقلال ولكنها بقيت تدين بالولاء إلى روما. وفي بداية القرن الثاني الميلادي أصبحت سورية أكثر ازدهاراً بفضل التنظيمات الإدارية والتطور الاقتصادي، نرى آثاره في منطقة الكتلة الكلسية حيث كانت

زراعة الزيتون الوافرة، ونراه في تدمر التي كانت مركز التبادلات التجارية مع المدن المجاورة، بل مركزاً هاماً في طريق الحرير الواصل من الشرق الأقصى إلى البحر المتوسط والغرب.

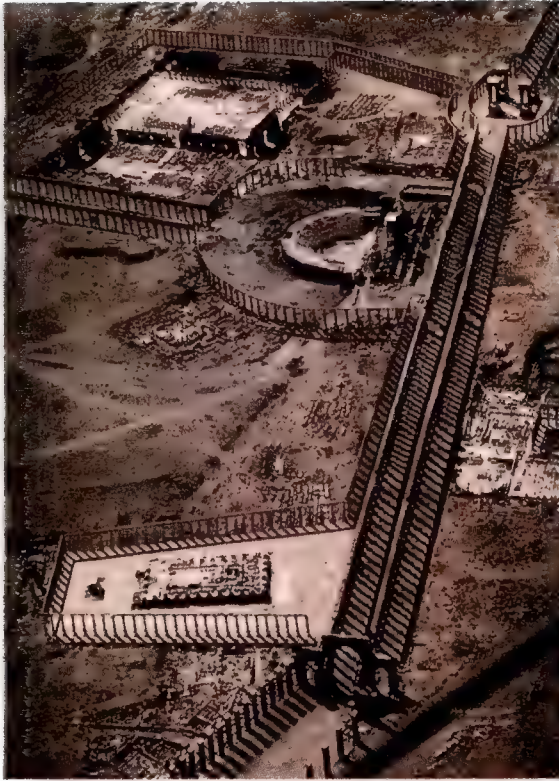
كان التدمريون من عرب البادية الذين استقروا في واحة تتمتع بموقع استراتيجي هام، وكانت تحكمهم أسرة حيران العربية. ومنذ أن أصبحت الأسرة

السيفرية السورية حاكمة في روما ابتدأ الاهتمام بسورية وبخاصة تدمر فأعلنها كاراكالا مستعمرة رومانية وأعفاها من الضرائب.

كان مركز تدمر التجاري سبب ازدهارها، فكانت البضائع من عاج وحرير وعطور تمر من الشرق عبرها، وكانت التماثيل والزجاجيات الفينيقية تصدر إلى الشرق عن طريقها وكانت مركزاً هاماً من مراكز طريق الحرير القادم من الصين.

(شكل ٦١)

كانت تدمر في عصر السلوقيين مستقلة. ثم أصبحت تابعة للنظام العمراني الروماني في عهد الملك أذينة والملكة زنوبيا ثم ابنهما وهب اللات. وارتفع مستوى الحياة الاجتماعية فيها وازداد العمران وتعددت المنشآت تحمل الأسلوب الروماني مع بعض الملامح المتميزة وبخاصة في التماثيل والقبور.



٦١- تدمر - مشهد الأسوار



٦٢- معبد بعشمين - تدمر



٦٣- المسرح - تدمر



٦٤- النحت التدمري

وكانت التماثيل التي اعتمدت أعمدة الشارع المستقيم تنم عن ارتفاع مستوى الطبقة الحاكمة من قادة أو شيوخ، كذلك كانت تماثيل القبور توضح المستوى الراقي الذي كان عليه الشعب بلباسه وجواهره وطراز معيشته، وبتكريم الراحلين بإقامة أجمل التوابيت والقبور.

من أهم آثار تدمر معبد بل ومساحته ٢١٠-٣٥٩م ومعبد بعشمين (شكل ٦٢).

ومعبد اللات، والمسرح مع منصته ومدرجه (شكل ٦٣). وخلف المدرج ما زالت آثار مجلس الشيوخ والفوروم، مع مجموعة من المدافن الظاهرة والتحتية. وفي متحف تدمر مجموعات من آثار تدمر النحتية والمعمارية. (شكل ٦٤)

كانت تدمر زاهرة بحضارتها قوية بجيشها الذي استقطب المقاتلين في البادية، وكانت علاقتها الحسنة مع روما تدفعها إلى تقديم الفرسان والأدلاء لمؤازرة الجيوش الرومانية، بل كانت تدمر الثغر الحامي لأقصى شرق الإمبراطورية الرومانية من الخطر الساساني المتربص لروما دائماً. هكذا بلغت تدمر دوراً كبيراً في سياسة الشرق كله، وبخاصة بعد أن وصلت جيوشها إلى الأناضول والإسكندرية.

ولكن طموحها بالوصول إلى روما لم يتحقق بل دفعت ثمن ذلك نهايتها القاسية المتمثلة بأطلالها القائمة حتى اليوم.

ومرة أخرى يقوم العرب التدمريون بنصرة الإمبراطور «فاليران» وإنقاذه من الأسر الفارسي في عهد ملك تدمر أذينة، الذي هزم الفرس الساسانيين وهدد عاصمتهم.

وعلى الرغم من قضاء «أورليان» على نفوذ تدمر، عام ٢٧٢م فإن سورية عادت إلى الاستقرار بظل الرومان، وكانت الإصلاحات التي تمت في القرن الثالث وبداية القرن الرابع قد وطدت الإدارة السياسية والنشاط الثقافي فيها والإعمار الذي حمل طابع الأسلوب الإغريقي الروماني.

وفي مجال التصوير والنحت فإن جميع الشواهد التي عثر عليها في تدمر، ومنبج وحوران وفي الساحل، هي من صنع الفنانين السوريين الذين كرروا التماثيل القديمة وابتكروا بطابع محلي صرف تماثيل تحمل الطابع السوري المتميز، ولعل تدمر شاهد قوي على الهوية الفنية السورية الصرفة. وفي مجال الفسيفساء فإن الشواهد الرائعة التي عثر عليها في كل أنحاء سورية والمحافظة في متحف دمشق ومتحف تدمر ومتحف السويداء ومتحف ألاميا ومتحف المعرة،



٦٥- الآلهة التدمرية

تجعل من سورية أكبر مركز على البحر المتوسط لابتكار وتنفيذ الفسيفساء الذي بقي مزدهرا في العهد البيزنطي ومن أهمها ما يمثل آلهة التدمريين، اللات وشماش، يبدوان في اللوح الذي عثر عليه في جبل البلعاس قرب تدمر (شكل ٦٥). وثمة لوح آخر يحمل تماثيل عجليبول إله



٦٦ - تمثال - منبج

القمر ويرحببول إله الشمس. لقد عثر في منبج على تمثال كامل ذي طراز تدمري. (شكل ٦٦). وفي متحف دمشق تماثيل جنازية لقبري يرحاي وطاعي

الغساسنة والمناذرة

ثمة هجرات تدريجية تمت بعد خراب سد مأرب في اليمن بعد «السيل العرم»، أي بدءاً من أواخر الألف الأول قبل الميلاد. فكان من هذه الهجرات «المناذرة» في الحيرة (العراق) والغساسنة في جنوبي سورية (بصرى). هذه الحاضرة التي تحتفظ اليوم بالمرح المدرج الأشهر في العصر الروماني.

وكانت بصرى محطة في عصر الأنباط، وأصبحت في العصر الروماني عاصمة الغساسنة و من أمهات المدن، أغنى عمارتها الأسرة السورية الحاكمة. وفيها تم إنشاء مجلس الشيوخ والمعابد والحمامات والشوارع الرئيسية والكاتدرائية. مع معالم واضحة هي قوس النصر والكلية أو سرير الملك. ومن أهم المنشآت في بصرى المسرح الأشهر في العالم، ويبلغ قطره مئة متر وارتفاعه واحداً وعشرين متراً (شكل ٦٧). وإلى العصر النبطي تعود البوابة الكبرى والبركة المربعة بضلع يصل إلى مئة وأربعة عشر متراً.

وأصل الغساسنة من الأزد استقروا في تهامة قرب عين ماء اسمها «غسان» فحملوا هذا الاسم، ثم نزلوا مشارف الشام وتغلبوا على قبائل «الضجاعة» التي كانت تقيم هناك، وأنشأوا دولة عاصمتها بصرى واعتنقوا المسيحية، وكانوا حلفاء الروم فاشتركوا معهم في حروبهم مع الفرس وحلفائهم المناذرة العرب. وحكم الغساسنة ستمائة سنة أي من أوائل القرن الأول الميلادي إلى ظهور

الإسلام وكانت لغتهم العربية والآرامية وكان أول ملوكهم «جفنة بن عمرو»، وامتد سلطانهم على جميع بلاد الشام حتى تدمر والرصافة وإلى البحر. ومن آثارهم صهاريج الرصافة والقصر الأبيض والأزرق وكثير من الأديرة، ولقد التحق بالغساسنة شعراء مشهورون مثل لبيد والنابعة الذبياني وحسان ابن ثابت. أما المناذرة فهم «تنوخيون» مزيغ من «قضاة» و«الأزد»، نزحوا بعد خراب السد في «مأرب» وأسسوا في الحيرة مملكة استمرت من ٢٦٨-٦٢١ م. إن أشهر تراثهم قصر الخورنق وحصن السدير، وكانوا من حلفاء الساسانيين. ويروي ابن قتيبة الحرب الشهيرة بين المناذرة والغساسنة في «يوم حليلة».

الفصل الخامس عشر

سورية وبيزنطة

انتشار المسيحية من دمشق

المسيحية ديانة الدولة البيزنطية

انطاكية حاضرة المسيحية

الأثار المسيحية في سورية

الفصل الخامس عشر

سورية وبيزنطة

انتشار المسيحية من دمشق

المسيحية دين سماوي حمل رسالته السيد المسيح عيسى بن مريم الذي ولد جنوبي سورية في فلسطين وتوفي عن عمر يناهز الثلاثين، وفي كتاب الإنجيل قصة السيد المسيح في أربع روايات، وتابع رسله وتلاميذه نشر رسالته في فلسطين أولاً ثم في سورية وفي العالم،.

في دمشق كان القديس حنانيا من الحواريين ومن أوائل تلاميذ السيد المسيح الاثني عشر والسبعين والذين ذكرهم القديس لوقا، وعندما جاء شاؤول الى دمشق مناهضاً الدين المسيحي، استقبله القديس حنانيا الذي قبل شاؤول و أنشأه عن اضهاد الكنيسة وعلمه مبادئ الدين المسيحي. ولما عمده وتنصر أصبح يتمتع بشهرة وتقدير عظيمين في كنيسة دمشق الفتية، وفيها كشف السيد المسيح المهمة التي عينها لبولس الرسول. وقد قام حنانيا بمسح عيني شاؤول الطرسوسي، كما قام بإنقاذه بعد أن حمل اسم بولس، وساعده على العودة الى اورشليم ومكث بها سنتين ثم مضى الى اسيا الصغرى ناشراً الدعوة المسيحية. حيث حاول اليهود قتله بالصلب واراد الوالى ان يجلده و ذكر بولس عن آلامه في التبشير.

نقل القديس بولس الى روما الديانة المسيحية فيما بعد، وهو الذي نقل الإنجيل ولأول مرة باللاتينية، وعن طريقه انتشرت المسيحية في جميع أنحاء أوروبا.

كان نيرون امبراطور روما الطاغى قد أصدر قانوناً لقمع الحركة المسيحية،

وتنفيذاً لهذا القانون قتل بولس بالسيف عام ٦٧ م كما قتل القديس بطرس صلباً. واستمر حنانيا يبشر بالإيمان المسيحي البلاد السورية الى ان قبض عليه الحاكم الروماني وحكم عليه بالموت مرجوماً بالحجارة خارج سور دمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الأول ونقل المسيحيون جثمانه الى داخل مدينة دمشق القديمة داخل السور. ومنذ القدم تحول هذا البيت الى كنيسة الصليب. . هكذا كان لسورية دور كبير في احتضان المسيحية وفي نشرها في أوروبا، بفضل القديس حنانيا الدمشقي ودوره في إنقاذ بولس الرسول..

المسيحية ديانة الدولة البيزنطية

في نهاية الحكم الروماني على سورية انقسمت الإمبراطورية إلى قسمين، شرقي وعاصمته القسطنطينية، وغربي وبقيت عاصمته روما. وفي ٣٢٢م نشب قتال بين الفريقين بقيادة قسطنطين وليكينوس، وانتصر الأول الذي أعلن تسامحه الديني وبالتالي تبنيه للمسيحية بعد الاضطهاد الذي كانت تلقاه في العهود السابقة.

في عام ٣٢٦م اعتنق قسطنطين وأمه هيلينا المسيحية في الامبراطورية البيزنطية ، ثم قاما بزيارة القدس، وفيها أنشأت أمه الكنائس الأولى (كنيسة القيامة) وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية

ثم أعلنت كذلك في روما بعد أربعين سنة. وهكذا انتشرت المسيحية علانية وبقوة السلطة، وانتقل الناس في الإمبراطورية الرومانية الجديدة من الوثنية إلى المسيحية، وفي سورية كان ثمة ديانتان أساسيتان، الوثنية الرومانية والوثنية الآرامية، وكان الغساسنة والمناذرة العرب قد اعتنقوا المسيحية التي لعبت دوراً هاماً في السياسة الدولية بين فارس والبيزنطيين بعد الرومان.

اصبحت المسيحية ديناً معترفاً به من قبل الإمبراطور تيودوسيوس سنة ٣٩٢م وأصبحت بيزانطيوم عاصمة المسيحية يحكمها ابنه أركاديوس وأطلق عليها اسم القسطنطينية تكريماً لاسم الإمبراطور قسطنطين ٣٠٦-٣٣٧ الذي أعلن

مرسوم ميلانو أقر به حرية الاعتقاد. وصارت سورية تابعة لهذه الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي نشرت المسيحية. وعاشت ظروفًا صعبة فيما عدا عهد «جوستنيان» ٢٦٥-٥٢٧م ومازالت بعض آثاره قائمة.

في عهد «جوستنيان» (٥٢٧-٥٦٥م) انتشر مذهب اليعاقبة (مذهب الراهب يعقوب البرادعي) وكانت تيودورا السورية المولودة في منبج زعيمة هذا المذهب الذي انتشر بين السوريين والفساسنة على عكس المذهب الأرثوذكسي وهو مذهب القسطنطينية.

اعتمد المسيحيون في العالم ومنذ قسطنطين الأول على الإنجيل فقط، ولم يكن التوراة مصدرًا من مصادر العقيدة المسيحية في أوروبا، ولكن الإصلاح الديني الذي دعا إليه مارتن لوثر في القرن السادس عشر، فسح في المجال للاهتمام بالعهد القديم، ولقي ذلك معارضة مما دفع إلى وصم لوثر باليهودية، على أن أتباعه من البروتستان رضخوا إلى مهادنة اليهودية ودعوا إلى دراسة التوراة واعتمادها، وأصبحت التوراة جزءًا من طقوسهم الكنسية، مما أعطى الفرصة لليهود في أوروبا أن يعلنوا منذ القرن السادس عشر عن شخصيتهم كأمة، وأن يتعاونوا مع البروتستان لإعلان أساطيرهم الثلاث، الشعب المختار، والبعث اليهودي للمسيح، وأرض الميعاد.

اتبع قسم كبير من السوريين العقيدة المسيحية، وتشهد الآثار في المدن المنسية في سلسلة جبال بيلوس على ازدهار الدين المسيحي وذلك من خلال الأديرة والكنائس التي أنشئت خلال الفترة من القرن الرابع إلى القرن السابع، كما تتجلى في مدينة الرصافة (سرجيو بوليس) وفي قلعة سمعان العمودي، وفي كنائس حوران ودمشق وحمص وأديرة وكنائس القلمون والبادية وفي حماه، وفي المدن المنسية.

ومع ذلك فإن سكان سورية حافظوا على لغتهم السورية (السريانية) وهي آرامية الجذور. وكانت إنطاكية عاصمة المنطقة الشمالية كما كانت ألاميا عاصمة المنطقة الجنوبية.

أنطاكية حاضرة المسيحية

كانت أنطاكية أول مركز للمسيحية، وكان بولس وغيره ينطلقون منها في أعمالهم التبشيرية، وكان من ألمع كهنتها يوحنا فم الذهب الدمشقي. في أنطاكية حاضرة البطريركية الشرقية سنسمع قصة الراية البيضاء التي انطبع عليها وجه المسيح، ومنذ ذلك الوقت تغيرت ملامح المسيح في العالم، وأصبح إنساناً وسيماً يشع بالنور الإلهي له عيانان حالمتان وعثثون صغير وشعر مسترسل. وانتشر هذا الرسم في أنحاء العالم على يد كبار الفنانين وحل محل صورة المسيح التي كانت تختفي وراء صورة أبولون الإله الوثني الإغريقي. وتداول المسيحيون في العالم اسم المسيح السوري للدلالة على الصورة التي ظهرت في أنطاكية والتي فصلت العقيدة الوثنية عن العقيدة المسيحية الجديدة. كانت أنطاكية موئل السوريين الأوائل الذين أغنوا الثقافة اللاتينية، كان منهم بوسيدونيوس الأقامي الفيلسوف والمؤرخ والعالم الطبيعي وانتبياثر الصيداوي الشاعر الفذ ولوقيانوس السمسياطي الرحالة الجغرافي الذي أصبح حاكماً على مصر.

وفي أنطاكية نتلمس النفوذ السوري أيام حكم السلوقيين، فإذا كانت أنطاكية عاصمة فإن رجال هذه العاصمة كانوا من السوريين الذين استمروا في نفوذهم حتى العصور المتأخرة، وكان لهم دور كبير حتى في العهد البيزنطي أيام جوستنيان، ولم يكن باستطاعة القسطنطينية عاصمة البيزنطيين أن تزهو بكنيسة اياصوفيا لولا عبقرية انتيموس وايسيدور السوريين من كيليكيا والذين صمما هذه الكنيسة وأشرفا على تنفيذها وأصبحت أساساً معمارياً لبناء جميع الكنائس البيزنطية، ثم أصبحت أساساً لبناء المساجد التي أنشأها المعمار سنان، كمسجد السلمانية في استانبول ومسجد السلمية في ادرنة، والخسروية في حلب.

الأثار المسيحية في سورية

يمكننا توضيح معالم تاريخ سورية خلال الحكم البيزنطي في مرحلتين، يفصل بينهما حكم جوستنيان الكبير. وفي المرحلة السابقة تمتعت سورية بعد تقلبات سياسية بالاستقرار، وازدهرت بعض المدن الساحلية مثل إنطاكية وسلوقية واللاذقية، وبعض المدن الداخلية مثل أفااميا التي كانت عاصمة وحلب وقنسرين (كالسيس) وحمص ودمشق. وتمثل هذا الازدهار في الصناعات اليدوية والنسيج الحريري في الساحل، وبالتجارة الدولية مع إيران من خلال نصيبين وحلب وإنطاكية، ومع الهند عن طريق البحر المتوسط والخليج العربي، وعن طريق خليج العقبة والسويس، وكانت المبادلات التجارية تتضمن السلع والمواد الخفيفة الوزن والعالية القيمة، كالتوابل والعطور والعاج واللؤلؤ والحرير. ولكن الازدهار المستمر تمثل بالنمو الزراعي وبالتجارة بالمحاصيل الزراعية عبر المدن الداخلية.

عندما كانت سورية تدخل جغرافياً في نطاق الإمبراطورية البيزنطية، أنشئت الأديرة والكنائس. وأهم بناء كنسي في دمشق المريمية أو كنيسة مريم العذراء التي أنشئت أولاً في القرن الثاني الميلادي ولعلها تهدمت وأعيد بناؤها في القرن الخامس، وما زالت عامرة حافلة بالأيقونات الدمشقية.

. وفي عام ٣٢٦م جاءت أم قسطنطين هيلينا لزيارة القدس وكانت قد اعتنقت المسيحية، وفيها أنشأت الكنائس الأولى (كنيسة القيامة)، وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح.

وفي شمال سورية كانت آثار الرصافة (سيرجيوبوليس) من أهم الآثار التي ما زالت قائمة من العصر المسيحي البيزنطي، وتقع على بعد ٢٠ كم جنوب غرب الرقة، وكانت مقراً للفلسفة ويحيط هذه المدينة أسوار في صفين وأربعة أبواب شديدة الزخارف ذات أبراج، ومن أهم المباني كاتدرائية سرجيوس الكبرى ولعلها كانت تضم رفات القديس (شكل ٦٧). وثمة خزانات مياه ضخمة تحت الأرض.^(١٠)



٦٧- سيرجيوبوتيس - الكاتدرائية

تحيط الرصافة اليوم أسوار منيعة في صفين وخندق خارجي مع أربعة أبواب. ولقد حددت معالم القصر. و ما زالت آثار كاتدرائية القديس سرجيوس قائمة. عثر فيها على كنز ذهبي من الأواني. (شكل ٦٨).



٦٨- كنز الرصافة

شن الساسانيون الحرب عليها عام ٥٤٠ م، وفي العصر الإسلامي أصبحت مقراً للخليفة هشام بن عبد الملك. وكانت سورية قد حاولت منذ أن كانت حاضرة الإسلام في سجال مستمر مع بيزنطة.

ومن أهم الآثار التي تعود إلى العصر البيزنطي آثار المدن المنسية الواقعة في محافظة إدلب، قام بدراستها العالم الفرنسي شالكو، وكشف عن مئة وخمسين كنيسة وبيت وبخاصة آثار سرجلا (شكل ٦٩) و الباره (شكل ٧٠) وقلب



٦٩- سرجلا - الكنيسة



الباره - مشهد عام من الجو

٧٠- الباره- المدن المنسية



٧١- كنيسة سمعان العمودي



٧٢- قصر ابن وردان

لوزه. أما قلعة سمعان العمودي وفيها الكنيسة التي أنشئت عام ٤٧٦ فهي أضخم كنيسة في العالم المسيحي مساحتها ٥٠٠٠ م^٢، ويلحق بها دير وقبر بمساحة ٥٠٠٠ م^٢، والمعمودية بمساحة ٢٠٠٠ م^٢، وكان الموقع محجماً للمؤمنين من أنحاء العالم، تقديساً للقديس سمعان. (شكل ٧١) أمر بإنشائها القيصر

ليون الأول في العام ٤٧٤ م وتتوزع الآثار المسيحية في جنوبي سورية، في قنوات وسيع والنمارة وأزرع، وفي البادية حيث قصر ابن وردان وقصر أثرية، والاندريين، وحوارين.

وقصر ابن وردان: هو أبدة معمارية فريدة بطرازها الذي يعتبر مقدمة للطراز الإسلامي، فالتناوب في صفوف الأحجار الملونة بين صفوف آجرية حمراء والبلاط الممزوج بالحصى والكلس، يجعل البناء رائع المشهد،^(٤١) يبدو في وسط البادية وكأنه بناء أسطوري.

(شكل ٧٢)

كما تتوزع الآثار المنقولة وألواح الفسيفساء في المتاحف وبخاصة في متحفى آفاميا ومعرة النعمان. وترعى السلطة الأثرية كنوز الكنائس والأديرة ، من أوان كنسية ولوحات إيقونية. محفوظة في الكنائس والأديرة ، مثل الكاتدرائية المريمية في دمشق وكنيسة الرسول حنانيا التي تحوي روائع الإيقونات. وفي دير القديسة تقلا في معلولا المنقور في الصخر داخل مغارة يقطر الماء من أعلاها في حوض حجري يحفظ الماء المعدّ للشرب الزائرين.

واشتهر الفن الكنسي باحتوائه على الإيقونات الي تصدر الإيقونستاز أي هيكل الكنيسة ، وموضوعها المسيح والسيدة مريم العذراء والحوارين. وكلن يوحنا الدمشقي قد شجع على تصوير الإيقونات ، وفي عاصمة مألطة أقدم أيقونة سورية. وكان المصورون السوريون قد اهتموا بإبداع ايقونات متميزة بطابعها السوري ، نذكر من الرسامين المصور يوسف الحلبي وابنه المصور نعمة الله وفي تدمر عثر على ايقونة من القرن السادس تمثل السيد المسيح والقديس مينا من محفوظة في متحف اللوفر. وفي كتاب المطران جورج خضر توسع في تاريخ الإيقونة وقد استها.

ومن أهم الأواني الذهبية الكنسية ما عثر عليه في الرصافة (سيرجيوبوليس) وتتألف القطع الفنية الكنسية من الكؤوس وحواجل الزيت وتذكارات التبرك والرسوم الجدارية في الدياميس والتي تعود الى القرنين الثاني والثالث الميلادي. وتعد الأنجيل المخطوطة من أهم المقتنيات الكنسية أحدثها كتاب الناموس الكنسي المزين بالصور ، خطه ورسمه الخطاط الحمصي قسطنطين بن داوود الحمصي. وفي المتحف الوطني بدمشق أنجيل باللغة العربية يعود الى القرن الثامن عشر مزين بصور مرقنة تمثل الإنجيليين الأربعة .

الفصل السادس عشر

التراث الإسلامي

سورية ومعركة اليرموك

علاقة سورية مع القسطنطينية

أصالة الفنون الإسلامية

مرحلة الاستقلال وبناء الشخصية الفنية

الوحدة والتنوع

أحقاب الفنون العربية الإسلامية :

الفن والعقيدة

الواقعية في الفن الاسلامي

الفن الاسلامي بين التشبيه والتجريد

التصوير الايضاحي بين المرقنات والمنمنمات

الرقش العربي والزخرفة

تراث العصور الإسلامية

الأثار الإسلامية في متاحف العالم

الملامح الفنية الإسلامية في الأثار الكنسية الأوروبية

الفصل السادس عشر

التراث الإسلامي

سورية ومعركة اليرموك

عند إعلان دولة الإسلام بعد دعوة الرسول إلى مكة، كانت بلاد الشام جزءاً من إمبراطورية الروم البيزنطية وكان إمبراطورها هرقل قد وحد بلاده ووطد أركانها. وابتدأ الرسول في العام الثامن للهجرة بحملات خفيفة على الروم، كان أولها غزوة (مؤته). وفي العام التاسع للهجرة ٦٣٠م قاد الرسول معركة (تبوك) التي حققت توسعاً. وبعد وفاة الرسول انتصر المسلمون على بطريق فلسطين فارتد الروم إلى غزة. وبينما كان خالد بن الوليد يقاتل في العراق، جاء أمر أبي بكر الصديق بالاتجاه إلى الشام بعد أن كانت الحيرة قد سلمت لخالد.

وبفتح دمشق سقطت جميع البلاد الشامية حتى جبال طوروس. وكان السوريون أهل البلاد يقفون دعماً للعرب الفاتحين من أبناء عموماتهم، «فكان الفتح يسيراً» كما يقول البلاذري. وعندما تم فتح القدس، قدم عمر بن الخطاب إلى باب الجابية كي يشارك أبا عبيدة الجراح في دخول المدينة المقدسة.

علاقة سورية مع القسطنطينية

فتح العرب البلاد وانهزم هرقل وابتدأ العرب بتهديد الوجود البيزنطي.. وحاولت جيوش المسلمين فتح القسطنطينية في عهد معاوية على يد ابنه يزيد، وفي عهد عبد الملك على يد مسلمة بن عبيد الملك وفي عهد هشام بن عبد الملك على يد عبد الله البطل وغيره وكان لابد من التعايش الحذر بين السوريين والقسطنطينية. (٣٩)

الذكريات القديمة تدفعنا للتوقف عند حادث جمل كان للسوريين فيه دور

كبير، يوم تحققت ثورة أصولية على عبادة الأيقونات والمنابر، وكان زعيم هذه الثورة من سورية هوليون الثالث (٧١٧-٧٤٠) الذي كان واحداً من المثقفين في بلاط الخلافة في دمشق، وكانت تربطه بيزيد بن معاوية روابط خاصة، وكان الإمبراطور قد فهم الدين الإسلامي وأتقن العربية وكانت لغته الأولى. ولأن الإسلام قام على التوحيد ونبذ عبادة الأصنام والصور منذ أن قام الرسول بإزالتها من الكعبة، فإن الإمبراطور ليون الثالث قرر منع عبادة الأيقونات التي كادت أن تحرف المسيحيين عن عبادة الله إلى عبادة وثن هو صورة المسيح أو العذراء أو الحواريين، وكان ثمة حوار وتنسيق بين القسطنطينية ودمشق، وانتهت الحرب بعد وقت طويل بانتصار الإمبراطور على الكهنة الذين استفادوا من تجارة الأيقونات. وعاشت هذه الإمبراطورية حتى عام ١٤٥٣م حيث استطاع محمد الفاتح إنهاء وجودها بعد فتح القسطنطينية.

أصالة الفنون الإسلامية

ظهرت الفنون الإسلامية على أرض عربية واسعة كانت ذات تقاليد فنية أطلق عليها اسم التقاليد البيزنطية أو الساسانية، وهذه التسمية مستعارة من هوية الحكم السياسي، ولكنها لا تعني أنها من صنع هذه السلطة أو تلك، بل هي من صنع الشعوب التي عاشت على هذه الأرض، ولقد دانت هذه الشعوب بعقائد هذه السلطة، بل إن العقائد هي تكوين فكري وروحي يصنعه الناس ليكون أساساً لنهوضهم الحضاري، وترك لنا أفذاذ من تلك الشعوب منشآت رائعة تحمل آثار إبداعاتهم الرائعة، نراها حتى اليوم في كنيسة أياصوفيا البيزنطية، كما نراها في آثار ساسانية مثل بيسرسيو بوليس في إيران أو في طاق كسرى في العراق. وفيها كانت الرسوم الرائعة التي وصفها البحري في قصيدته السينية. ومما لا شك فيها أن مثل هذه الأوابد كانت شاهداً على استمرار التقاليد الفنية بعد ظهور الإسلام وانتشاره وفي هذه المناطق ولكن استمرارها هذا لا

يعني أن الفنان في العهد الإسلامي قد استمد منها، بل يعني أنه هو نفسه سواء أصبح مسلماً أم بقي على دينه، قد استمر في صناعة فن أصيل أرادته لوظيفة دينية، ومدنية جديدة.

إن الأوابد الأولى التي نراها في المسجد الأقصى وقبة الصخرة والجامع الأموي وجامع القيروان بل وجامع قرطبة، كان قد أنشأها هذا الجيل الأول الذي استمر في صناعة الفن التقليدي الذي انتقل من ظل سلطة إلى ظل سلطة أخرى، ولم يكن سهلاً أن يقيم الإسلام منذ ظهوره مؤسسات حضارية جاهزة تعتمد على مبادئ وردت في مصادر الشريعة، أو القرآن الكريم، أو السنة. بل لقد اقتضى ذلك زمناً حتى استقرت فيه مبادئ هذه الشريعة في نفوس وعقول المجتهدين، وولدت أشكالاً من الفكر والنظرية وسمت مظاهر الحضارة بميسمها. أو كانت بطانة هذه الحضارة استخلصها المفكرون والكتاب والفهاء، حتى أصبحت فلسفة قائمة بذاتها، متميزة عن غيرها من الفلسفات الشائعة، حسب اختلاف مبادئ الإسلام التوحيدية عن مبادئ دينية أو زمانية أخرى.

مرحلة الاستقلال وبناء الشخصية الفنية

لم يمض زمن طويل حتى انقضت المرحلة الأولى التي مارس فيها الجيل الأول من أبناء أرض الإسلام استمرارية الفن التقليدي. وانتقلت الفنون الإسلامية إلى مرحلة ثانية لم يعد لهذه الفنون أية علاقة بمصادره التقليدية المحلية، وبرزت ملامح جديدة لهذه الفنون جعلتها متميزة موحدة، رغم اختلاف التقاليد في مساحة متعاطمة من الأرض التي انتشر فيها الإسلام من الصين إلى الأطلسي، وحملت هذه الفنون سمة جديدة، وتكونت شخصية فن نستطيع التعرف على أسرار جماليته وفلسفته، من خلال الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية. ونعتقد أن هذه المرحلة كانت أهم مراحل تطور هذه الفنون، بل إنها تشكل الولادة المتكاملة لفن انفصل عن جميع الرواسب، لكي ينتمي لحضارة جديدة ويصبح أهم عناصر تكوينها.

الوحدة والتنوع

على أن المرحلة الثالثة كانت مرحلة التنوع، فالفن الإسلامي لم يبق جامداً أمام التحولات السياسية والاجتماعية التي تمت تحت ظل الإسلام في عالم واسع تقاسمته سياسات متعددة، فكانت الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الأموية في قرطبة والخلافة الفاطمية في القاهرة. ثم ظهرت وحدات سياسية ذات نزعات قومية فارسية أو تركية. ولكن هذا الانقسام السياسي والنزوع القومي الشعبي لم يحل دون استمرار العلاقات الثقافية والتجارية بين الشعوب الإسلامية، مما جعل الفنون التي تنوعت بتعدد الأنظمة السياسية، مرتبطة دائماً بالمبادئ الإسلامية ذاتها.

وهكذا فإن التنوع الفني لم يخلّ بوحدة الفن الإسلامي، بل استمرت الفنون الإسلامية موحدة، ولا يوجد من يخطئ في تحديد هويتها على امتداد أرض الإسلام أو على اختلاف أشكالها، سواء أكانت إناءً خزفياً أو مقبض سيف أو نقشاً في مخطوط.

أحقاب الفنون العربية الإسلامية :

ما زال المختصون في هذه الفنون يميزون بين ملامح هذه الفنون واتجاهاتها، وهم يستعملون في تصنيفهم أسماء السلطات السياسية التي تعاقبت. وهكذا فإن كتب تاريخ الفنون الإسلامية تتحدث عن فن أموي وآخر عباسي. كما تتحدث عن فن الأندلس وفنون الفاطميين وفنون الفرس والمماليك والأتراك العثمانيين حسب تقسيم جغرافي مختلط بتقسيم تاريخ سياسي، سعياً وراء توضيح لاتجاهات متنوعة لا بد من إقرارها، ولكننا لا نستطيع أن نخرجها أبداً من إطارها الفلسفي الإسلامي الذي حدد أصولها الجمالية المستقلة عن أي أصل جمالي آخر. عندما كانت هذه الاتجاهات تنزلق إلى الاستمداد من أصول غريبة، كما تم في المراحل الأخيرة للفن الفارسي فإن هذه الأشكال الفنية تنفصل عن هويتها وترتبط بأصول غريبة.

الفن والعقيدة

الفنون الإسلامية هي إبداعات تشكيلية نراها موزعة على أشياء استعمالية أو زخرفية تجميلية، وهذه الأشياء قد تكون قراطيس في مخطوطات أو أوان من الخزف أو نسيجاً معداً للكسوة أو بسطاً وسجاجيد أو أدوات معدنية أو مكعبات زجاجية فسيفسائية وهكذا فإن مادة الفنون الإسلامية لم تكن اللوحة المجردة المعدة للتصوير، أو كانت البرونز والرخام المعد للنحت كما هو شأن الفنون الأوروبية التي ظهرت منذ عصر النهضة، لأن الفنون الإسلامية كانت فنوناً إبداعية تطبيقية تمارس على أشياء استعمالية، وهكذا فإن هذه الفنون مبنوثة في طبيعة الأشياء تضيف على وسائل الحياة الجمال الذي يصنعه بمهارة فنان لا يكشف عن تميزه، لأنه كان مجرد صنّاع ماهر كغيره من أبناء جيله الذين يشاركون في بناء حضارة نمت مع نمو الحياة والفكر، ترفضها عقيدة شاملة، هي أساسية لمبادئ هذه الحضارة فناً وأدباً وعلماً ومن هنا كان نعت هذه الفنون بالإسلامية، لأنها كانت تقوم على خلفية فكرية واضحة، مازالت صالحة لكل زمان ومكان لحيوتها وقابليتها للتطور.

الواقعية في الفن الاسلامي

التصوير والنحت الذي يقوم على محاكاة الواقع وتجسيد صورة الإنسان هو من الفنون التي رفضها الإسلام، ولم تكن شكلاً من أشكال الحضارة الفنية الإسلامية، وهي مع ذلك لم تكن غائبة تماماً عن أشكال الفن الإسلامي، ففي بداية الإسلام ظهر الفن التشبيهي بوضوح على جدران القصور وأراضيها، كما في قصري الحير في الشام وقصر هشام (المفجر) في أريحا وقصر عمره في بادية الأردن، وظهرت مخطوطات في شمالي الشام والعراق تحمل ترقينات لصور آدمية مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس وكتاب الأغاني ثم كتاب مقامات الحريري. ولم تكن هذه الصور مخالفة لمبادئ الإسلام في ذلك الوقت.

إن الاتجاه السائد لدى منظري الفن الإسلامي والفقهاء على السواء، هو أن الفنون الإسلامية تبعاً لمفهوم التوحيد، تقوم على مبادئ روحية فكان التصوير المجرد الذي يقوم على تصوير المطلق، أو التصوير الرمزي الذي يذكر بخدمة البيان العلمي أو التاريخي أو للتوثيق، على أن يكون هذا التصوير محرراً عن الواقع، ولا يهدف إلى تكريم صاحبه. فالمبدأ التوحيدي يحرم محاولة العبد مضاهاة الله في عملية الخلق التي يختص بها الله تعالى.

وهكذا فإن التصوير لم يكن محرماً، إلا إذا كان وسيلة لخلق الأصنام ونشر الوثنية وهي أمور كان يمكن أن يخشاها الإسلام في بداية ظهوره، ولكن وقد توطدت أركانه وتعمق الفقهاء في أحكامه، وتأسل الإيمان بالله الواحد الأحد، وكانت السلطة الزمانية دينية بوقت معاً، تحمي الإسلام كما تحمي أرض الإسلام فإن التصوير لم يظهر إلا أداة للزينة والمتعة والتوثيق والتوضيح، وهو بهذا المعنى وعن طريق القياس ليس محرماً، ولم يكن غيابه إلا نوعاً من التشدد الذي دعا إليه بعض الفقهاء. ثم لم يكن ظهوره المحدود لكونه (خطيئة دائمة) كما يقول بابا دوبولو.

ولسنا من الذين يعتقدون أن ازدهار الرقش العربي والخط الجميل يعود إلى غياب التصوير التشبيهي وأسبابه المزعومة، بل إن الفكر الإسلامي الذي قام على الإطلاق في تحديد ماهية المعبود، قد أفرز فناً مطلقاً يعبر عن المطلق الأزلي، وليس فناً مشخفاً يعبر عن المحدد العرضي.

الفن الإسلامي بين التشبيه والتجريد

تنقسم الفنون الإسلامية إلى قسمين أساسيين، فنون تشبيهية، وفنون مجردة، والفنون التشبيهية تقوم على تشكيلات إنسانية أو حيوانية أو نباتية لا تتطابق تماماً مع الواقع وإنما تمتاز ببعض التحريف، وهنا نتساءل علام كان هذا التحريف في تشكيل الواقع؟ إن الجواب على هذا السؤال إنما يتم على ضوء الفنون المعاصرة التي تقوم على تحريف الواقع بدءاً من الانطباعية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في فرنسا، ومروراً بالوحشية والسريالية،

حتى وصولها إلى أقصى التحريف في التجريدية. الجواب على سبب التحريف هنا سهل قدمه لنا فلاسفة الفن المعاصر من أمثال بريون (Brion) وسوفور (Seuphor).

ويعتمد تعليل هذا التحريف على رغبة الفنان في إقحام ذاتيته على الموضوع، وتغليب موقفه من الواقع على الواقع المألوف لخلق شيء جديد لا وجود له في الطبيعة. والفن الإسلامي كان سباقاً في مجال تقديم واقع فني مختلف عن الواقع الطبيعي. إن مهمة الفنان المسلم هي تقديم رموز الأشكال الواقعية وليس محاكاتها، وهو يختار من الواقع ما يراه أكثر جدوى في بناء العمل الفني. ومع أن الهدف من التصوير التشبيهي هو التعبير عن مضمون معين، فإن الفنان كان يشير إلى عناصر الموضوع بلامح تحمل صفة الإطلاق، وتترك للمشاهد حرية التحديد على اختلاف الأذواق والإرادة.

ومع ذلك فإن تفسير هذا التحريف قبل ظهور الاتجاهات الفنية الحديثة وتعليقاتها، كان يقوم على موقف الإسلام من التصوير. ولقد شدد المستشرقون على مسألة تحريم التصوير خشية مضاهاة الله في قدرته على الخلق، أو خشية الانزلاق إلى إقامة الأنصاب والأزلام والأصنام وعبادة الصور. وأطلقوا على هذا التحريف صفة «الاستحالة»، وأيدوا نظرياتهم بمحاولة الفنان إعدام صفة الحياة في صور الأشخاص عن طريق رسم خط يقطع الرأس عن الجسد كما في مخطوط الحريري الموجود في لينينغراد (١٢٣٥ م) وغيره.

والجدير بالذكر أن نمط التحريف في التصوير التشبيهي الإسلامي، يكاد يكون واحداً في جميع الصور التشبيهية على اختلاف العصور، فالتشابه واضح بين الرسوم الجدارية في قصر الحير الغربي وقصر المفجر وقصير عمره، وبين المخطوطات التي نراها في مخطوط الحريري للمصور الواسطي أو مخطوط كتاب الأغاني، ولكننا نرى جمالية بيزنطية في رسوم المباني بينما نرى تأثيرات فارسية أو صينية في رسوم المخطوطات.

وشأن النحت لا يختلف عن شأن التصوير، فالمنحوتات التي لا تزال باقية من

آثار القصور الأموية في متحف القدس (آثار قصر المفجر) أو في متحف دمشق (آثار قصر الحير الغربي) توضح حدود التحريف عن الواقع، والتي تحاكي التحريف في التصوير، بل إن المنحوتات كانت ملونة كأنها مجسمة، كذلك كانت الصور غير المجسمة في الكعبة المشرفة على شكل أصنام نصف اسطوانية. ولقد تراجع الفن التشبيهي تصويراً كان أم نحتاً في الغرب الإسلامي، وتحول في المشرق، أي في بلاد فارس، إلى فن المنمنمات وهو فن تصويري تشبيهي يعتمد على خلفية جمالية متميزة تقوم على الرمز والتحريف، ولكن بدقة ومهارة دون الاهتمام بقواعد المنظور العلمية التي كانت الفن الأوربي يفخر بتطبيقها منذ عصر النهضة، وإنما هو منظور روحي إسلامي توضحت معالمه وأسس.

التصوير الإيضاحي بين المرقنات والمنمنمات

يعد التصوير الإيضاحي في المخطوطات، لوحات فنية ذات وظيفة دلالية محددة تدعم النص المخطوط، توضيحاً وتزييناً. ولقد بدا هذا التصوير في أسلوبين متميزين، الأسلوب الأول تعبيري واختزالي يحمل انطباع الرسام أو النقاش، ضمن حدود النص المخطوط. ولقد اتبع هذا الأسلوب المصورون في البلاد العربية، وكان من أبرزهم يحيى بن محمود الواسطي (١٠٥٤-١١٢٢) ويطلق على هذا الأسلوب اسم «المرقنات».

والأسلوب الثاني تقريرى وتفصيلي ينقل أفكار المصور بصياغة حُرْفية قوية، وضمن قواعد متبعة، ولقد انتشر هذا الأسلوب في الهند وإيران، وبرع فيه عدد من المصورين كان من أشهرهم كمال الدين بهزاد (متصف القرب الخامس عشر). ومع أن الغرض من هذين الأسلوبين إيضاح النص المخطوط، إلا أنهما يفترقان تقنياً وجمالياً ومن الخطأ توحيدهما في مفهوم فني واحد، أو في تسمية واحدة كما هو شائع.

فالأسلوب الأول واقعي معروف في التصوير الفوطي الإيضاحي، ويحمل اسم Enluminure أي الترقين. والأسلوب الثاني، صوفي النزعة، رومانسي التشكيل منمنم التصوير، ويسمى Miniature أي المنمنمات.

وأكثر شواهد هذا التصوير نراها ماثلة على الأواني الخزفية والخشبية والعاجية، وعلى بعض المخطوطات المتبقية والنادرة. ولقد زينت هذه المخطوطات بالصور الإيضاحية، وكانت صور بعض نسخها بأسلوب مبسط وبعضها بأسلوب تعبيرى دينامي. وبصورة عامة فإن التصوير كان محوراً «عن الواقع وكان إجمالياً».

وعدد المخطوطات المزوّقة بالتصاویر لمقامات الحريري بعشر مخطوطات موزّعة في سان بترسبورغ (لينينغراد) واستانبول وفيينا وباريس والمتحف البريطاني، وفي أكسفورد، والصور لمصورين مختلفين أبرزهم الواسطي في مخطوط شيفر - باريس التي حظيت بشهرة متميزة.

وفي مقامات الحريري الموجودة في المكتبة البريطانية وتعود إلى عام ١٣٠٠ تقريباً، نرى صوراً تحافظ على تقاليد الفن الذي نشأ في العراق وسورية، وهي سمة التصوير المملوكي، أما لوحات مقامات الحريري في فيينا فإنها تعود ولا شك إلى عام ١٣٣٤، وهي أهم مخطوط خلفه العصر المملوكي في سورية بلا نزاع،

الرقش العربي والزخرفة

يبقى الفن التصويري المجرد الغالب في التراث التصويري الإسلامي، ويرجع ذلك إلى ارتباط الفن التصويري بالمعاني المطلقة التي ابتدأت تحديداً بمفهوم الله. وهذه العلاقة بين المؤمن وخالقه تبدو جلية في الرقش (Arabesque)، هذا التصوير الذي يحاول عن طريق الخط الهندسي أو الخط اللين النباتي، التعبير عن معنى الخالق، على أشكال نجمية جاذبة نابذة، أو على شكل أشربة نباتية لا بداية لها ولا نهاية. وهي في كلا النوعين من الرقش الهندسي والنباتي المورق، أشكال تتسجم مع صفات الله التي وردت في كتابه الحكيم.

تراث العصور الإسلامية

تمتد العصور الإسلامية في سورية عبر خمسة عشر قرناً، أي منذ الفتح الذي تم على يد خالد بن الوليد في العام ٦٣٦ م، حيث أصبحت دمشق عاصمة لدولة

عربية إسلامية واسعة الأرجاء بعد الفتوح التي امتدت الى المشرق والمغرب حتى الأندلس. (٤٢)



٧٣- الجامع الأموي الكبير

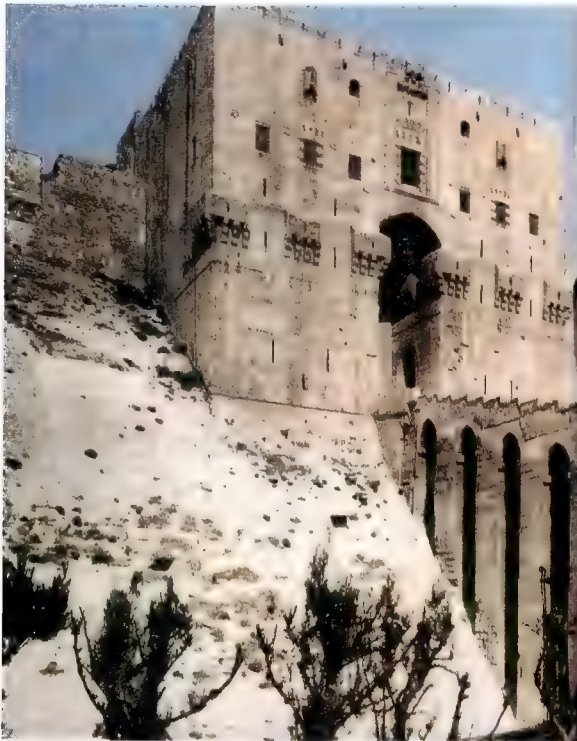
كان الجامع الأموي في دمشق (شكل ٧٣) أقدم الأوابد المعمارية وأكملها، أنشأ هذا المسجد الخليفة الوليد بن عبد الملك وأنجز في العام ٧١٥ م، في مكان معبد جوبيتر الروماني، وكان أنقاضاً إلا من هيكله الذي استعمل كنيسة القديس يوحنا. واستعمل المعماريون الأنقاض لبناء حرم المسجد بعرض ١٣٦ م وعمق ٣٧ م، وفيه أربعة محاريب وضريح. ولقد زينت جدران جناحه الأوسط بالفسيفساء وغطى الحرم بجمالونات مسنمة تعلوها في الوسط قبة النسر، ويتألف من ثلاثة أجنحة وجناح مقرصن وينفتح الحرم على صحن واسع مساحته ١٢٢,٥ × ٤٨ م، محاط بأروقة محمولة على عضادات، ومغطاة جدرانها وسقوفها بالفسيفساء في الأعلى بالرخام من الأسفل وغطيت واجهة الجناح المقرصن بالفسيفساء أيضاً. وللمسجد ثلاثة أبواب في الصحن وباب واحد في الحرم.

وتعلو المسجد من أطرافه ثلاثة مآذن أقدمها مئذنة العروس في شمالي الصحن وأجملها مئذنة قايتهبي المملوكية في الجهة الغربية. وتفتتح في أطراف المسجد

الأربعة مشاهد هي قاعات ضخمة أشهرها المشهد الغربي الشمالي والمخصص للاستقبالات الرسمية.

ويبقى فسيفساء الجامع الأموي من أهم الشواهد الإبداعية الفني ، وهو يمثل مشاهد طبيعية. تعبر عن ازدهار الحياة في العصر الأموي^(٤٣). كما أنشئ الجامع الكبير في حلب في عهد سليمان بن عبد الملك.

وفي عهد هشام بن عبد الملك أنشئت القصور الضخمة في فلسطين مثل



٧٤- قلعة حلب

قصر المفجر ، وقصر عنجر في لبنان وفي سورية مثل قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي وقد نقلت واجهته الى المتحف الوطني بدمشق.^(٤٤)

وفي العهد العباسي أنشئت مدينة الرقة (الرافقة)^(٤٥)، وقد أعيد بناء أسوارها وتم ترميم قصر البنات وحصن هرقله والجامع مع أهم آثارها المعمارية.

(شكل ٧٤)

وفي عهد نور الدين

بن زنكي استعادت سورية مكائنتها ونهضتها العمرانية ، مما نراه في عمارة البيمارستان النوري بدمشق ، والأسوار.

ومن أهم المباني المعمارية في سورية القلاع التي أنشئت في العصر الأيوبي ، قلعة دمشق التي أنشئت في عهد الملك العادل شقيق السلطان صلاح الدين.



٧٥- مصباح - العصر المملوكي

وقلعة حلب التي أنشئت في عهد الملك غازي ابن الناصر صلاح الدين الأيوبي. (شكل ٧٥)

ولا بد أن نشير إلى القلاع التي أنشئت في عهد الصليبيين بجهود العمال المحليين. أهمها قلعة الحصن الأشهر في العالم ، وقلعة المرقب قرب بانياس ، وقلعة صلاح الدين في منطقة الحفة.

ومن أهم المدارس مدرسة الفردوس في حلب التي أنشأتها ضيفة خاتون بنت الملك العادل.

وفي العصر المملوكي الذي امتد ثلاثة قرون يتزايد عدد المدارس والمساجد ، رغم الاهتمام بمقارعة الصليبيين والمغول. كما تميزت دمشق بصناعة

الأواني الزجاجية وبخاصة مصابيح المساجد. ونشطت حياكة السجاد في دمشق (شكل ٧٥)

وفتخر متحف الفن والصناعة في فيينا بامتلاكه مجموعة من السجاد الدمشقي الذي يتميز عن السجاد الفارسي والسجاد التركي بخصائص في طريقة الحياكة وفي ألوان الصوف، وفي رسومه الهندسية المترابطة كبلطات منسقة تحتوي عروفاً وشجيرات وعناقيد ذات الألوان الحمراء والزرقة والخضراء والصفراء، ولكل لون درجات وأطياف مما يجعل هذه الرسوم ذات أبعاد وأعماق.



٧٦- التكية السليمانية

هي من أولى المنشآت العثمانية في دمشق ومن تصميم المعمار سنان، وتتألف من مسجد محاط بمقاصير تحتضن طلبة العلم للإقامة والطعام والدراسة، وفي حديقة التكية قبور هامة منها قبر السلطان وحيد الدين آخر السلاطين العثمانيين. ومن أهم المباني في العصر العثماني مجمع الخسروية في حلب وهو أول أعمال المعمار الشهير سنان، والتكية

السليمانية في دمشق وهي

من أعمال سنان نفسه. (شكل ٧٦) ومن العهد العثماني لا بد من ذكر ساعة باب الفرج التي اكتمل بناؤها في العام ١٨٩٩. وتتميز مدينة حلب بالبيوت الحلبية من العهد العثماني كدار أجقباش التي استولت وأصبحت مقراً لمتحف التقاليد الشعبية، وبيت الوكيل وقد نقلت إحدى غرفه الخشبية الى متحف الدولة في برلين. كما تتميز مدينة دمشق ببيوتها الشامية، أهمها قصر العظم الذي يشغل متحف التقاليد الشعبية وبيت السباعي وبيت نظام.

الآثار الإسلامية في متاحف العالم

ما زالت الآثار المعمارية الإسلامية من مساجد وخانات ومدارس وحمامات ومشافي ماثلة في المدن السورية، ولقد تمت حمايتها وترميمها. على أن بعض

الآثار السورية المنقولة غادرت الوطن لأسباب غير مشروعة ، نراها معروضة في متاحف العالم بوصفها من التراث النادر والتمين وبخاصة الآثار الإسلامية. منها متحف الميتروبوليتان في نيويورك واللوفر في باريس ومتحف دالهم في برلين الغربية ، وهي تحف معدنية أو خشبية أو زجاجية أو زخرفية عدا قطع السجاد الرائعة.. والتي تعود إلى عهود مختلفة أموية وعباسية وفاطمية ومملوكية. ونذكر من السجاد العربي المملوكي النادر الذي صنع في القاهرة أو دمشق والمحفوظ في متحف فينا. كما نذكر المصاييح الزجاجية من صناعة دمشق في العصر المملوكي في الميتروبوليتان والمعدنيات والخزفيات النادرة الموزعة في جميع المتاحف.

ويعد متحف الميتروبوليتان في نيويورك واحد من أهم المتاحف الإسلامية التي تضم قطعاً عربية ثمينة من أبرزها وأضخمها الغرفة الدمشقية التي نقلت من دمشق في عام ١٩٢٠ و ترجع إلى القرن الثامن عشر

وتعد مجموعة الميتروبوليتان الزجاجية من أرقى ما يُفخر به.. وتعود بعض الزجاجيات إلى القرن التاسع وهي من مصر.. ويعود غيرها إلى سورية أو مصر أو العراق.. نذكر بصورة خاصة المصاييح الزجاجية والقوارير التي صنعت في مصر أو سورية في العصر المملوكي والمحلة بالكتابة القرآنية والزخارف الملونة مع الرنوك المملوكية.

ومن أضخم ما نقل من آثار ثابتة هو واجهة قصر المشتى التي نقلت من الشام في نهاية القرن الماضي إلى برلين الشرقية (متحف الدولة) وأعيد تركيبها هناك إلى جانب غرفة حلب التي تمثل أجمل زخرفة شامية داخلية من الخشب المزخرف وتعود إلى عام ١٦٠٠ ق.م.

وفي متحف الايرميتاج في سان بيترسبورغ ، اللوحات التجارية التدمرية وبعض القطع الإسلامية الجميلة نذكر منها: المصباح الزجاجي (منتصف القرن الرابع عشر) يعود إلى العصر المملوكي وصنع في دمشق أو مصر..

وابريق يعود إلى العصر الفاطمي (القرن الحادي عشر) وهو من الكريستال الصخري ذو زخرفة تمثل حيوانين متقابلين بطريقة الحفر على الزجاج. ولعل رائعة المتحف الإسلامي في الايرميتاج هي الكوب الزجاجي المحمول على هيكل ذهبي من صنع سورية القرن الرابع عشر وعليه رسوم آدمية وكتابات بالخط النسخي.

وفي متحف فريز في واشنطن آثار إسلامية هامة نذكر منها: المجموعة المعدنية الفنية المزخرفة التي تعود إلى مصر وسورية- إضافة لمجموعة الحلبي التي تعود إلى العصر الأموي والفاطمي.

وفي متحف فيكتوريا وألبرت في لندن متحف خاص للفن العربي الإسلامي يحتل صالة مركزية تضم السجاد والخطوط والخزفيات والزجاجيات والمنمنمات. وثمة كأس زجاجية انتقلت من سورية أثناء الحروب الصليبية وهي رائعة الصناعة الزجاجية السورية ، مزخرفة بنقوش محفورة مموهة بالذهب ومطلية بألوان زرقاء وخضراء ووردية وبيضاء. وهذه الكأس هي من أهم ما يقتنيه المتحف من آثار وكان لها سمعة وشهرة واسعة فلقد كانت عام ١٨٢٤ موضوع قصيدة شعرية للشاعر لونغفيلو.

ولقد انتهت دول العالم المنهوب تراثها فقامت بالمطالبة به عن طريق منظمة اليونسكو.. وعلى رأس هذه الدول كانت الدول العربية قامت كغيرها بالمطالبة باسترداد آثارها من متاحف العالم ، مما دفع مدير عام منظمة اليونسكو أن يوجه نداء طلب فيه من الدول المضيفة للآثار المنهوبة أن تتفق مع الدول صاحبة الحق بهذه الآثار على إعادتها بصورة ودية ، تعبر عن إدراك لأهمية استرداد تراث الأجداد وتفهم بضرورة دعم الذاتية الثقافية لكل أمة من الأمم.

وقد وقعت أكثر الدول الأعضاء في منظمة اليونسكو على الاتفاقية الدولية لعام ١٩٧٠ والخاصة بالتدابير الواجب اتخاذها لخطر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية المنقولة بطرق غير مشروعة.

ملامح التراث الإسلامي في الآثار الكنسية الأوروبية

انطلق صانعو الحضارة المسيحية من الساحل السوري الى العالم وكانت كنائسهم صورة عن كنائس السوريين وأديرتهم، إن الكنيسة السورية في أزرع هي أقدم الكنائس في العالم، ولقد استطاع المسيحيون أن ينقلوا ملامح العمارة السورية إلى عمارتهم الرومية، وليس أدل على ذلك من تلك الأبراج التي تصدرت واجهات الكنائس الرومية مما نراه في كنائس بواتو وبورغون وبيريفور في فرنسا، وكنيسة سان أمبرواز في ميلانو. إن هذه الكنائس التي ظهرت في القرن الثاني عشر كانت تحمل جميع علامات وميزات العمارة السورية، وبخاصة تلك الأبراج الأحادية والمزدوجة والتي تتطابق بشكل كامل مع المئذنة السورية التي انتشرت في جنوبي البحر الأبيض المتوسط بعد الاسلام في القيروان والزيتونة (تونس) والقرويين (فاس) وفي الرباط ومراكش وأشبيلية.

بل إن أعمدة رواق دير مواساك في جنوبي فرنسا، وهي أعمدة مزدوجة مأخوذة مباشرة عن غرناطة، تحمل تيجانها كتابة كوفية وهي تكرار للفظ الجلالة (الله). شريط يعلو رقشاً عربياً نباتياً لا يشك فيه إنسان. وتتجلى المئذنة السورية في الكاتدرائية الفوطية الضخمة التي تطورت عن الكنائس والبازيليكات الروحية، لقد انتشرت المئذنة السورية في غربي أوربا التي كانت منذ عهد شرلمان قد استيقظت على أصداء النهضة السورية الشامخة، وكان أساتذة الجامعات من أمثال توما الأكويني وروجيه ياكوب يقدمان الفلاسفة العرب على أنهم المعلمين الذين نقلوا تراث الإغريق إلى الغرب وأضافوا إليه من فلسفاتهم ما يكمل الثروة الفكرية الفلسفية والروحية، وليس ما قدمه الموسيقيون الأوائل بقليل، فإن الموشحات التي انتقلت من شمالي سورية كانت تسمع على شطآن الأندلس ألحان المينيسنفر.

المصادر

- ١- كتابنا سورية التاريخ والحضارة -وزارة السياحة دمشق ٢٠٠٩
- ٢- عن تاريخ الأبجدية انظر كتاب (الأبجدية) إعداد د. أحمد هيتو (حلب ١٩٨٥) وانظر كتاب (J.Naveh: Early History of the Alphabet (Leiden
- ٣- كتابنا تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار - الهيئة العامة للكتاب - دمشق ٢٠٠٩ -
- ٤ P.Parr في Afo ٢٦ (١٩٧٨ -
٩. (
- R.du Mesnil du Buisson : Le Site archeologique de Mishrife – Qatana (Paris ١٩٣٥) - عن المشرفة : انظر
- ٦- عن بقرص انظر أبحاث فان ليره J. Van Lire وفان لون M. Van Loon في الحوليات المجلدين ١٦-٢
- ٧- في موقع اللطامنة على نهر العاصي، توالى الحفريات الأثرية ، أبرزها حفريات فان ليره (W.J. Van lire) انظر الحوليات الأثرية السورية المجلدات ١٠-١١-١٢-١٤-١٦-١٥.
- ٨- في يبرود قام بالتنقيب روست B.Rust انظر الحوليات المجلدات ١٦-١٧-١٨.
- ٩- عن موقع أبي هريرة ، انظر أبحاث الماغر و M.M Almagro في الحوليات ، المجلد ٢٥ (١٩٧٥) .
- ١٠- عن تل المربيط انظر تقارير كوفان J.Cauvin في الحوليات المجلدات ٢٢-٢٤-٢٦.
- ١١- عن حفريات تل الرماد ، انظر تقارير دوكونثانسون H.de Contanson وفان ليره W.J. Van Lire في الحوليات ، المجلدات ١٣-١٤-١٦-١٧.
- ١١- انظر : J.Gauvin: Les premieres villages de syrie – Palestine du IX eme au VIII eme millinaire av. J.C (١٩٧٨).

١٢- عن تل الصالحية ، انظر (دليل معرض المكتشفات الأثرية لعام ١٩٥٢) م. الآثار وبخاصة بحث دير اوستن H.H. Van Der Osten.

١٣- عن مواقع منطقة الفرات انظر J.Cauvin : Cahier de l'Euphrate ١ (Paris) C.N.R.S (١٩٧٨)

١٤- انظر كتاب (حبوبة كبيرة) لشترومنغر. ترجمة ماجد الموصلي (دمشق ١٩٨٤)

١٥- عن حفريات تل براك انظر أبحاث اوتز D. Oates في مجلة Iraq المجلد ٣٩ لعام ١٩٧٧

١٦- انظر كتاب (تاريخ سورية السياسي) تأليف هورست كلنغل H.KLengel ترجمة سيف الدين دياب (دمشق ١٩٩٨)

١٧- نائل حنون : حقيقة السومريين - دار الزمان - دمشق ٢٠٠٨

١٨- كمال صليبي : التوراة جاءت من عسير - ط٢- مؤسسة الأبحاث العربية - ١٩٨٦

١٩- كيث وايتلام : اختلاق اسرائيل القديمة - إسكات التاريخ الفلسطيني - عالم المعرفة ٢٤٩ - الكويت ١٩٩٩ وهوترجمة لكتاب

K.Whitelam : The Invention of Ancient Israel - The silencing of Palestinian History -

٢٠- خيرية قاسمية : نشاطات صندوق استكشاف فلسطين - ١٨٦٥-١٩٦٥ - شؤون فلسطينية- ١٠٤ - بيروت ١٩٨٠

٢١- دورية فرنسية مشهورة هي (الملفات الأثرية) Les dossiers d'archeologie. Paris- No ١٦٥ -

٢٢- كتابنا تاريخ فلسطين القديم - الهيئة العامة للكتاب - دمشق - ٢٠٠٩

٢٣- عفيف البهنسي : وثائق ايلا - وزارة الثقافة - ١٩٧٧ - ص ١٤١

٢٤- انظر A. Parrot: Mari. Capitale fabuleuse (Paris ١٩٧٤) وانظر كتابه (ماري) ترجمة د. رباح نفاخ (دمشق ١٩٨٢).

٢٥- عن ايلا انظر P.Mathiae : Ebla An Empire rediscovered (Rome ١٩٨١) وانظر كتابه الموسع الذي صدر بمناسبة معرض ايلا في روما (Ebla (Electal

(١٩٩٥) وانظر A.Bahnassi : Ebla Archaives Tlass - Damascus

٦٢- انظر أبحاث ماثية P.Mathiae في الحوليات ، المجلدات ١٥-١٦-١٧-١٨-٢٠ وانظر كتابنا (وثائق ايلا) (دمشق ١٩٧٧)

27- R. du Mesnil du Buisson : Le Site archeologique de Mishrife – Qa-
tana (Paris. 1935).

وانظر: كنوز سورية القديمة - اكتشاف مملكة قطنه - متحف الولاية - فورتبورغ -
شتوتغارت ٢٠٠٩ -

٨٢- انظر

١٩١٩-- ١٩٧٠ M. Ben Dove.: The Omayyad Sanctuary near Temple mount.
Jerusalem

٩٢- قام بالتنقيب في أوغاريت منذ عام ١٩٢٩ العالم الفرنسي شيفر Cl. Shaeffer ثم
جاءت بعده السيدة يون YON نشرت في الحوليات وفي مجلة Syria.

١٠٢- عن عمريت انظر : M. Dunand/ N. Salibi: Le Temple d'Amrith dans la

peree d'Aradus (B.A.H ١٢١) ١٩٨٥ وانظر في الحوليات المجلدات ٢-٦-١١
وانظر كتاب (عمريت) إعداد نسيب صليبي (دمشق ١٩٨٤)

. P. Amiet: La Mesopotamie-Paris-1982-31-

١٣- كتابنا وثائق ايبلا-وزارة الثقافة دمشق- ١٩٧٧ ص ١٤١

٢٢- أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ - العربي للتأليف والنشر - دمشق ١٩٧٥

٢٣- شمس آرام ، شمس العرب د. عبد الهادي نصري (حلب ١٩٨٦)

٤٣- توالى الحفريات في عين داره برأسه (الصيرفي - ابو عساف - خياطة) انظر نتائج
الحفريات في الحوليات المجلدات ١٠-١٥-٢٣.

٥٣-- محمد بهجت قبيسي : حضارة واحدة أو حضارات - دار طلاس ودار شمال -
دمشق ٢٠٠٨

٦٣- انظر تفصيل دور الأسرة السورية في روما في كتاب (أمبراطوريات سوريا) تأليف
بايلون ترجمة

يوسف شبلي الشام (دمشق ١٩٨٧) -

٦٣- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية - القاهرة - ١٩٢٩.

٧٣- عن صالحية الفرات (دورا اوروبوس) انظر :

C. Hopkins: The Discovery of Dura Europos (new Haven – Yale ١٩٧٩)

٨٢- عن حفريات تدمر انظر : J. Starky وانظر كتاب (تدمر والتدمريون) إعداد د.
عدنان البني (دمشق ١٩٧٨)

٩٢- انظر

Ch. Strube : A Cultural Landscape in the Byzantine period. (in Ebla to Damascus) Washington ١٩٨٥ PP٤٥١-٤٤٣

١٠٤- عن الرصافة انظر

Th. Ulbert: Rusafa – Sergiopolis, Pilgrin – Shrin and Capital (Ebla to Damascus) Washington ١٩٨٥ (p.p. ٤٥٢-٤٥٠

١٤- عن المدن المنسية انظر كتاب شالانكو بأجزائه الثلاثة :

Tchalenko : Villages de la Syrie du Nord (Damas IFEAD 1953

١٤- عن قصر ابن وردان انظر كتاب كامل شحادة (دمشق ١٩٨٤)

٢٤- انظر كتاب (الآثار الاسلامية في مدينة دمشق) إعداد ولتستغر K.Wulzinger مع

فاتزنغر C.Watzinger ترجمة قاسم طوير (دمشق ١٩٨٧)

٣٤- انظر كتابنا (الجامع الأموي الكبير) (طلاس - دمشق ١٩٨٨) مترجم إلى الفرنسية والانكليزية.

٤٤- عن القصور الأموية انظر كتابنا (القصور الأموية) دمشق ١٩٨٧

٥٤- انظر كتاب (الرقة - درة الفرات) (الرقة ١٩٩٢) لنخبة من الباحثين

المراجع

- شترومنغر :حبوبة كبيرة -ت. ماجد الموصلي-دمشق ١٨٩١
- ه. كلنفل : تاريخ سورية السياسي-ت. سيف الدين دياب-دمشق ٨٩٩١
- عبد الهادي نصري :شمس آرام شمس العرب -حلب ٦٨٩١
- م.بابلليون : أمبراطوريات سوريا -ت. يوسف شبلي الشام -دمشق ٧٨٩١
- شوقي شعث :قلعة سمعان -دمشق ٤٨٩١
- نسيب صليبي : عمريت - دمشق ٤٨٩١
- عادل عبد السلام : جغرافية سورية العامة -دمشق ٩٩٩١
- العماد مصطفى طلاس: زنوبيا ملكة تدمر -دمشق ٩٨٩١ ط٢
- أ.بارو : ماري -ت. رباح نفاخ-دمشق ١٨٩١
- عفيف البهنسي : سورية التاريخ والحضارة -دمشق ٠٠٠٢
- «الفن الاسلامي- دار طلاس -دمشق ٠٩٩١
- هورست كلنفل legneLK.H (تاريخ سورية السياسي) ترجمة سيف الدين دياب (دمشق ١٨٩٩)
- نائل حنون : حقيقة السومريين - دار الزمان - دمشق ٨٠٠٢
- كمال صليبي : التوراة جاءت من عسير - ط٢- مؤسسة الأبحاث العربية - ٦٨٩١
- N. Elisseff, Dimashk. Encyclopedia of Islam. N.Y. 1976.
- J.Cauvan :Les Premieres villages de Syrie- Palestine. du IXeme au VIIIeme millinaireav J.C
- j.Cauvan :Cahier de l'Euphrate 1-Paris1978
- هورست كلنفل legneLK.H (تاريخ سورية السياسي) ترجمة سيف الدين دياب (دمشق ١٨٩٩)
- A.Amiet: la Mesopotamie-Paris 1982
- C.Hopkins: The Discovery of Dura Europus- Yale1979

- A.Parrot: Marie» Une Ville fabuleuse –Paris 1974
- A.Bahnassi : La Syrie ensienne et son art-VEB E A.Seemann Verlag
- Leipzing1987
- Ch. Strube : A Cultural Landscape in the Byzentine period. (in Ebla to
Damascus) Washington 1985 PP443451-
- Th. Ulbert: Rusafa – Sergiopolis, Pilgran – Shrin and Capital (Ebla to
Damascus) Washington 1985 (p.p. 450452-
- Tchalenko : Villages de la Syrie du Nord (Damas IFEAD 1953

المحتوى

الصفحة

٥	المقدمة - الاستراتيجية الجغرافية
٨	وحدة الهوية
٩	اللفة بوصفها عامل الوحدة
٩	إسم سورية وحدودها
١٢	سكان سورية
١٣	الواقع الجغرافي
١٥	الفصل الاول - التراث السوري وعلم الآثار
١٧	مراحل الأبحاث الأثرية في سورية
١٨	تقنيات البحث الأثري
١٩	الاكتشافات الأولى
٢٠	آثار الجزيرة الفراتية
٢٠	اكتشافات المنطقة الوسطى
٢١	المرحلة الأخيرة من الأعمال قبل التاريخ
٢٣	المتاحف حاضنة الآثار المكتشفة
٢٥	الفصل الثاني- تراث سورية خلال المصور الحجري
٢٧	المصور الحجري
٢٨	المخلفات السكنية قبل التاريخ
٣١	ظهور القرى وبداية الزراعة
٣٢	وسائل الحياة والحماية
٣٥	التقدم المدني
٣٧	الفصل الثالث- المكتشفات الأثرية في عهد الاسرات
٣٩	تل براك
٤٠	تل حبوبة كبيرة
٤١	بلاد عمورو
٤٤	مملكة صارغون
٤٦	محاولة توحيد المنطقة

٤٦ السومريون
٤٨ القبائل العربية
٥١	الفصل الرابع - البحث عن العهد القديم في سورية
٥٣ التوراة والتاريخ
٥٤ الجغرافية التوراتية
٥٥ نقد التاريخ التوراتي
٥٧	الفصل الخامس- تراث الحواضر الأولى
٥٩ ماري (تل الحريري)
٦٤ إيبلا (تل مردوخ)
٦٨ أقدم معاهدة دولية وإشهار السلام
٧١ توتول («تل البيعة»)
٧٤ الحثيون في سورية
٧٦ سيطرة الآشوريين
٧٨٦ منطقة أبوم ومدينة دمشق
٧٧ تراث القدس
٨١	الفصل السادس - جمالية التراث السوري القديم
٨٣ جمالية النحت
٨٥ جمالية الرسم والزخرفة
٨٦ جمالية الحلي
٨٧ جمالية النسيج والزجاج والفخار والمعدن
٨٩	الفصل السابع- تراث الساحل السوري
٩١ حضارة أوغاريت
٩٢ الآثار الفنية الأوغاريتية
٩٥ الفينيقيون السوريون
٩٦ قصة إيسار شقيقة بيغماليون
٩٦ امتداد الفينيقيين عبر جنوب البحر المتوسط
٩٩	الفصل الثامن- علم الآثار ونقد تاريخ العهد القديم
١٠١ وثائق إيبلا والتوراة
١٠٣ علم الآثار والتاريخ
١٠٤ القصص الديني التوراتي
١٠٥ البحث عن أصل اليهود
١٠٧	الفصل التاسع - الأساطير والآلهة القديمة
١٠٩ أسطورة الوجود

١١٠	أسطورة الطوفان
١١٠	أسطورة جلجامش
١١٣	تعدد الآلهة
١١٥	الهكسوس (الملوك الرعاة)
١١٦	بداية التوحيد الإلهي
١١٧	العقيدة الواحدية الأقدم
١١٨	العقيدة التوراتية غير التوحيدية
١١٩	الفصل العاشر- تراث الممالك الآرامية وآسورعربايا
١٢١	بلاد آرام
١٢٢	عين دارم
١٢٣	أشهر الممالك الآرامية
١٢٤	مملكة دمشق
١٢٥	الآراميون- الأخلامو
١٢٦	الأحداث العسكرية
١٢٧	آسورا عربايا «سوريا العربية»
١٢٩	حدود الشام
١٣١	الفصل الحادي عشر - التراث السوري وأثره في الغرب
١٣٣	أثر الأبجدية السورية
١٣٦	الأميرة السورية أوربا بنت أجيونور
١٣٩	أثر العقيدة السورية
١٣٩	السوريون في عصر الاغريق
١٤١	الفصل الثاني عشر- سورية والاسكندر المكدوني
١٤٣	الإسكندر في موقعه أيسوس
١٤٥	الاسكندر في سورية
١٤٦	سورية في العهد السلوقي
١٤٩	الفصل الثالث عشر- تراث سورية في العصر الروماني والحقبة السورية
١٥١	السوريون في روما
١٥٣	روما والأسرة السورية
١٥٥	الامبراطور السوري كاركالا
١٥٩	الامبراطور افتينوس (ايلا غابال)
١٦٢	الامبراطور فيليب العربي
١٦٤	ابوللدور الدمشقي

١٦٩	الفصل الرابع عشر- الانباط و تدمير حاضرة الشرق في العصر الروماني
١٧١ الانباط
١٧١ تدمير حاضرة الشرق
١٧٥ الفساسة والمناذرة
١٧٧	الفصل الخامس عشر- سورية وبيزنطة
١٧٩ انتشار المسيحية من دمشق
١٨٠ المسيحية ديانة الدولة البيزنطية
١٨٢ انطاكية حاضرة المسيحية
١٨٣ الآثار المسيحية في سورية
١٨٩	الفصل السادس عشر - التراث الإسلامي
١٩١ سورية ومعركة اليرموك
١٩١ علاقة سورية مع القسطنطينية
١٩٢ أصالة الفنون الإسلامية
١٩٣ مرحلة الاستقلال وبناء الشخصية الفنية
١٩٤ الوحدة والتنوع
١٩٤ أحقاب الفنون العربية الإسلامية:
١٩٥ الفن والعقيدة
١٩٥ الواقعية في الفن الإسلامي
١٩٦ الفن الإسلامي بين التشبيه والتجريد
١٩٨ التصوير الايضاحي بين المرقنات والمنمنمات
١٩٩ الرقش العربي و الزخرفة
١٩٩ تراث العصور الإسلامية
٢٠٣ الآثار الإسلامية في متاحف العالم
٢٠٦ ملامح التراث الإسلامي في الآثار الكنسية الأوروبية

The Age of Hisham ibn Abd-al-Malik (724-743) witnessed a great development in the realm of architecture. He built many palaces in Syria like Nasr al-Resapha, Qasr ai-Heir al-Sharqi, Qasr al Heir al-Gharbi, Quasr al-Mafjar and other palaces in Palestine and Jordan. The citadel of Aleppo, which was reconstructed in the Ayyubid Period, remains an exquisite specimen of the Moslem citadels. The citadel was set up on a rocky height. The site was originally a temple of Hadad, then a temple of the Hittite god Teshub and ultimately a temple of Zeus. In the Greek Period, the site became the acropolis of the city. When the Arab Moslems occupied the citadel, they made it a fortress to protect their authority. In the Ayyubid Period, King al-Zahir Ghazi ibn Salah ud-Din, made many additions to the citadel. Moat was dug round the citadel and a great mosque and many palaces were built inside it. He lived in the citadel with his wife Daifa Khatoon who was buried there.

The citadel is elliptical in form and is surrounded by a wall with either square or circular towers. The first tower is set over the main entrance and the throne hall, which has recently been decorated. In the citadel there is the mosque of Abraham of Hebron. The mosque, as the story goes, is built on a site where Abraham used to stay when he came from Harran to Aleppo. The citadel also comprises other mosques, public baths, bazaars, cisterns and prisons.

The citadel of Damascus is of no less importance. It is marked by its position at ground level. It lies in the western north angle of the old Damascus wall. The citadel was originally a fortress in the days of the Saljuqs and Atabegs. It was King al-Adil, brother of Salah ud-Din, who ordered the construction of the citadel in its present form at beginning of the 7th century A. D.

The citadel is based on a rectangle 220 x 160 m. To the west lies the palace and the royal quarter. The citadel has a carrier – pigeon house, a mint, an arsenal, a prison, a public bath and a number of mosques. It was the seat of the state and headquarters of the army. It was surrounded with towers and gates. A part of the citadel was destroyed by Hulagu. The citadel was reconstructed in the Mamluk Period and became the seat of the Government.

of the Christian structures from the period of Simeon the Stylite until the 6th century.

The pious, ascetic St. Simeon was known to people everywhere. His fame reached France. When he died, his body was transferred to Byzantium to be buried in a magnificent church. Through the influence of Daniel the Stylite, a church was built at Telanisos (Qal'at Sam'an). The remains of this church testify that it was the grandest and largest of its kind. The church comprises a convent, baptistry, tombs, etc. The church was built by Syrian architects keen to glorify this Saint. The construction of the church lasted 14 year in 490 A. D. The church was considered an outstanding achievement not only of the Syrian architecture but also of the Christian world at large.

The Islamic Period

The Islamic Period in the ancient history of Syria remains the longest and the most important one. This period has left behind magnificent monuments. Prominent among these is the great Umayyad Mosque, of Damascus, which bears testimony to the significance of Damascus as the first ever Moslem capital of the greatest Arab State in history.

The Umayyad Mosque constructed by Abd-al-Malik's son, al Walid, was set up on a sacred site which was earlier a church. The Moslems used to observe their along with the Christians ever

Since the conquest of Damascus. Al-Walled entered into negotiations with the Christians to consecrate the church to the Moslems to avail setting up three churches. Before the church was built, the site was occupied by the temple of Jupiter in the Roman period. Earlier the temple of the Aramaean god, Hadad, had stood on the same site.

This great mosque with its multicoloured mosaics and beautiful murals, which remind the Moslems of the promised Paradise, remains an exquisite example of Moslem construction.

The Umayyad Palaces like Qasr ai-Heir al-Gharbi, built by Hisham ibn Abd-al-Malik in the south of Palmyra, remain fine examples of early Moslem architecture based on the Sassanid and Byzantine art but exhibiting a new style. This art appears clearly in the decorations of the facade of this palace, now reconstructed at the Damascus Museum.

Christianity

From the beginning of the fourth century Afamiah became a Christian city dotted with churches and monasteries. The original inhabitants of Syria, i.e. the Arab Aramaeans, received Christianity with much conviction. This is because the god El or Bel or Hadad is in their firm belief the source of good, happiness and love which are almost the same in the teachings of the holy scriptures.

As such Christianity spread in Ruha, Dura, Apamea, Antioch and Damascus. Thanks to the Epistles of St. Paul, who was converted to Christianity and helped to escape by the people of Damascus, the religion was conveyed to the world at large.

The Arab Mundhirites and Ghassanids embraced this religion and founded churches and monasteries. Christian metropolises such as Resapha, Deir Sam'an, Basra and Ezra' also came into existence.

Al-Resapha was merely a port in the Roman Period. It was meant for guarding the caravans between Damascus and Palmyra and to watch over the movements of the Persians. In 305, this small city received the body of St. Sergio's who was martyred in the reign of Diocletian. This city was later called Sergiopolis. In the reign of Justinian (527 -565) the city took its present shape with its rectangular wall (558 metres long). The wall has 51 towers of various shapes and sizes. Inside the wall, the ruins of the three great churches are still standing.

The church of St. Sergius is considered the biggest one 43.5 m x 28 m and also an important place of pilgrimage. Prominent among the remains of the city are the three cisterns. Each one is 40 m long and 24.5 m deep and is filled with rainwater.

When Christianity was established in Syria after the 5th century A. D. a system of monasticism sprang from the Christian practice of asceticism. The monks had to retire to hermitages, to the tops of mountains, to caves or pillars as it was the case with St. Simeon the Stylite, who perched on his pillar for 42 years, in the area known as Jabal Lilon or Jabal Belus extending from Seleucia to Belum (Jisr ai-Shoghur) to Chalcis (Qinnesrin). It also includes Jabal al-Arba'en, Parisha and Jabal Sim'an and other cities known today as the waste cities. Nothing has remained of these cities save some monuments indicating the grandeur

his death by his wife Zenobia, who ruled in the name of her minor son Wahab-Allath.

During the second and third centuries Palmyra reached the zenith of her glory. Under Zenobia Palmyra extended over Anatolia, Syria and Egypt. The remains of Palmyra stand today as a very imposing sight. The temple of Baal, the Colonnade, the grand Tetrapylon, the forum, the great wall of the city, the tower and the underground tomb bear testimony to the grandeur of the old and Famous city. In the heyday of Palmyra, Rome was ruled by a Syrian family i.e. the Severus. When the rule of this family ended,

Rome saw another Syrian enthroned, Philipp the Arab, who was born in Shahba.

Once again Syria received wide sympathy. This is manifested in the construction of Shahba (Philippopolis) and in the extension

Bosra. In Shahba we can still see the paved roads, stores, public baths, aqueducts, theatres, tetrapylon, temples and the tomb of Philipp (in which he is not buried).

Bosra

Bosra is also an ancient city. It was the settlement of the Arabs, particularly the Nabataeans. In 106 A. D. Bosra became an important Roman city. Under Alexander Severus Bosra was given the name « the mistress of the cities ». Bosra was an important centre of commerce and attained a high degree of prosperity.

The only thing that has remained from the Roman Bosra is the amphitheatre. It was built in the second century and is constructed of basalt. Its diameter is 102 m. It comprises 27 steps and holds 20,000 spectators.

Excavations are in progress in Bosra. A cryptoportico, public baths, forums, a colonnade, a central arch and tetrapylon have been uncovered.

Apamea

Afameia (Apamea) the second capital of the Seleucids became a Roman metropolis after 50 A. D. Its magnificent remains are still under exploration with the aim of uncovering its roads, agoras and its great theatre.

Of the Christian monuments we can see the Church of St. John, the Church of Hanania and the gate of St. Paul.

There are also many other Islamic monuments in Damascus mosques, schools, maristans, khans and takayat or monasteries. These monuments also bear testimony to the glory of the Moslem Periods. .

Antiquity

When Alexander of Macedonia defeated Darius of Persia at the Battle of Issos his victory was the beginning of Greek and later the Roman domination over Syria and the other eastern countries.

Succeeding Alexander to the throne of Syria, Seleucus Nicator founded the city of Alexandria in honour of his dead commander. He founded Antioch in honour of his father Antiochus, Latakia in honour of his mother Laodicea and Afamia in honour of his wife Apamea. Dura Europos was named Nicator's birthplace.

These cities are still standing. They preserve nothing of the Seleucids save the names.

Septimius Severus, who was a commander of a Roman legion in Syria married Julia Domna of Emesa (now Homs). Severus was originally from Libya. His language was Punic, not radically different from Aramaic, the language of his wife. Septimius managed to elevate himself to the throne and to become emperor. In his time the gates of Syrian influence at Rome were opened wide to the extent that the Roman Poet Juvenal exclaimed : «The Syrian Orontes has poured its water into the Tiber».

Palmyra

At that time, Palmyra received much interest from Rome.

During the reign of Caracalla in 183 the city was called 'Colonia' and as such it was exempted from taxes.

Palmyra reminds us of the Arab cultured societies. The city and her satellites were ruled by Arab tribes speaking Arabic and Aramaean. The excavations have revealed the names of the dynasties of Palmyra. Prominent among its rulers was Udaynath who was succeeded after

alphabetic script have been found in Ugarit. It is the oldest alphabet in history.

The script has thirty characters. The language is a Canaanite dialect. This same alphabet was the basis of the Arabic as well as the Greco-Roman alphabet.

The absence of local inhabitants from the archaeological sites of Mari, Ugarit and Ebla facilitated the excavation of these cities.

Many Syrian cities, especially Damascus and Aleppo still treasure secrets of a glorious past which is either contemporary or earlier than the civilization of those cities.

Aleppo may be the oldest city in the world. It still exists and flourishes. The first reference to the city appears in the middle of the third millennium. It was then called Halpa or Halbaba. Later

Aleppo became the capital of the Amorite Kingdom of Yamkhad. The city played a vital role in supporting Hammurabi and in concluding treaties with Babylon and Ebla. Aleppo once fell into the hands of the Hittites and once into the hands of the Egyptians.

Then it became a small Aramaean Kingdom. Later the city was under the Babylonians, the Persians and then Alexander the Great by whom Aleppo was named Beroea. The Romans and the Byzantines also occupied the city but the Moslem Arabs recovered it in 636 A. D.

The monuments of Aleppo such as the citadel, the great mosque, ai-Halaouyyah, the Maristans, the Khans and the bazaars make the old city into a unique, historic curiosity.

Damascus, whose ancient name is Dimaschq, which means in Aramaean the «irrigated lands» has been flourishing for forty centuries. Damascus appears for the first time in the third millennium when it was occupied by Egypt. It was then the homeland of the Amorites. Then it became successively an Aramaean kingdom, a Roman and Christian metropolis and ultimately a capital of the greatest Moslem State we know in history i. e. the Umayyad Empire. In Damascus, we can see monuments from the Aramaean and Roman Periods. The colonnade, the city entrance and the monuments - of the Temple of Jupiter are still standing. These monuments remind us of the glory that was Damascus.

The discovery of the central archives of the Ebla Palace in Syria is a matter of great significance for history. The new documents reveal that Ebla was a centre of a very important country in the Near East about 2300 B. C. It dominated very wide areas from the Mediterranean as far as Mesopotamia. The texts also reveal the dynasty of one of the Kings of Ebla between 2350 and 2250 B. C.

All traces of the dynasty were lost because of hostilities with the famous kings of the Akkad dynasty in Mesopotamia.

Ugarit and other ancient cities

A new unknown chapter has been opened to us in Syria for the first time. It reveals that Syria played a pivotal role in the history of The Near East in the third millennium B. C. The beginnings of her culture, civilization, arts, architectural style and literary development bear witness to this fact. Ebla also played a major role side by side with Egypt and Mesopotamia.

The city of Ugarit was discovered in 1929, as a result of an accidental find in Ras Shamra, north of Latakia by a Syrian peasant. A French expedition under Claude Schaeffer soon began digging the site (the digging is still going on).

This site had been inhabited since the Stone Age. The city flourished when the Canaanites (Arabs speaking the ancient language of the Arabs) settled there. The city enjoyed its heyday in the middle of the second millennium B. C. after being active in the realm of commerce. The city was destroyed by the Seapeople at the end of the second millennium.

Most precious among the varied finds which the site has yielded are the elaborate Royal Palace as well as the temples of Bel and Dagon, the most important gods of the Canaanites.

In the course of the excavations some specimens of pottery, Bronzes and ivories have been discovered. Prominent among these finds is a rectangular ivory panel which once was a part of the throne of the Kings of Ugarit. The panel bears scenes on the two faces. The scenes elegantly depict political, military and social life in an Egyptian style. Another example of the finds is the well-known ivory head. The two specimens are preserved in the Damascus Museum. Many clay tablets bearing an

of the panel, there are the goddess of the spring, stylized trees and date-palms. There is also another panel representing a scene of dedication. It comprises five rows of paintings. Nothing remains of them save a scene depicting Ishtar. Some soldiers and the king presenting his offer.

Ebla

Mari was contemporary with the Amorite city of Ebla. The discovery of Ebla was a great achievement which was only completed during the past few years. Ebla was discovered by an Italian Mission which conducted excavations at Tell Mardikh, South Aleppo and near the Aleppo-Damascus road. This mission has conducted 12 operations since 1964 and has proved that Tell Mardikh was the city of Ibila, the flourishing sister city of Mari and of Yarmuti (now Latakia). The three cities are mentioned in the clay tablets discovered at Nippur in Iraq. The cities date back to the Sargonic Period 2350 B. C. They were also mentioned in writings going back to the period of Naram-Sin, grand-son of Sargon, and Gudea, king of the Sumerian city of Lagash.

In 1975 a discovery of great importance for the history of civilization was made: The archives of the city in the reception hall of the Royal Palace which dates back to the second half of the third millennium B. C. They comprised thousands of cuneiform tablets arranged on wooden shelves as it is the case in our modern libraries. The texts of the tablets were written in Amoritic, classical Canaanite, and Sumerian. Among the tablets are business letters, royal decrees, reports on military battles submitted to the king of Ebla, international treaties concluded with major powers and lists of tribute paid by the subject states.

There are also a large number of linguistic matters including the oldest lexicons, which give us a list of Sumerian words in the language of south Mesopotamia, the Canaanite language (the then language of Syria). These texts are very important because they give us an idea of the methods of education in the third millennium B. C.

In this royal library, some literary and religious texts have been discovered. They include the Sumerian myths and epics. One of the texts narrates the epic of Gilgamesh, the famous hero of Mesopotamia and Syria.

The history of Mari may be divided into two principal periods. The first begins from the third millennium B. C. till the beginning of the second millennium B. C. i.e. the period falling in the Pre-Sargonic era. The second period ends at 1750 B. C.

Everytime the explorers believed that they had reached the virgin land at which the oldest layers end, they were surprised to find anew layer revealing a previous period. In 1935, a palace goingback to the second millennium B. C. was discovered. In 1964 a palace relating to the Pre-Sargonic age, i.e. 2700-2450 B. C., was discovered beneath the first palace. A layer going back to the 5th period of Nineveh, i.e. the fourth millennium, was also unearthed. In the Pre-Sargonic Period the following temples were discovered: Shamash, Dagon, Ishtar and Nini-Zaza. In the second period, the great palace which was completely destroyed after a fierce war waged by Hammurabi in 1750B. C., was also discovered. In this war Hammurabi defeated his obstinate adversary Zimri-Lim, King of Mari. The city then lost the importance and glory which had been achieved by that king.

From this great palace, Zimri-Lim used to dominate a major part of the Middle East. The fate of many people who had been conquered by the Babylonian lay in his hands.

Mari regained some of its importance when it was used by the Assyrians as a centre for protecting the commercial route which extended from the rising sun i.e. the Arab Gulf as far as the setting sun i.e. the Mediterranean Sea. Later on, Mari began to sink gradually into oblivion.

The excavations had also produced over 30,000 cuneifo tablets in the Akkadian language. The finds also comprise a statue of Ur Nina, the singer of the Temple; a statue ofLamgi-Mari, the King of Mari; a statue of the Prophetess; a statueof Ishtar, the calf-bearer and Idi-Narum, the Miller. Prominentamong the finds discovered at the Palace of Zimri-Lim are: two big statues of the goddess of the Spring and Ishtup- Ilu

They as well as a headless` statue of Idi-Illum go back to second millennium B. C. One brilliantly coloured painting has been discovered in e courtyard of the palace. It represents the royal investiture King Zimri-Lim standing in front of Ishtar, the goddess of • a:Ishtar appears in her military role with her right foot acouchant lion. On other parts

Mari

Neither the group of migrants who marched from Mesopotamia nor the original inhabitants of the area had ever imagined that one day they would establish a flourishing civilization on the banks of the Euphrates on the site which is today called Tell al Hariri, situated 10 km. to the north of Abu Kamal. This great civilization of the third millennium B. C. is related to a city named Mari.

The city was discovered by accident in 1933, when a Bedouin peasant was looking for a piece of stone to make a gravestone out of for one of his dead relatives. The Bedouin found a headless statue. He took the statue for Satan. The discovery was soon reported to the responsible officials at Abu Kamal and the matter was then reported to the competent authorities. When the news of the discovery reached Paris, the Louvre assigned one of its conservators, a young man named Andre Parrot, to examine the statue. Parrot found in the statue a clue to that great city which had already been mentioned in the inscriptions discovered here and there. After conducting some explorations in the area, Parrot came to the conclusion that Tell al-Hariri was the city of Mari.

Regular excavations have been going on at this important site which is still revealing levels and layers of different constructions, streets above streets, palaces above palaces and temples above temples. They are a number of civilizations each one superimposed on the other. The earliest of these dates back to the year 3000 B. C. The main features of this city, its zenith and decay, have been determined. This is because the war which destroyed this city left behind traces of fires, ruins and looting. The recent excavations at this site, however, have yielded a number of statues and works of art.

These magnificent finds, which date back to the dawn of civilizations, have not only dazzled the archaeologists but also all those who visit the Syrian museums. In this connection, Andre Parrot says: "These finds prove the old saying that the Orient has brought light to the Occident". The thousands of cuneiform tablets discovered at Mari have enriched our knowledge of ancient history. They reveal that Mesopotamia, like Egypt, was a very old cradle of civilization and that Mari occupied a prominent place in the long and rich history of Mesopotamia.

the banks of the rivers to fish for food there, in addition to what he hunted in the way of wild bulls, zebras and gazelles which were in abundance in that area. The excavations have brought to light a good quantity of the bones of such animals.

This man used stone implements to reap the wild plants, which he himself had not grown, such as corn, barley and lentil, some of which have been found carbonized. He lived in houses consisting of wide circular rooms.

The building materials of these houses were mud, and wood trimmed with a stone hatchet. The walls of the rooms were covered with branches, gypsum or skin of animals.

One thousand years later, the houses grew wider and the walls of the room were painted with some primitive decorations in red or black. It appears that man at that time managed to prepare and use baked clay. The evidence for this are the small baked clay objects which have been brought to light. Some statues in clay and stone depicting a nude woman placing her hands over her breast has also been discovered. Undoubtedly, the woman represents the fertility goddess who was worshipped in the agrarian communities of that era. Some sea-shells, bones and stones used as ornaments for women have also been found. The discovery of stone spearheads and obsidian knives indicate commercial exchange with the north.

Abu Huraira, which is not far from Tell Mureibit, monuments of settlements dating back to the same period, i.e. the 9th millennium B. C. , have been unearthed. The same aspects of advanced life in addition to rectangular adobe houses have been found at the same site. Here, the dead were buried according to certain rituals including burial of the dead in the floor of the house or in the outer courtyard.

The skeletons were then removed from their places after separating the skulls in order to collect them in another burial ground. The inhabitants, in fact, believed in survival after death.

With the spread of inhabitants along the banks of the Euphrates, civilization began to flourish.

2- The Syrian Archaeological Heritage

Prehistory

Man settled on this land thousands of years ago. He has left us his first traces in the city of Hama and Al-Latamneh, the early banks of the Orontes. Successive dwelling-sites soon developed along these banks and invaded the valley as far as the coast. The remarkable relics which have been discovered in the Course of recent years prove that the area was densely populated. It seems that primitive man enjoyed life in the forests of oaks and wineries, which surrounded the Orontes Valley where he often settled in the early Stone Ages or rather in the Chelleo-Acheulian era. Some of the stone implements used by man in that period such as fish hatchets, scrapers or choppers have been discovered.

At that time, man co-existed with big and medium-sized animals, some of which were heavily built like elephants and rhinoceros.

There were also gazelles, mountain goats, bulls, camels and perhaps horses. It appears that man used the meat of such animals as food in the Acheulian Period. The rainfall then was heavy, the trees were dense and the pastures plentiful. In winter the frost was so severe that men were forced to take shelter in caves.

If we turn to the Middle Stone Age (Mesolithic) and the late Stone Age (Neolithic) we can see clearly in this country the most ancient dwelling-site in the world. It has been discovered during the excavations of the antiquities at the Euphrates Dam Site.

At Tell Mureibit which lies on the Euphrates to the west of al-Ta-baqa city, archaeological missions have discovered the earliest settlement that man lived in 11 thousand years ago. It is the oldest settlement ever-known so far.

The ancient man who was ignorant of agriculture and pasture sought

A L'origine elle était constituée d'un ensemble de forteresses datant des Seljouks et des Attabiks. Puis ce fut le roi Adel, frère de Saladin, qui ordonna de la construire, selon la forme qu'elle a gardée depuis le début du 7^{me} siècle de l'Hégire, jusqu'à nos Jours. Auparavant Salah-Eddine avait séjourné dans une tour particulière où à sa mort, ses funérailles eurent lieu.

La Citadelle, telle qu'elle fut construite par le roi Al-Adel, forme un rectangle de 220 mètres sur 160 mètres; sur son côté occidental s'élevaient le Palais et le Quartier Royal. La Citadelle possédait une tour pour les pigeons voyageurs, un atelier pour la frappe de la monnaie, une fabrique d'armes, une prison, un bazar, un bain public et nombre de mosquées. Elle était le siège du pouvoir de l'Etat et du commandement de l'Armée. Elle était flanquée de tours et de portes gigantesques qui en permettaient l'accès.

Puis une partie de la Citadelle fut détruite lors de l'invasion de Hulagu. elle fut restaurée sous les Mameluks, et devint le siège du Gouverneur ou du Représentant du Sultanat.

dans la décoration de la façade du Palais, qui a été remontée au Musée National de Damas.

Le règne de Hisham Ibn Abdul-Malik (724-743), fut une période de développement florissant, dans le domaine architectural. Il bâtit en Syrie de multiples Palais, deux à Resafa, outre ceux de Qasr ai-Heir al-Charqi et Qasr ai-Heir al-Gharbi. Les historiens mentionnent de plus la construction de deux palais près de Raqqa, d'un à Damas, un autre Marge al-Safre au sud de Damas. sans compter Qasr al-Mafjar et d'autres en Palestine et en Jordanie.

Passant à une période Islamique postérieure, nous trouvons la citadelle d'Alep qui fut restaurée et dotée de nouvelles constructions, durant la période Ayyoubide. Elle est un modèle type de citadelle islamique. Elle fut érigée sur une élévation rocheuse. occupée précédemment par un temple du dieu Araméen Hadad. puis du dieu Hittite Techoub, puis enfin par un temple dédié à dieu grec Zeus. Le site devint l'Acropole de la ville à l'époque grecque. Quand les Arabes Musulmans occupèrent Alep ils firent une forteresse siège de l'Autorité. Durant la période Ayyoubid -, comme nous l'avons signalé plus haut, le roi Al-Zahir Ghazi ibn Salah-Ed dine, construisit de nombreuses parties de la citadelle, et en restaura d'autres. Il fit creuser le grand fossé, fortifia. A les flancs, car des murailles de pierre, y éleva une grande mosquée, et des palais et y demeura avec son épouse Daifa Khatoun, qui y fut enterrée après sa mort.

La Citadelle a la forme d'une ellipse. Elle est entourée d'une muraille surmontée de tours carrées ou circulaires. La première tour enferme l'entrée principale, qui est surmontée par la salle de trône, dont les décors viennent d'être restaurés récemment.

A l'intérieur de la Citadelle, se dresse la Mosquée d'Ibrahim al-Khalil, construite sur l'emplacement où Ibrahim, dit-on, séjourna lors d'un voyage de Harran à Alep. On y voit aussi une autre mosquée, des bains publics, des bazars, des caves, des citernes et des prisons.

La Citadelle de Damas n'est pas moins importante. Elle se caractérise par son emplacement au niveau du sol. Elle est située à l'angle nord-ouest de l'antique Muraille de Damas.

La ville de Talonneuse, que l'on connaît aujourd'hui sous le nom de Qal'at Sam'an Construction incomparable par sa magnificence, comme en témoigne ses vestiges. Elle se compose d'une église, d'un monastère, de Sépulcre, d'un baptistère et de diverses dépendances. Elle bâtie par des architectes Syriens, inspirés par la ferveur et le désir de glorifier le nom du Saint. Les travaux qui durèrent 14 années, furent achevées en 490 ap. J. C. L'église est considérée comme un chef-d'oeuvre, non seulement de l'architecture Syrienne, mais aussi de l'Architecture chrétienne.

L'Islam

La période Islamique reste, dans l'histoire si ancienne de la Syrie, l'étape la plus longue et la plus importante. Cette période florissante nous a légué un héritage magnifique de monuments grandioses. La Mosquée des Omeyyades en est l'archétype le plus ancien. Elle témoigne de l'importance de Damas, première capitale islamique du plus grand Etat Arabe dans l'histoire.

La Mosquée des Omeyyades fut construite par le Calife Al-Walid Ibn Abdul Malik sur un site sacré, occupé par une église, ou depuis la conquête de Damas, les Musulmans accomplissaient leurs prières cote à cote avec les Chrétiens. Puis al-Walid négocia avec la communauté chrétienne, la cession de ce site, contre l'autorisation de construire trois autres églises.

Auparavant, à l'époque romaine, cet emplacement était consacré à un temple dédié à Jupiter, qui avait succédé à un temple dédié au dieu Araméen, Hadad.

Cette grande Mosquée fixa le dessin essentiel du plan de toutes les mosquées postérieures. Elle renferme, pour la première fois une fresque de mosaïque multicolore qui évoque le Paradis promis aux Musulmans.

Parmi les Palais Omeyyades, celui de Qasr al-Heir al-Gharbi, construit par le Calife Hisham Ibn Abdul Malik, dans la plaine au sud de Palmyre, demeure un des chefs-d'oeuvre de l'ancienne architecture Islamique, qui s'inspira de l'art des Moundirites, tel qu'il était représenté dans leur Palais de Hira; des éléments de formes et de décors Byzantins et Sassanides, y furent cependant introduits lui donnant un aspect nouveau qui inaugure l'architecture Islamique. Cela se voit clairement

suivis les mouvements des Perses. En l'an 305, cette petite ville accueillit la dépouille de Sergius, qui fut sanctifiée après son martyr sous le règne de Diocletien, et elle reçut le nom de Sergiopolis. Au siècle de Justinian (527-565), la ville prit sa forme actuelle, enfermée dans ses murailles de gypse, sous forme de rectangle de 558 mètres de long, et les tours de différentes formes et volumes qui dominent l'enceinte, à l'intérieur de laquelle l'on peut voir aujourd'hui les ruines imposantes des trois grandes églises. Celle de St. Sergius, qui a 43,5 mètres de long et 28 mètres de large, est considérée comme l'une des plus grandes. Elle abritait le dépôt des objets sacrés et la dépouille du Saint, et d'où s'écoule par un conduit l'huile bénie avec laquelle se bénissaient les fidèles.

Parmi les constructions qui sont encore visibles, les plus importantes sont les trois citernes, pour la conservation des eaux de pluie dont chacune a 24,5 mètres de profondeur et 40 mètres de longueur.

Lorsque le Christianisme, qui s'était propagé parmi les habitants de la Syrie, fut bien implanté, après le 5^{ème} siècle. J.C., se développèrent le système monastique et la pratique de l'ascétisme.

Des prêtres se retirèrent dans leurs ermitages sur les dunes des montagnes, dans les cavernes ou aux sommets des colonnes; l'exemple le plus connu est certainement Siméon le Stylite, qui est resté 42 années au sommet de sa colonne, située dans la région qui s'appelait le Mont Lilon, ou le Mont Belus, et qui s'étend de Séleucie à Bilum (Jisr al-Chogour aujourd'hui),

jusqu'à Chalcis (Qinnesrine), incluant le massif d'Al Arbaene, de Baricha, et plus au nord le massif de Sima'an. De nombreuses villes connues aujourd'hui sous le nom de «Villes mortes», et dont il ne reste que des ruines qui témoignent de l'importance des constructions urbaines chrétiennes, du temps de Siméon le Stylite, et jusqu'au 2^{ème} siècle.

Le pieux et saint Siméon le Stylite fut pendant longtemps l'objet d'une piété qui attirait les foules de toutes parts, et sa renommée atteignit la France. Quand il mourut à l'âge de 70 ans, sa dépouille fut transportée à Antioche, puis à Byzance dans une magnifique Église qui lui fut consacrée. Puis, sous l'influence de Siméon le Stylite une église fut construite grâce à des fonds considérables sous le règne de Zenon, dans

Les fouilles a Bosra se poursuivent toujours. Il a été découvert. le Cryptoportique, qui est un corridor sous-terrain, de 106 mètres de long, et 5 mètres de large, éclaire par 44 fenêtres situées au-dessus de niches et «Mihlabs» décorés. Ont été aussi mis au jour les bains publics, les forums, l'avenue droite, la croisée tétrapyle et l'arc de triomphe central.

Apamée

Quant à Afamia-or Apamée, qui est la deuxième capitale des Séleucides, elle est devenue métropole romaine 50 av. J. C. Ses magnifiques monuments semblent, dans leur élan, s'élever sur un tapis de nuages; selon l'expression d'un écrivain Syrien; les fouilles et les restaurations s'y poursuivent depuis des dizaines d'années. Mais ce que les siècles ont détruit, ne peut être relevé en quelques années. Afamia a donné toujours besoin d'archéologues pour la faire sortir de la longue nuit qu'elle a connue, et révéler au grand jour ses forums et son grand théâtre

Christianisme

A partir du 4ème siècle, Afamia devint chrétienne, et fut dotée d'églises et de monastères.

Les Araméens Arabes, qui sont les habitants originaux de la Syrie, ont réservé au Christianisme un accueil convaincu. Car le dieu El, ou Bel ou Hadad, était dans sa conception profonde, l'origine du bien, du Bonheur et de l'Amour, qui sont en harmonie avec les concepts Chrétiens. De plus, les Evangiles ont été écrits dans la langue Araméenne elle-même. Ainsi, se propagea le Christianisme à Ruha, Dura, Afamia, Antioche et Damas, où les Epîtres de St. Paul ont fortement contribué à la propagation de cette religion.

Et ceux sont les habitants de Damas qui ont facilité la fuite de St. Paul, quand il eut adhéré au Christianisme.

Les Arabes Munzirites et Ghassanides, ont embrassé cette religion et ont construit des églises et des monastères. Ont vu le jour des sites chrétiens comme Resafa, Deir-Sam 'an Basra et Ezra' qui existent toujours.

A l'époque romaine, Resafa n'était qu'une falaise qui assurait la sécurité, gardait des caravanes entre Damas et Palmyre, et d'où étaient

l'Anatolie, Damas et l'Égypte. Palmyre était devenue cette grande cité dont les monuments témoignent, jusqu'à ce jour, de son importance.

Le temple de Bel qui fut le plus grand que nous connaissions jusqu'à cette Époque, est la preuve du grand développement de la ville, et de l'étendue de sa puissance. De même l'avenue en ligne droite et les magasins qui la bordent, le grand tétrapyle (tétrapylon), le forum et le théâtre avoisinant ainsi que l'enceinte géante à la limite des tombeaux-tours, au des tombeaux sous-terrains, tout témoignent d'un haut niveau d'épanouissement économique et social.

Durant le développement de Palmyre, Rome était gouvernée par la famille syrienne des Sévère. Peu après son déclin, Philippe I 'Arabe ne a Chahba, fut porté sur le trône et devint Empereur de Rome. Une fois de plus, la Syrie retient l'Intérêt: Philippopolis (Chahba) est construite et Bosra agrandie. A Chahba, nous pouvons voir de nos jours, les rues pavées, les magasins, les bains, les aqueducs, le théâtre, le temple, le tombeau de Philippe (il n'y fut pas inhumé)

Bosra

Bosra est aussi une cité ancienne. Elle fut la patrie des Arabes et particulièrement des Nabatéens. A partir de l'an 106 ap. J. C. elle devint une importante cité romaine. Sous le règne d'Alexandre, elle reçut le nom de «Mère des sites», et devint un important et prospère centre commercial, que caractérisent des constructions grandioses.

Le plus important monument qui nous est resté de la Bosra Romaine est l'amphithéâtre. Il est le monument le plus parfait. Car il est seul dans le monde qui ait conservé toutes ses parties. Sur lesquelles une citadelle islamique fut construite.

Ce théâtre a été érigé au 2ème siècle. Il fut construit en pierre Basaltique. Son diamètre est de 120 mètres. Il comprend 27 rangées de gradins, qui peuvent accueillir vingt mille spectateurs sa scène a été complètement déblayée, et les touristes peuvent la visiter car le théâtre est maintenant restauré. Il permet aussi de donner les spectacles les plus grandioses et son inauguration en 1974 qui a duré des mois, a été un événement marquant.

Antiquité

Avec la victoire d'Alexandre de Macédoine sur Darius roi des Perses, dans la bataille d'Issos, commença la domination grecque, puis romaine, sur la Syrie et autres pays orientaux.

Et quand Seleucos Nikator succéda à Alexandre sur le trône de la Syrie, il fonda la ville d'Alexandrette en l'honneur de son chef Décède, Antioche à laquelle il donna le nom de son père Antiochus, Latakiah (Lattaquié) qui porta le nom de sa mère Laodice et Afamia qu'il appela du nom de son épouse Apamea, puis DuraEuropos qui porta le nom de son ville natal. Ces cites existent toujours, mais Antioche mise à part, ces cites ne conservèrent des Séleucides que leurs noms. Et lorsqu'elles passèrent, en même temps que d'autres provinces syriennes, sous la domination romaine, par la main de Bomba, Antioche demeura la capitale; mais les gouverneurs de Raha, 'Anjar, Horns, Bosra, Palmyre et Apamea restèrent Arabes.

Septime Sévère, qui commandait la Légion Romaine en Syrie, Épousa Julia Domna, originaire de Horns qui parlait l'Araméen, sœur de la langue punique, que parlait Sévère originaire de Lybie.

Lorsque ce dernier devint Empereur, sa cour se transféra de Horns à Rome. Et l'influence syrienne sur l'Etat et la culture devint si grande, que le poète romain Juvenal s'exclama «L'Oronte déverse maintenant ses eaux dans le Tibre».

A cette même époque, Palmyre fut l'Objet d'un plus grand intérêt de la part de Rome. Et sous le règne de Caracalla, en 183 elle reçut le titre de Colonie Romaine, ce qui l'a promue égale à Rome, et exemptée de lui payer des impôts.

Palmyr

Le nom de Palmyra vient de suite à l'esprit, quand on évoque les premières sociétés Arabes cultivées. Cette ville et ses environs, furent gouvernés par des tribus arabes qui parlaient l'Arabe et l'Araméen. Les fouilles ont dévoilé les noms des dynasties gouvernantes, dont le plus important est Uzainat, à qui succéda son épouse Zenobia, régente de leur fils mineur Wahab-Allat. et durant le 2ème et le 3ème siècle, Palmyre atteint l'apogée de sa Gloire. Car Zenobia étendit son pouvoir sur

Cet alphabet fut la base de l'alphabet Sémitique-Arabe, ainsi que de l'alphabet Gréco-Latin, à l'IA fois.

Si la vacance de lieux archéologiques comme Mari, Ugarit et Ebla, de leurs habitants, a permis de fouiller et de dévoiler le passé de ces villes, de nombreuses villes de Syrie, et notamment Damas et Alep, continuent à celer en leur sein, les secrets d'un glorieux passé, contemporain ou antérieur à la civilisation de ces cités.

Il est possible qu'Alep soit la plus ancienne ville du monde. Elle reste toujours survivante et florissante. La première référence la concernant date du milieu du 3ème millénaire. Son nom était Halba ou Halbaba. Puis elle devint la capitale du royaume Amorien de «Yamkhad». Alep a joué un rôle de soutien à «Hamourabi», et a conclu des traités avec Babylone et Ebla. Elle tomba sous le joug tantôt des Hittites, tantôt des Egyptiens. Puis elle devint un petit royaume Araméen. Ensuite elle fut soumise aux Babyloniens, aux Achéménides puis à Alexandre de Macédoine, sous lequel elle se nomma Beroea. Puis elle fut conquise par les Romains et les Byzantins, enfin elle fut récupérée par les Arabes Musulmans en 636 ap. J. C..

Quant à Damas, dont l'ancien nom est Dimashq qui signifie en Araméen «La Terre irriguée», elle est la cité qui est restée florissante durant quarante siècles et elle le demeure. Elle a connu, à partir du 3ème millénaire, la conquête de l'Egypte, lorsqu'elle était la patrie des Araméens, plus tard une métropole romaine et chrétienne et ensuite la capitale du plus grand état islamique dans l'histoire: l'Etat Omeyyade.

À Damas, l'on peut voir des monuments de l'époque araméenne et romaine. Les colonnades, l'entrée de la cité, la tour et les monuments du Temple de Jupiter sont toujours debout. Lux évoquent le souvenir de la florissante de cette cité à cette époque.

Parmi les monuments chrétiens anciens, se trouvent l'église de St. Jean, celle de St. Hanania, ainsi que le portail de St. Paul. Quant aux monuments musulmans, on en voit par toute la ville ; les Mosquées, les Madrasas, les Maristans, les Khans et les Takys (monastères) sont bien conservés et font l'objet d'une surveillance continue.

Ugarit et d'autres villes anciennes

La ville d'Ugarit a été découverte a Ras-Shamra, au nord de Lattaquié. Elle est la plus grande colonie sur la Méditerranée durant le 2eme millénaire av. J. C. Sa découverte a eu lieu, lorsqu'un paysan qui labourait sa terre, ayant déplacé une pierre, mit au jour-

Un tunnel conduisant à un tombeau. Depuis, une mission 'française' conduite par le Prof. Claude Schaeffer, dirige les fouilles qui se poursuivent jusqu'à maintenant.

Ugarit a été habitée depuis l'Age de pierre. Mais la ville ne s'est épanouie que lorsque les Cananéens y demeurent. Ce sont les aïeux des Arabes qui parlent l'ancienne langue arabe (dite Sémitique). Puis la ville atteint son apogée au milieu du 2eme millénaire lorsque son activité commerciale devint florissante. Puis la ville fut détruite à la fin du 2eme millénaire quand elle fut envahie par les «Peuples de la Mer».

La plus importante des découvertes concernant l'apogée de sa civilisation est le Palais Royal, qui est la cite officielle, et qui est organisée d'une manière précise. Il n'avait son pareil nulle part ailleurs. A cote du palais se trouvent le temple du dieu Baal et celui du dieu Dagan qui sont les plus grands parmi les dieux Cananéens'.

Au cours des fouilles, ont été découverts, des spécimens de poteries, d'ivoires et de bronzes travaillés, dont le panneau rectangulaire est en ivoire, et constitue une partie du trône des Rois d'Ugarit et ou sont gravées, des deux côtes, des scènes de sa vie quotidienne, politique, militaire et sociale, avec une grande finesse, mais selon le style égyptien. Un autre exemple des découvertes est la tête d'ivoire si remontée. Ces deux pièces sont conservées au Musée de Damas.

Des tablettes portant des inscriptions dans les langues de la région et surtout en ugaritique, ont été trouvés aussi à Ugarit. La plus remarquable de ces tablettes est celle ou est gravé l'alphabet. C'est le plus ancien alphabet de l'histoire. Car avant cette date les mots n'étaient formés que par syllabes. Cette tablette se compose de trente lettres, placées en ordre, comme dans les alphabets modernes.

La grande importance de cet alphabet s'est notamment manifestée quand, plus tard, il s'est inscrit sur des papyrus, ce qui a donné aux lettres une forme souple, semblable aux inscriptions du tombeau de «Ahiiram».

ont été trouvés tels qu'ils étaient conservés, rangés dans des cases de bois comme dans nos bibliothèques aujourd'hui.

La première lecture de ces textes indique que ces archives renferment de longues listes de la correspondance commerciale de l'ancienne Ebla, des décrets concernant la réglementation juridique et des listes des indemnités de guerre versées par les villes soumises; ainsi que des traités internationaux conclus avec les grandes puissances du 3ème millénaire av. J. C. Outre les archives de l'Etat, il existe aussi un grand nombre de Textes linguistiques, qui constituent le plus ancien dictionnaire en deux langues. On y trouve une série de termes sumériens (langue de la Mésopotamie méridionale), et cananéens (langue de la Syrie de cette époque). Ils sont d'une importance particulière pour la connaissance des méthodes d'enseignement au 3ème millénaire av. J.C., formant un recueil de grammaire et d'exercices linguistiques. Dans la même bibliothèque royale, ont été découverts aussi quelques textes littéraires et religieux, concernant les mythes et les épopées sumériennes. L'un d'eux narre l'épopée de «Gilgamesh» Le célèbre héros de Mésopotamie.

La découverte des archives centrales du palais d'Ebla a une grande signification pour l'histoire. Les nouveaux documents révèlent qu'Ebla a été, aux environs de l'an 2300 av. J.C., le centre du plus important Etat du Proche-Orient. Elle dominait de très vastes régions qui s'étendent du bassin de la Méditerranée jusqu'à la Mésopotamie. Un des textes révèle la dynastie de l'un des rois d'Ebla, entre 2350 et 2150 av. J. C., dont le nom s'était perdu dans le tourbillon des hostilités avec les fameux rois de la dynastie akkadienne, en Mésopotamie.

Un nouveau chapitre, qui était inconnu, vient de s'ouvrir pour nous en Syrie. Il révèle que la Syrie a joué, durant le 3ème millénaire av. J.C. un rôle primordial dans l'histoire d'Orient.

Les données de sa civilisation et de sa culture, dont témoignent le développement de l'art, de l'Architecture et de la littérature, montrent, en même temps qu'Ebla ajoute un rôle principal, côte à côte avec l'Egypte et la Mésopotamie.

Quant aux découvertes faites à Tell Hariri, à Tell Khoueira, à Habuba Kabira, et dans d'autres sites, elles viennent compléter notre connaissance sur d'autres régions de la Syrie, Durant l'âge du bronze

rum» et de «lku-Shamgan», qui ont été trouvés dans le Temple d'Ishtar. Parmi les plus importantes découvertes dans le Temple de Zimiri-Lim, et qui datent du 2ème millénaire, figurent les deux grandes statues de la déesse du printemps, et de «Ishtup Ullum», ainsi que la statue décapitée de «Idi Ilim».

Les restes d'une fresque (bas-relief) ornée et coloriée ont été découverts dans la cour du Palais. Ils représentent la scène de l'Investiture royale: Le roi Zimri-Lim qui s'incline religieusement devant Ishtar, déesse de la guerre, revêtu de ses attributs militaires et le pied droit pose sur son symbole, le lion. Dans d'autres parties des bas-reliefs, l'on voit la déesse de la source et des dattiers. Un autre tableau représente la scène de l'offrande. Il se compose de cinq panneaux dont il ne subsiste qu'une partie où l'on voit la déesse Ishtar avec quelques soldats, et le roi présentant l'offrande.

Ebla

Mari a été contemporain de la ville Amorienne d'«Ebla». La découverte d'Ebla a été un grand événement des dernières années. Depuis 1964, une mission archéologique italienne poursuivait ses recherches à Tell Mardikh, située au sud d'Alep et à proximité de la route reliant Alep à Damas. Cette mission effectuée une douzaine de campagnes, et dernièrement elle a acquis la preuve certaine que cet emplacement est celui d'Ebla, la Florissante cite, sœur de Mari et de Yarmouth, probablement l'actuelle Lattaquié, un site qui était resté inconnu jusqu'à la. Les noms de ces trois sites étaient mentionnés dans la tablette de terre cuite qui a été découverte à Nippur en Iraq, et qui date de l'ère Sargonique, 2350 av. J. C. Ils étaient aussi mentionnés dans des écritures qui datent du règne de «Naram-Sin», petit-fils de Sargon et de Gudea, roi de la cite sumérienne de Lagash.

En 1975, une découverte d'une importance exceptionnelle pour l'histoire de la civilisation a été faite. Dans la salle de réception du Palais Royal, datée de la 2ème moitié du 3ème millénaire av. J. C. ont été découvertes les archives de la Cite, dans deux pièces qui contiennent des milliers de tablettes cunéiformes. Elles sont considérées comme les plus anciennes archives de la plus grande et la plus ancienne ville connue à ce jour. Ces textes, écrits en langue classique et en sumérien,

↳Egypte le plus ancien berceau de la civilisation, et a occupé une place proéminente dans l'histoire de la Mésopotamie.

L'histoire de Mari peut se diviser en deux périodes principales: la Première va du 3ème millénaire av. J. C. jusqu'au début du 2ème millénaire av. J. C. C'est la période Pre-sargonique. La deuxième période finit en l'an 1750 av. J. C.

Et si. Lors des fouilles, les chercheurs ont cru si souvent avoir atteint la terre vierge, là où se terminent les couches archéologiques. Ils furent aussi souvent détrompés: la découverte d'une couche nouvelle révélait une nouvelle période

Et en 1935. A été découvert un palais qui remonte au 2ème millénaire. Et en 1964, un autre palais remontant à l'ère Présargonique (2700- 2350 av. J. C.), a été découvert au-dessous du premier Palais.: Puis fut découverte une couche datée de la 5ème période de Ninive. C'est-à-dire du 4ème millénaire. Pour la période Pre-sargon qu'ont été découverts les Temples de Shamach, Dagan, Ishtar et NiNi Zaza.

De la 2ème période, date le Grand Palais, qui fut très gravement endommagé par la guerre meurtrière que lava Hamurabi en l'an 1750 av. J. C. contre cette ville de Mari lorsqu'il mit fin au règne de son obstiné adversaire, Zimri-Lim, roi de Mari. Depuis lors, la ville ne retrouva plus l'importance et la gloire qu'elle avait connue sous le règne de ce roi, qui dominait à partir du Grand Palais, une Grande partie du Moyen-Orient, et qui décidait du sort nombreux peuples jusqu'à la conquête babylonienne.

Mari retrouva cependant une partie de son importance lorsque les Assyriens en firent un centre qui permettait d'assurer la protection de la route commerciale qui allait du Soleil Levant c'est-à-dire du Golfe Arabe, au Soleil Couchant c'est-à-dire à la Méditerranée. Par la suite Mari a péri graduellement, jusqu'à Complète extinction.

Les fouilles ont aussi produit plus de trente mille tablettes portant des inscriptions en cunéiformes (en Akkadien). Y ont été trouvées aussi différentes statues de terre et de pierre dont le chef-d'œuvre est la statue de «Our-Nina», le chanteur du Temple, qui a été découverte dans le temple de «Ni Ni Zaza, et celle de «Lamgi-Mari» le roi de Mari. La prophétesse et star, ainsi que le Porteur de Veau, le Meunier «Idi-Na-

Mari

Il ne vint jamais à l'idée de ce groupe d'émigrants, venus de la Mésopotamie, ou des habitants originaux de cette région, qu'ils fondraient sur le bord de l'Euphrate, sur le site connu aujourd'hui sous le nom de «Tell Al-Hariri», à dix kilomètres à l'ouest d'Abou Kemal, une florissante civilisation, qui a été attribuée, depuis le 3ème millénaire à une ville nommée «Mari».

C'est un heureux événement que cette ville ait été redécouverte accidentellement en 1933, lorsqu'un bédouin, qui était à la recherche d'un bloc de pierre pour en faire une stèle funéraire pour un parent décédé, ait exhumé une statue sculptée décapitée qu'il prit, sur le moment, pour le diable. Ce fait parvint à la connaissance des responsables à Abou-Kemal, qui se mirent en rapport avec les autorités mandataires lesquelles, à leur tour. En informèrent Paris. Et il fut dévolu à un jeune conservateur du Musée du Louvre, André Parrot, de conduire une mission pour étudier cette statue et trouver la «clef de cette ville grandiose, qui a été si souvent mentionnée dans les inscriptions découvertes partout. Les prospections effectuées alors ont confirmé que

Tell al-Hariri n'était autre que la ville de Mari elle-même. Les fouilles se sont poursuivies régulièrement jusqu'à ce jour, en ce site important, où l'on découvrit des niveaux et des couches de constructions diverses, les rues se superposant aux rues, les palais au palais et les temples aux temples. Il s'agit d'un ensemble de «civilisations, qui se sont accumulées les unes sur les autres. La première remonte au 3ème millénaire et tous ses aspects en sont maintenant connus. Car la guerre qui a décimé cette ville a laissé des traces d'incendies, de destructions et de pillages. Ces récentes fouilles ont permis de mettre à jour des restes de statues et d'œuvres d'art qui ont montré les sommets atteints par cette civilisation qui émerveille non seulement les Archéologues mais aussi tous ceux qui visitent les musées de la Syrie et contemplent les extraordinaires trouvailles qui appartiennent aux premiers débuts de la civilisation de l'homme sur cette terre. Ce qui fait dire à l'Occident par la voix de A. Parrot lui-même «A été confirmée l'ancienne parole qui dit que l'Orient a apporté la lumière à l'Occident. » -ex oriente lux. des milliers de tablettes en terre cuite ont enrichi notre connaissance de l'histoire ancienne, et ont révélé que la Mésopotamie, a été comme

L'homme primitif qui ignorait l'Agriculture et l'élevage à recherche des rives des fleuves pour vivre de la pêche et de la chasse des taureaux sauvages, des zèbres et des gazelles qui se trouvaient en abondance dans cette région. Carles fouilles ont découvert de grandes quantités d'os de ces animaux.

Les outils de cet homme consistaient en découpoirs de silex avec lesquels il procédait à la cueillette des plantes sauvages qu'il ne cultivait pas lui-même, tels le blé, l'orge, les lentilles, car des restes carbonisés en ont été trouvés.

Cet homme a vécu dans des maisons composées de grandes pièces circulaires, construites de boue et de bois ébranché à l'aide d'un marteau de pierre. Quant à la toiture de ces pièces elle était constituée de branchages ou de plâtre ou de peaux d'animaux.

Mille ans après, les maisons étaient devenues plus vastes. et les pièces étaient ornées de quelques fresques de couleur rouge ou noire. Il semble qu'à cette époque, l'homme a pu découvrir et utiliser la terre cuite comme l'indique la découverte de petits vases, et aussi d'un nombre de statuettes en pierre et en terre une femme nue, couvrant ses seins de ses deux mains que représente sans doute la déesse de la fertilité, idole des sociétés agricoles de cette région. On a découvert aussi des os et des pierres qui étaient utilisés comme bijoux féminins. L'on a trouvé aussi des pointes de lance en silex et des couteaux en obsidienne qui indiquent des échanges commerciaux avec le nord.

A «Abu-Hureira», qui n'est pas très éloignée de Tell al-Mureibet ont été découverts des vestiges de colonies qui remontent à la même époque, c'est-à-dire au 9ème millénaire av. J.C. Les mêmes aspects de la vie évoluée y sont représentés: les maisons en brique, y sont la de forme rectangulaire et la sépulture rituelle des morts était pratiquée soit dans le sol de la maison ou dans la cour extérieure. Puis les squelettes étaient retirés et séparés de leurs crânes, ensevelis ensemble dans une autre sépulture. Les habitants croyaient à un retour à la vie ou en une résurrection nouvelle.

Le peuplement s'étendit alors sur les rives de l'Euphrate, se développant vers la civilisation.

1- Le Héritage Archéologique Syrien La Préhistoire

Sur cette terre, l'homme s'est établi il y a des milliers d'années. Il nous a laissé ses premières traces dans la ville de Lattaquié et à -Latamne. De ces premières marches riveraines de l'Oronte, se sont installés dans la vallée, et jusqu'au littoral, les foyers d'habitation successifs, et de plus en plus évolués. Les remarquables vestiges découverts ces dernières années, indiquent qu'une population dense a habité cette région.

Il semble que l'homme primitif ait trouvé bon de vivre dans ces forêts de pins et de chênes qui florissaient dans la vallée de l'Oronte. Il s'y établit aux premiers siècles de l'Âge de pierre, chelléen et acheuléen. Il utilisait des outils dont certains ont été retrouvés aujourd'hui : grattoirs, merlins manuels et essaux de pierre. En ce temps, l'homme a coexisté avec toutes sortes d'animaux, souvent gigantesques, tels l'Éléphant et le rhinocéros, mais surtout les gazelles, les cerfs, les taureaux, les chameaux et probablement le cheval, et à l'Âge acheuléen, il semble qu'il en tirait sa nourriture. Les pluies étaient abondantes, les forêts denses et les pâturages assurés. L'hiver était rude, il gelait et la population était obligée de se réfugier dans les cavernes.

Au mésolithique, époque se situant entre celle de la pierre taillée (paléolithique) et au néolithique qui suivit (l'époque de la pierre polie), nous trouvons dans cette région le plus ancien foyer d'habitation connu dans le monde, lors de la campagne de sauvetage des sites à l'emplacement du barrage de l'Euphrate.

Les fouilles archéologiques, sur le site de «Tell al-Moureibet» qui est situé sur l'Euphrate à l'ouest de la ville de «Tabqa-Revolution» ont mis à jour un lieu de résidence où l'homme a séjourné depuis onze mille ans. C'est le plus ancien lieu de résidence stable connu jusqu'à nos jours.

AFIF BAHNASSI

1- Le Héritage Archéologique Syrien
2- The Syrian Archaeological Heritage



Le Héritage Archéologique Syrien
The Syrian Archaeological Heritage